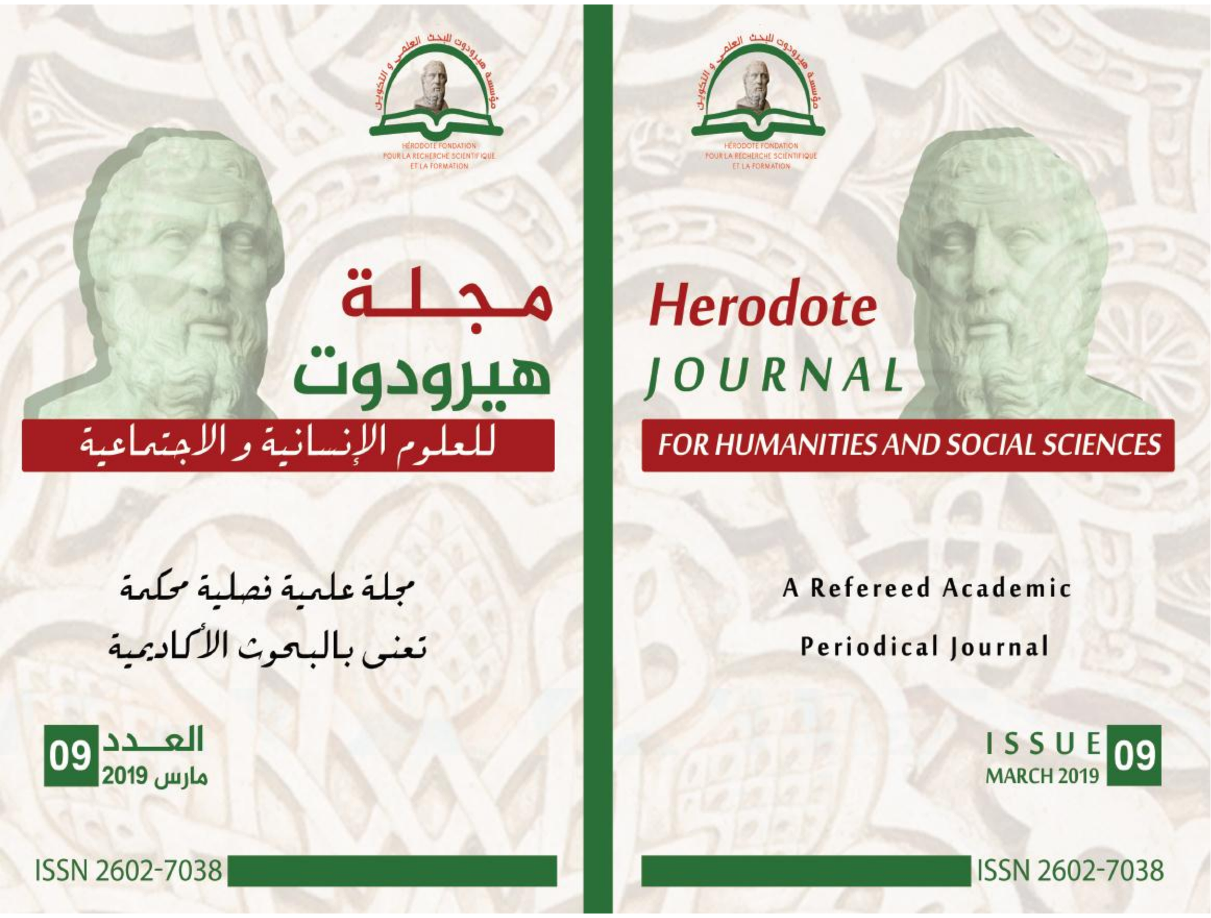
مجلة
هيرودوت
للعلوم الإنسانية و الاجتماعية
مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالبحوث الأكاديمية
العدد 09
مارس 2019
ISSN 2602-7038
Herodote
JOURNAL
FOR HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
A Refereed Academic
Periodical Journal
ISSUE 09
MARCH 2019
ISSN 2602-7038

المدير العام للمجلة: الأستاذ الدكتور عبد المالك سلاطنية

نائب المدير: الدكتورة عتيقة حرايرية

رئيس التحرير: الدكتورة مها عيساوى

سكرتارية المجلة: الأستاذة حميدش منيـرة

هيئة التحرير العلمية:

أ.د. قدادرة شايب – جامعة قالمة	د. وهيبة الجوزي – جامعة تيزي وزو
	د. نوال لصلج – جامعة سكيكدة
أ.د. بلقاسم رحماني – جامعة الجزائر 2	د. ميلود بلعالية – جامعة الشلف
أ.د. إبراهيم بلعادي – جامعة قالمة	د. سليمة محفوظي – جامعة سوق اهراس
أ.د. عزالدين يويحياوي – جامعة الجزائر 2	د. الحواس غربي – جامعة قالمة
د. عمارة نعيمة – جامعة أم البواقي	د. شريفة ماشطي – جامعة قسنطينة3
د. مراد زرارقة – جامعة قالمة	د. اسعد لهلالي – جامعة سطيف
د. سامية العايب – جامعة قالمة	– جامعة سكيكدة د.نهى شيروف

هيئة التحرير العلمية الدولية:

أ.د. محمد حسين فنطر –تونس	د.امنة ابوحطب – فلسطين.
ا.د. محمد طه الأعظمي –جامعة بغداد–العراق	أ.د. عبد الحليم العدوان –جامعة العلوم الاسلامية –الأردن
أ.د.كمال جرفال– جامعة سوسة –تونس	أ.د عادل بن يوسف– جامعة سوسة – تونس
أ.د. فائزة عبد الأمير الهديب –جامعة بغداد –العراق	د. سفيان بن موسى –جامعة سوسة – تونس
د.رضا الغضاب – جامعة سوسة –تونس	د. محمد سعيد –جامعة سوسة –تونس

الإيداع القانوني

الردمك 2602-7038

العنوان:

14 حي صديقي، قالمة-الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

هاتف / فاكس :

00213.37.26.05.51

WhatsApp:

0021350502991

الموقع على الشبكة:**herodotedb.com**

البريد الإلكتروني:

herodote.24@gmail.com

التعريف بالمجلة:

مجلة هيرودوت، هي مجلة علمية فصلية تهتم بنشر مختلف الأبحاث العلمية في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، يرأسها الأستاذ الدكتور عبد المالك سلاطنية. وقد صدر العدد الأول منها في العام 2017.

ترحّب المجلة بنشر الأبحاث والدراسات العلمية المتخصصة، ذات الصلة بالتاريخ والجغرافيا، علم الاجتماع، الأنثروبولوجيا والآثار، الفنون والتراث الشعبي، الدراسات الفكرية والفلسفية، علوم التربية، اللسانيات، الأدب والنقد المقارن.

تتناول المجلة بالبحث الرصين والتحليل العلمي الموضوعي، أهم الظواهر التي تقع تحت مظلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. كما أنها من علامات الانفتاح الفكري في المشهد الثقافي والعلمي العربي والمحلي. وقد أخذت المجلة على عاتقها مهمة تجاوز الحدود التقليدية لمشاغل العلوم الإنسانية والاجتماعية، وهو ما راهنت عليه منذ صدور عددها الأول عام 2017.

قواعد النشر في المجلة:

ترحب **مجلة هيرودوت** بنشر البحوث الجيدة والجديدة، المبتكرة ذات الصلة بأي حقل من حقول العلوم الإنسانية والاجتماعية. وتقبل البحوث باللغة العربية، والفرنسية، والإنجليزية، والاسبانية، والايطالية، والتي تشمل الدراسات الاجتماعية والعلوم الإنسانية، الدراسات التاريخية، الدراسات الأثارية (الأركيولوجية)، الدراسات الفنية (الموسيقى، التراث الشعبي، المسرح، الفنون التشكيلية، النحت)، الدراسات الفلسفية، الإعلام، اللغويات النظرية والتطبيقية، الأدب المقارن. كما ترحب المجلة بمناقشة جميع المواضيع المنشورة فيها، من الباحثين المتخصصين إثراءً للحوار وتعميقاً للمعرفة.

- ترسل البحوث عبر البريد الإلكتروني التالي: herodote24@gmail.com، محررة على برنامج "Microsoft Word" .
- لا تقل عدد صفحات البحث عن 12 صفحة ولا تزيد عن 25 صفحة، بما في ذلك والملاحق، المراجع والمصادر.
- يتم إدراج الهوامش في شكل أرقام غير متسلسلة، تتجدد مع بداية كل صفحة.
- يكتب البحث في المتن بالعربي بخط Traditional arabic بنبط 16 ، Times new roman بنبط 14 للغة الأجنبية، و بنبط 12 في الحاشية. تترك مسافة 1.15 بين السطور في المتن، و1.0 في الحاشية.
- تكون هوامش الصفحة اعلى وأسفل 1.5 و2.5 يمين ويسار.

- أن يقر صاحب البحث كتابة بأن بحثه عمل أصيل له، وغير مرسل للنشر في مجلة أخرى، وأن يرفق ملخصاً للبحث في حدود صفحة واحدة (300) كلمة بلغة البحث، وترجمته إلى الفرنسية أو الانجليزية إذا كان البحث باللغة العربية، وإلى العربية إذا كان البحث بلغة أجنبية.
- اعتماد الأصول العلمية في إعداد وكتابة البحث من توثيق وهوامش ومصادر ومراجع.
- البحوث بالمجلة تخضع للتحكيم العلمي على نحو سري.
- الآراء والأفكار الواردة ضمن المقالات تعبر عن آراء أصحابها والمجلة غير مسؤولة عنها.
- يلتزم الباحث بإجراء أي تعديلات تراها اللجنة العلمية ضرورية لقبول نشر البحث. أما إذا كانت تعديلات طفيفة فيقوم طاقم المجلة بإجرائها. كما ان والبحوث لا ترد لأصحابها سواء نشرت ام لا.

الافتتاحية:

يأتي إصدار **مجلة هيرودوت** للعلوم الإنسانية والاجتماعية كلبنة جديدة في مجال البحث العلمي والنشر الهادف، المرتبط بتطوير الكفاءات والقدرات العلمية في الأوساط العلمية والفكرية. جاء تسمية المجلة على شخصية تاريخية عالمية، **هيرودوت** هو مؤرخ وباحث يوناني، له مكانته وأثره في التاريخ القديم. كما ان وإسهاماته العلمية ومخلفاته الفكرية لازالت خالدة مند آلاف السنين.

إن البحث الأكاديمي هو بمثابة جهاد فكرى، يقوم به الباحث العاشق للتعمق في ميدان البحث العلمي، بغية انارة درب او تسليط الضوء على ظاهرة او موضوع. فيسهم ببحثه في فتح نافذة البحث لغيره، في سبر اغوار ما جاءت به نتائج بحثه، او ما حواه من افكار. فتتظافر الجهود، وتتكامل البحوث، للرقي بالعلم والانفتاح على الاخر.

الامر الذي جعلنا نكرس **مجلة هيرودوت** للعلوم الإنسانية والاجتماعية. وكذا إيماننا بأن مختلف العلوم الإنسانية المتشعبة تخدم بعضها بعضا، وتفيد كثيرا في بناء أرضيات الفكر الإنساني المشترك.

كما أن قبول وتحكيم البحوث لقبول نشرها بالمجلة، يشرف عليه طاقم أكاديمي جامعي، مع مختلف الشركاء الجامعيين في الجزائر والوطن العربي عموما.

في الختام ننوه بكل المجهودات العلمية التي تبذل هنا وهناك لتطوير الفكر الإنساني، ودعم البحث في مختلف المجالات العلمية.

نشير ونؤكد ان أبواب **مجلة هيرودوت** مفتوحة امام كل الباحثين، للمساهمة في دعم المنشورات العلمية، واثراء البحث المتميز على وجه الخصوص، الذي يخدم الإنسان والوطن.

أ.د عبد المالك سلاطنية

تقديم الأستاذ الدكتور محمد حسين فنطر:

يسعدني ويشرّفني تقديم هذه المجلّة التي أسّسها **الأستاذ الدكتور عبد المالك سلاطنية**، المختص في الآثار والتاريخ القديم والانثروبولوجيا. وقد أرادها مجلّة علمية ثقافية مفتوحة تعنى بنشر كل ما قد يمتّ بالصلة إلى مختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية، من تاريخ وآثار والنقائش القديمة، وتراث بمختلف فروعه وأفنانه، وأدب ولسانيات وفلسفة وعلوم تربوية. تستجيب المجلّة لشواغل القارئ في مختلف البلدان العربية وغير العربية، على اختلاف لغات البيئات. فهي علمية ثقافية تفيد الجميع وتتجاوب ورغبات الجميع، بعيدا كلّ البعد عن الدروب المطروقة وعن ضحالة المعتاد. ولكن لماذا سمّاها مؤسّسها هيرودوت؟ قبل الإجابة عن هذا السؤال لا بدّ من الاعتراف بوجود مجلّة فرنسية تحمل نفس الاسم. هي مجلّة تعنى بنشر دراسات تتناول قضايا الجغرافيا والسياسة، فهي إذن لا تتقاطع مع المجلّة الجزائرية. ولئن سمّاها **هيرودوت** فذلك لأن لها مواصفات البحوث، التي تناولها أوّل مؤرّخ عرفته شعوب المتوسّط. فهو الذي وضع منهجية البحوث التاريخية التي عبّر عنها **ابن خلدون** أحسن تعبير حين قال **إن التاريخ في ظاهره لا يزيد عن الإخبار ولكن في باطنه نظر وتحقيق**. فالإخباريون يختلفون عن المؤرّخين، ذلك ان المؤرّخ يستنطق المخبرين ويسألهم ويناقش رواياتهم ويقارن بينها وبين روايات الآخرين. وقد يبتعد عن البتّ ويترك باب الحوار مفتوحا أمام السامع والقارئ.

بل قد يدخل في جدل مع مخبريه. أمّا الإخباري فيقتصر عادة على رصد الروايات ليمرّرها إلى من يريدها دون نقاش.

وبالإضافة إلى ما سبق، لا يغيب على أحد أنّ صاحب المجلة أراد من خلال اسمها التنويه **بهيرودوت** باعث العلوم التاريخية والأنثروبولوجية، ثمّ انّه أوّل من اعتنى **باللوبيين** سكان شمال إفريقيا الأصليين.

فذكر القبائل بأسمائها مع تحديد مجال كلّ قبيلة ومواصفاتها من طرق عيش وعادات وتقاليد. لقد أفرد **هيرودوت** فصولا عديدة في السفر الرابع من تاريخه إلى اللوبيين. والمرجّح أنّه استقى أخبارهم ومعلومات أخرى كثيرة حولهم من مصر، ومن **قورينة** وهي المستوطنة الإغريقية التي أقامتها جالية نزحت من **ثيرة** في النصف الثاني من القرن السابع قبل ميلاد المسيح. وثيرة جزيرة إغريقية من جزر **سيقلاديز** الواقعة بين بلاد الإغريق وسواحل غربي بلاد الأناضول. يبدأ المؤرّخ حديثه بتقديم قبيلة **الأدروماشيد** مشيرا الى تأثير المصريين فيهم، ولكنّهم بقوا حريصين على أصالة أزيائهم وطرافتها. كما نوّه بأناقة نسائهم اللاتي، كنّ تتحلين بخلاخل من الجلد، وتتركن شعورهن طويلة حتّى تراها تتبختر فرعاء. كما أشار **هيرودوت** الى بعض التقاليد الخاصة بالزفاف، فيبدو أنّ اللوبيين كانوا ممّن يقدمون الجميلات من العرائس الى سيّد القبيلة أو من يقع اختياره ليتولّى السهر على شؤونها. ومن طرائف التقاليد لدى بعض القبائل أن ترى الرجل يحلق شعر النصف الأيسر من رأسه، ويترك شعر النصف الأيمن طويلا. ومن عادات بعض القبائل الاخرى صباغة أجسامهم بلون أحمر، يستمدّونه من بعض المواد المعدنية والطينية كالمغرى. وبقيت هذه العادة في الطقوس الجنائزية عند اللوبيين منتشرة الى زمن متأخر. وقد أثبتته الحفريات الأثرية التي نفّذت في مدافن **بونية**

نوميديّة، تعود إلى أواخر الألف الأولى قبل ميلاد المسيح. ومن الأناقة وأساليب الإغراء أن تكون المرأة وركاء، فهل كانت المرأة النحيفة عندهم تستعمل وسائل لتعظيم عجيزتها؟ قد يكون.

وفي الفصول التي أفردها **هيرودوت** للتعريف بالقبائل اللوبيّة، ورد ذكر أسماء البعض منها **كالمكسويين** و**الزويقيين** و**الجوزيين**، وقبائل أخرى لا يتّسع المجال لذكر جميعها، بيّن أنها صنفان هما الفلاحين والرعاة. كما ذكر بعض الحيوانات البرية التي تعيش في ربوع **لوبة** كالجواميس والغزلان والفيلة والأسود والدببة وغيرها.

ومن الزواحف ذكر أصنافا من الأصلال، ومن الطيور أشار إلى صنف من الصقور ذيولها بيضاء. من الغريب أن يذكر أصنافا خيالية كتلك التي لا رؤوس لها أو تلك التي عيونها على صدورها. أمّا الحديث عن النبات فهو مقتضب ومنها الريحان والسلفيوم.

وأيّا كانت المواصفات اللوبية التي ذكرها **هيرودوت**، فهي جديرة بالعناية لأنّها خلاصة ما تحصّل عليه من مصادر مكتوبة، أو من روايات شفوية يعسر الوقوف على مصادرها بكلّ دقّة. ولكن الثابت أنّه لم يدخر جهدا للحصول عليها وتصنيفها ونقدها وتقديمها لقرائه. فلا غرو أن يكون له حضور في محفل اللذين كتب لهم الخلود. اليس من الطبيعي أن تتأسّى به أجيال المؤرّخين، وكل الذين يعملون في مروج الإنسانيات كالتاريخ والأنثروبولوجيا والفلسفة والتراث والألسنية والأدب بفروعه والفن بمحاريبه وعلم النفس ومغاويره.

نرجو **لمجلّة هيرودوت** التألق والانتشار والتوفيق، على أن تكون مجلّة جامعية جامعة محكّمة، حريصة على المستوى العلمي الذي ترتضيه الجامعات ومراكز البحوث في العا لم حتّى تضمن الإضافة والنّشر.

محمّد حسين فنطر

أستاذ دكتور متميّز بالجامعة التونسية

مدير عام سابق بالمعهد الوطني للتراث

المشرف على كرسي حوار الحضارات والأديان

العدد التاسع

الاسم الكامل	المقال	المؤسسة العلمية	الصفحة
د. عتيقة حرايرية	منظومة القيم ودورها في إرساء دعائم التنمية المستدامة في الاقتصاد الإسلامي	جامعة الجزائر 2 – أبو القاسم سعد الله	11
د.نسرين غربي	جدلية البناء والهدم في الأثر الفني الزائل التخطيط	جامعة تونس	31
ا. وفاء بوغرارة	مكانة الليبوفينيقيين واسهاماتهم الحضارية في الامبراطورية القرطاجية	جامعة أحمد دراية – أدرار–	47
د.إسعد لهلالي	عبد الحفيظ بوصوف ودوره في الثورة التحريرية الجزائرية	جامعة سطيف2	67
د. عمارة نعيمة ا. خضار فايزة	الامتيازات الجبائية خيار استراتيجي لتدعيم و تنويع الاستثمار الجزائري "جمع متفرقات من المنظومة القانونية الجزائرية"	جامعة ام البواقي	83
د.البشير البونوحي	محمد بن عبد الكبير الكتاني (أبو الفيض) - بين المحن والآراء الاصلاحية –	المغرب	94
الأستاذ الدكتورأسامة محمد أبو نحل	قراءة تحليلية في خطاب تنصيب دونالد ترامب رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية	جامعة الأزهر – غزة	124

منظومة القيم ودورها في إرساء دعائم التنمية المستدامة في الاقتصاد الإسلامي

د. عتيقة حرايرية *

جامعة الجزائر 2 – أبو القاسم سعد الله

الملخص:

مما لا شك فيه أن أهم مقومات تحقيق مشروع التنمية المستدامة في أي مجتمع وفي الوطن العربي والإسلامي بالذات هو التسلح بالقيم الأخلاقية الصحيحة والايجابية النابعة من التعاليم الدينية السمحة لبناء اقتصاد إسلامي أساسه الواقع العقائدي والإيماني لهذه الأمة، والذي يجب أن يترجم إلى سلوكيات فردية وجماعية تخدم بفعالية حاجاتها وتستجيب لطموحات الأفراد والمجتمع على حد سواء.

في هذا السياق، نتسأل من خلال هذا المقال عن المحددات الفعلية لمنظومة القيم الأخلاقية التي يمكن أن تسود في المجتمعات العربية والإسلامية اليوم، والتي يمكن أن نواجه بها أثار العولمة والغزو الثقافي المفرط–لاسيما عند الناشئة– بطريقة موضوعية وفعالة، من هذا المنطلق سنتطرق في هذه الورقة لطرح ومناقشة الأفكار التالية:

- ماهية القيم وأبعاد المصطلح؟
- مصادر ووظائف القيم بين الفرد والجماعة؟
- التنمية المستدامة ودلالاتها في المنهج الإسلامي؟
- القيم الأخلاقية في الإسلام ودورها في إرساء دعائم ومقومات التنمية المستدامة.

الكلمات المفتاحية: القيم، القيم الأخلاقية، القيم الأخلاقية في الإسلام، التنمية المستدامة، الاقتصاد الإسلامي.

Summary:

There is no doubt that the most important elements of achieving the sustainable development project in any society and in the Arab and Islamic world in particular is the armament of the correct and positive ethical values stemming from the tolerant religious teachings of building an Islamic economy based on the ideological and faith-based reality of this nation, which must be translated into individual and collective behaviors that serve effectively. Needs and responds to the aspirations of individuals and society alike.

In this context, we ask through this article about the actual determinants of the moral values system that can prevail in Arab and Islamic societies today, in which we can face the effects of globalization and excessive cultural invasion - especially among the youth - in an objective and effective way. The paper to discuss and discuss the following ideas:

-What are the values and dimensions of the term?

-Sources and functions of values between the individual and the community?

-Sustainable development and its implications in the Islamic curriculum?

-Ethical values in Islam and its role in laying the foundations and elements of sustainable development

Keywords: values, moral values, ethical values in Islam, sustainable development, Islamic economics.

مقدمة:

تتوفر غالبية الدول العربية والإسلامية على المقومات المادية للتنمية والتنمية المستدامة، كما أنها لا تفتقر لوجود المقومات البشرية (لا من حيث التعداد ولا من حيث الكفاءة) التي يمكنها تحقيق مشروع التنمية والنهوض باقتصادها.

لكن الإشكال المطروح يمكن في وجود إنسان مسلم (طفل، شاب، شيخ، ذكر أو أنثى) فعال ومستعد فعلا لتحمل أعباء وأداء متطلبات التنمية، كأفراد يتفانون في طلب العلم لأن العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، ويحترمون العمل لأن اليد عليا خير من اليد السفلى، أفراد ينعمون بالعدالة الاجتماعية لأن الدين يحث على إعطاء الأجير حقه قبل أن يجف عرقه، مجتمع ينعم بروح التسامح لأن المسلمَ أخو المسلمِ لا يظلمه ولا يسلمه، مجتمع متكافل لأن الله في عون العبدِ مادام العبدُ في عون أخيه..وهكذا ولأن التشبع بهذه القيم وغيرها من شأنه أن يُنتج فردا إيجابيا وفعال يعرف جيدا حقوقه واجباته نحو ربه ونفسه وغيره (الناس والطبيعة)، من هنا يمكننا التأكيد على أن مشروع التنمية والتنمية المستدامة بالنسبة للأمة الإسلامية لن يبنى إلا إذا عملنا على بعث الفهم الصحيح لديننا الحنيف على أنه دين شريعة وحياة، والاعتقاد الحق بذواتنا (كأفراد وجماعات) على أننا خير أمة أخرجت للناس، ومن المهم جدا أن نتعلم أنه في اختلافنا رحمة.

مما لا شك فيه أن أهم مقومات تحقيق مشروع التنمية المستدامة في أي مجتمع وفي الوطن العربي والإسلامي بالذات هو التسلح بالقيم الأخلاقية الصحيحة والايجابية النابعة من التعاليم الدينية السمحة لبناء اقتصاد إسلامي أساسه الواقع العقائدي والإيماني لهذه الأمة، والذي يجب أن يترجم إلى سلوكيات فردية وجماعية تخدم بفعالية حاجاتها وتستجيب لطموحات الأفراد والمجتمع على حد سواء. لكن واقع الحال في مجتمعاتنا تحكمه العديد من المؤثرات والمتناقضات، من هنا نتساءل عن المحددات الفعلية لمنظومة القيم الأخلاقية التي يمكن أن تسود في المجتمعات العربية والإسلامية اليوم، والتي يمكن أن نواجه بها أثار العولمة والغزو الثقافي المفرط–لاسيما عند الناشئة– بطريقة موضوعية وفعالة، من هذا المنطلق سنتطرق في هذه المداخلة لطرح ومناقشة الأفكار التالية:

- ماهية القيم وأبعاد المصطلح؟
- مصادر ووظائف القيم بين الفرد والجماعة؟
- التنمية المستدامة ودلالاتها في المنهج الإسلامي؟
- القيم الأخلاقية في الإسلام ودورها في إرساء دعائم ومقومات التنمية المستدامة.

1. في ماهية القيم وأبعاد المصطلح

قِيَمٌ جمع مفردها قيمة، وتُشتق كلمة قيمة في اللغة العربية من القيام (قام، يقوم، قوما، وقياما) وهو نقيض الجلوس. ومن معاني القيام العزم، كما جاء في قوله تعالى ﴿ وأنه لما قام عبد الله يدعوه ﴾ [سورة الجن، الآية 19]، من معاني القيام أيضا المحافظة والإصلاح ومنه قوله تعالى﴿ الرجال قوامون على النساء ﴾ [سورة النساء، الآية 34].

ويلخص ابن منظور معاني "القيمة" فيما يلي [1]:

[1] رسلان بسيوني صلاح الدين، **القيم في الإسلام**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1990، ص8.

- **ثمن الشيء**، فقيمة الشيء سعره أو ثمنه، حيث تدل مجازيا على اتفق عليه أهل السوق وقدروه ورجوه في معاملاتهم بكونه عوضا للبيع.
- **الثبات على الشيء**، فكل من ثبت على الشيء وتمسك به فهو قائم عليه. قال الله تعالى ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله﴾ [سورة آل عمران، الآية 113].
- **الاستواء والاستقامة**، فهي مشتقة من الفعل قام بمعنى وقف واعتدل وانتصب وبلغ واستوى، وقد جاء وصف الإنسان أو الشيء أو العمل أو الدين بكونه قيما أي مستقيما، كقوله عز وجل ﴿ ذلك الدين القيم ﴾ [سورة التوبة، الآية 67].
- **العدل**، حيث يقال القَوام(بفتح القاف) مثال ذلك ﴿ وكان بين قواما﴾ [سورة الفرقان، الآية 67].

كما اتسع استعمال كلمة قيمة مع مرور الزمن " فأصبحت تدل على معنى أخرى متعددة، فيرى مثلا علماء اللغة أن للكلمات قيمة نحوية تحدد معناها ودورها في الجملة، وأن قيمة الألفاظ في الاستعمال الصحيح لها. كما يستعمل علماء الرياضيات كلمة القيمة للدلالة على العدد الذي يقيس كمية معينة. ويستخدمها أهل الفن على أنها تجمع بين الكم والكيف وهي بهذا تعبر عن كيفية الألوان والأصوات والأشكال والعلاقة الكمية القائمة بينها. كما يستخدمها علماء الاقتصاد للدلالة على الصفة التي تجعل شيئا ممكن الاستبدال بشيء أخر أي قيمة المبادلة"[2].

اصطلاحا تعني القيم "مجموعة من مبادئ وضوابط سلوكية وأخلاقية تحدد تصرفات الأفراد والجماعات ضمن مسارات معينة، إذ تصب في قالب منسجم مع عادات وتقاليد وأعراف المجتمع، لذا فالقيم الاجتماعية إنما هي نوع من المعايير السلوكية والأخلاقية التي بمعايير أخرى يحددها الإطار العام للمجتمع، والرحلة الحضارية والتاريخية التي يمر بها والظروف الموضوعية والذاتية المحيطة به والمؤثرة في ظواهره وعملياته الاجتماعية"[3]. وتعني القيم "مجموعة من المعتقدات التي تمثل المقومات الأساسية، أو المحور الذي تبنى عليه مجموعة من الاتجاهات التي توجه الأشخاص نحو غايات أو وسائل لتحقيقها، أو أنماط سلوكية يختارها ويفضلها هؤلاء الأشخاص لأنهم يؤمنون بصحتها"[4]. وهي أيضا تلك "المعتقدات حول الأمور والغايات وأشكال السلوك المفضلة لدى الناس، توجه مشاعرهم وتفكير ومواقفهم وتصرفاتهم واختيارهم، وتنظم علاقتهم بالواقع والمؤسسات والآخرين وأنفسهم والمكان، وتسوغ مواقعهم، وتحدد

---

[2] نفس المرجع، نفس الصفحة.

[3] إحسان محسن الحسن، "التراث القيمي في المجتمع العربي بين الماضي والحاضر"، **مجلة الدراسات العربية**، عدد 9، 1990، ص89.

[4] سمير محمد فريد، " القيم وتأثيرها على فعالية التنظيم الجيد "، ورقة مقدمة في **الملتقى الدولي حول القيم وتسيير المؤسسات**، من تنظيم معهد الاقتصاد جامعة فرحات عباس سطيف(الجزائر)، 26/25 مارس1986.

هويتهم ومعنى وجودهم "[5]. فيما يُجمع الأخصائيون في العلوم الاجتماعية على أن القيم "ما هي إلا موجهات سلوكية لسائر الأنشطة التي تتصل بأي شكل من أشكال العمل"[6] أو الفعل أو السلوك.

من كل ما سبق وحسب ما جاءت به الدراسات، فإن مصطلح "القيم" يحمل ثلاثة معاني أساسية، هي:

1. القيم باعتبارها مؤشرات الاهتمامات والاتجاهات، حيث تحدد اتجاهات الفرد وتضبط إدراكه لما يجب أن يكون انطلاقا من المبادئ والمعتقدات التي أمن بها واعتَقَدها.

2. القيم باعتبارها مؤشرات الفعل والأنشطة السلوكية، حيث يتم التركيز على الجانب العملي للقيم من خلال ربطها بسلوك وتصرفات الفرد في المواقف المختلفة.

3. القيم باعتبارها مؤشرات الاتجاهات والسلوك، حيث تحدد ما يؤمن له الفرد نظريا وما يمارســـه في حياته اليومية عمليا.

فالقيم مهم كان وصفها معتقدا أو اتجاها أو سلوكا أو مؤشرا على كل ذلك فهي تحدد سلوك الفرد وتصرفاته وأرائه، كما تعكس نمط علاقاته بغيره ومحيطه وتشكل اتجاهاته العملية والعلمية والفكرية.. " وتنكشف دلالات هذه القيم فيما تعكسه على متبنيها من أنشطة سلوكية ومعرفية ووجدانية ونزوعية وتوجهات قيمية ايجابية وسلبية حيال الأشخاص أو الأشياء أو المواقف التي يتعامل معها الفرد"[7]. فما هي إذا مصادر هذه القيم ووظائف التي يمكن أن تؤديها على المستوى الفردي أو على مستوى الجماعة؟

2. وظائف ومصادر القيم بين الفرد والجماعة

تؤدي القيم عدة وظائف في المجتمع كالتوجيه وإشباع الحاجات المادية والروحية، الاختبار بين البدائل، وكذلك وظيفة التواصل والتفاعل الاجتماعي التي تضمن لها الرسوخ والاستمرار مدى وجود المجتمع، وتستمد قوتها وسلطتها من مجموعة "المعتقدات التي تتسم بقدر من الاستمرار النسبي والتي تمثل موجهات الأشخاص نحو غايات أو وسائل لتحقيقها أو أنماط سلوكية يختارها ويفضل هؤلاء الأشخاص بديلا لغيرها. وتنشأ الموجهات والاتجاهات والسلوك اللفظي والسلوك الفعلي والعواطف التي يكونها الأفراد نحو موضوعات معينة"[8].

---

[5] حليم بركات، **المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 1985، ص324.

[6] امطانيوس مخائيل، " الخصائص القياسية للصورة العربية لقائمة أدوار الحياة- مقياس القيم "، **مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس**، عدد1، دمشق، 2002، ص64.

[7] عبد الحليم أحمد، **تعليم القيم في نظم التعليم العربية**، ورقة مقدمة في مؤتمر القيم والتربية في عالم متغير، جامعة اليرموك، الأردن، 1999، ص13.

[8] أحمد مصطفى خاطر، **تنمية المجتمعات المحلية**، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص36.

ولطالما كانت القيم أساسا يساعد على تجانس الأفراد سواء من ناحية السلوك، الأفكار، المعتقدات وغيرها وبالتالي إرساء معايير أخلاقية معينة تعكس نظام (أو سلم) القيم لمجتمع ما، وفي هـــــذا الإطار يقول **سارتر (J. P Sartre)** نظام القيم إنما يتشكل من خلال التجربة الاجتماعية للجماعات والأمم **فنظـــــــام القيم لمجتمع ما يعكس بنيته،** فيما يرى **اندريه بريدو (A. Bridoux)** أن القيم مصدرها الأحكام الشخصية أولا، الأحكام القيمية التي يصدرها الشخص على الأشياء بناء على حاجاته إليها أو منفعتها أو ما تلبيه لديه من ميولات ورغبات إلى أخره، وشيئا فشيئا تتموضع القيم مع الحياة الاجتماعية لتتعمم وتصبح ذات طابع اجتماعي، تنتقل من المجال السيكولوجي إلى المجال الاجتماعي، وفي نفس السياق يعتبر كل من **بارسونز (Parsons)** **وميرتون (Mirton)** وغيرهما القيم ظاهرة "مصدرها اجتماعي ثقافي، فالبناء الثقافي يحدد الأهداف المقبولة والبناء الاجتماعي يحدد وسائل تحقيق الأهداف من أجل التكامل والتوازن"**[9]**، من هنا نؤكد على الدور المهم الذي يمكن أن يقوم به المجتمع في تحديد القيم المنشودة وترتيبها ووسيلته في ذلك التنشئة الاجتماعية التي تمكن من تشكيل الفرد على صورة مجتمعه وصياغته في القالب وعلى الشكل الذي ترتضيه، وبذلك تعمل على صيانة التركيب الاجتماعي ومنظومة القيم السائدة وتأييدها.

في كل الأحوال تشكل القيمة مقياسا يوجه السلوك والتسويغ والاختيار بين البدائل في المناهج والوسائل والغايات...توجه القيم سلوك الإنسان ونظم علاقاته بالآخرين والواقع والزمن ونفسه، وفي علاقته بالواقع قد تحثه القيم على السعي والجهاد في سبيل السيطرة على الواقع وتغييره أو بالعكس تحثه على القبول به كما هو والتلاؤم معه، وفي علاقته بالآخرين قد تشكل القيم عند الإنسان مبادئ عامة كلية يطبقها على الجميع دون تميز على أساس العنصرية أو الدين أو غيره، أو تشكل مبادئ تخصصية تخضع لأهوائه ومصالحة وعصيانه، وقد ينزع الإنسان نزوعا عقلانيا أو عاطفيا مفردا أو جماعيا، رسميا أو عفويا ملتزما التزاما جزئيا أو التزاما وجوديا كليا، وقد يكون الإنسان تابعا أو مبدعا، متفتحا أو منغلقا على نفسه، إمتثاليا أو متمردا، منهجيا أو ارتجاليا، مبدئيا أو انتهازيا، فوقيا يتمسك بالقيم العمودية (الوجاهة، الاستعلاء والتسلط) أو القيم الأفقية (الأخوة، الصداقة، الزمالة، المساواة) **[10]**.

ويمكن أن نلخص أهم وظائف القيم على المستويين الفردي والجماعي في الجدول المدرج أسفله:

---

[9] عبد الباسط عبد المعطي، " عرض تحليلي لمفهوم القيمة "، **المجلة الاجتماعية**، العدد 1، مجموعة 7، 1970، ص103.

[10] حليم بركات، مرجع سابق، ص325.

جدول يبين وظائف القيم على المستويين الفردي والجماعي [11]

وظائف القيم	**على مستوى الفردي**
	- أنها تهيئ للأفراد اختيارات معينة تحدد السلوك الصادر عنهم فهي تلعب دورا هاما في تشكيل الشخصية الفردية وتحديد أهدافها في إطار معياري صحيح. - أنها تعطي للفرد إمكانية أداء ما هو مطلوب ليكون قادرا على التكيف والتوافق بصورة ايجابية. - تحقق للفرد الإحساس بالأمان فهو يستعين بها على مواجهة ضعف فيه والتحديات التي تواجهه في حياته. - تعطي للفرد فرصة للتعبير عن نفسه وتأكيد ذاته. - تدفع الفرد لتحسين إدراكه ومعتقداته لتتضح الرؤيا أمامه وبالتالي تساعد على فهم العا لم من حوله ولوسع إطاره المرجعي في فهم حياته وعلاقاته. - تعمل على ضبط الفرد لشهواته كي لا تتغلب على عقله ووجدانه.
	على المستوى الجماعي
	- تحافظ على تماسك المجتمع فتحدد له أهداف حياته ومثله العليا ومبادئه الثابتة. - تساعد المجتمع على مواجهة التغيرات التي تحدث فيه، تحديدها الاختبارات الصحيحة، وذلك يسهل على الناس حياتهم ويحفظ للمجتمع استقراره وكيانه في إطار موحد. - تربط أجزاء ثقافة المجتمع ببعضها حتى تبدو متناسقة، كما أنها تعمل على إعطاء النظم الاجتماعية أساسا عقليا يصبح عقيدة في ذهن أعضاء المجتمع المنتمين إلى هذه الثقافة. - تقي المجتمع من الأنانية المفرطة والنزاعات والشهوات الطائشة والقيم والمبادئ في أي جماعة هو الهدف الذي يسعى جميع أعضائها للوصول إليها. - تزويد المجتمع بالصيغة التي يتعامل بها مع العلم، وتعدد له أهداف ومبررات وجوده وبالتالي يسلك في ضوئها وتحديد للأفراد سلوكياتهم.

[11] **بتصرف عن**: على خليل أبو العينين، **القيم الإسلامية والتربية**، مكتبة إبراهيم الحلبي، المدينة المنورة، السعودية، ط1، 1985.

ونشير هنا إلى أنه "وإذا كان لكل مجتمع إطاره القيمي السائد فإن هذا لا يعني بالضرورة أن أبناء المجتمع الواحد أو الثقافة الواحدة صورة متكررة في أنساقهم القيمية، ولكن معنى هذا أن هناك تقارب في القيم المشتركة بين أبناء المجتمع الواحد".

3. التنمية المستدامة ودلالاتها في المنهج الإسلامي

استخدم مصطلح التنمية المستدامة (المستديمة أو المتواصلة أو المستمرة) ليعبر عن "التنمية التي تفي باحتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال المقبلة على تلبية احتياجاتها"، وهو (مصطلح التنمية المستدامة) يعكس مستوى القلق المتزايد إزاء التدهور السريع للبيئة والموارد الطبيعية كما جاء في أعمال اللجنة العالمية للبيئة والتنمية (الأمم المتحدة). فالتنمية المستدامة هي بالأساس "عملية توظيف وإدارة وصيانة قاعدة الموارد الطبيعية المتاحة وتوجيه التغيير التقني والمؤسسي على نحو يضمن استمرار إشباع الاحتياجات البشرية للأجيال الحالية والمستقبلية" [12]، كما يهدف هذا النوع من التنمية إلى الاهتمام بالعلاقة المتبادلة بين الإنسان والبيئة والمجتمع، مع التركيز على الحفاظ على الكم والنوع، كما تهدف إلى الاهتمام بشكل رئيسي بتقويم الأثر البيئي والاجتماعي والاقتصادي للمشاريع التنموية.

بهذا فإن مفهوم الاستدامة يرتكز على نقطتين أساسيتين هما:

- العنصر البشري (الإنسان) وهو محور الاهتمام الذي تدور حوله التنمية،
- غاية التنمية هو الوصول إلى تنمية شاملة ونوعية، من خلال[13]:

1. تحقيق نوعية حياة أفضل للسكان،
2. تحقيق استغـــــلال واستخدام عقلاني للموارد،
3. احترام البيئة الطبيعية،
4. تعزيز وعي السكان بالمشكلات البيئية القائمة،
5. ربط التكنولوجيا الحديثة بأهـــــداف المجتمع،

---

12 أحمد أبو اليزيد الرسول، **التنمية المتواصلة: الأبعاد والمنهج**، مكتبة بستان المعرفة، الإسكندرية، مصر، 2006، ص87.

13 عثمان محمد غنيم وماجدة أحمد أبو ونط، **التنمية المستديمة: فلسفتها وأساليب تخطيطها وأدوات قياسها**، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص ص 28/30.

6. إحداث تغيير مستمر ومناسب في حاجات وأولويات المجتمع.

ولتحقيق ذلك يتطلب الأمر العمل على وجوب الاهتمام بثلاثة جوانب أساسية تعتمد عليها التنمية المستدامة، كما تؤكد عليه الكثير من الدراسات والبحوث، وتتمثل فيما يلي:

- **تنمية المهارات والقدرات البشرية**، على اعتبار أن العنصر البشري هو القادرة على استمرار عمليات التنمية، لذلك فإن الإنفاق على تنمية القوى البشرية (من تعليم ورعاية صحية ومنح الفرص الاقتصادية كالعمل والاستثمار وغيرها) من أهم عناصر التنمية.
- **عدالة توزيع الثروة وفوائد النمو**، ويتطلب ذلك ضرورة تدخل الدولة لإيجاد آليات تؤدي إلى إعادة توزيع الثروة والدخل بما يساهم في التخفيف من حدة الفقر.
- **الحفاظ على البيئة والموارد الطبيعية**، ما يضمن مصلحة الأجيال القادمة ومنع تراكم الديون عليها.

وذلك وفق الآليات وحسب الخطة التي يوضحها المخطط المدرج أسفله:

مخطط يوضح آليات ومجالات التنمية المستدامة [14]

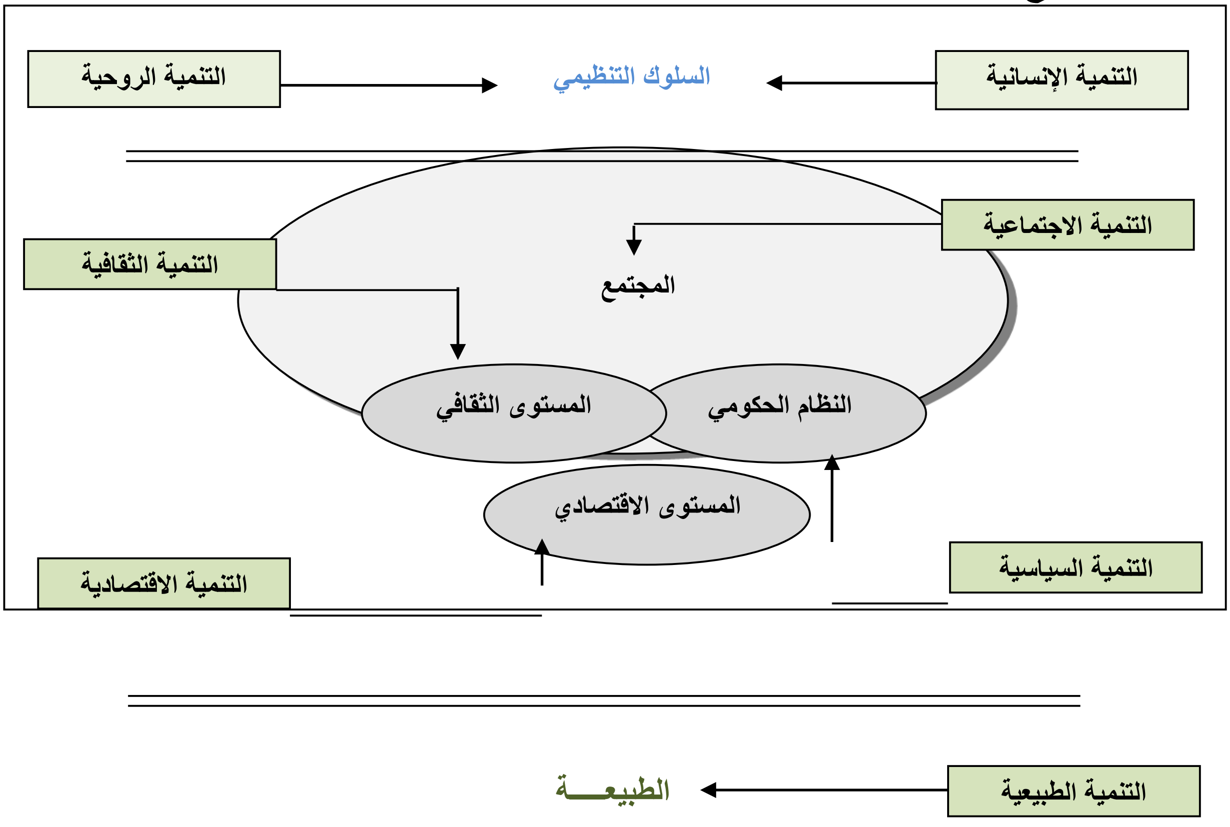

[14] عن الموقع الالكتروني: www.greenline.com

بتصرف عن: إيمان المطيري، مؤتمر القمة العالمي للتنمية المستدامة (جوهانسبورغ).

فالتنمية المقصودة هي تلك التي تهتم بجميع متطلبات الإنسان الاقتصادية ولاجتماعية والسياسية والثقافية والبيئية والعمل على إشباع الحاجات الأساسية والثانوية وتوفير المتطلبات المادية والروحية، والتي يمكن تعريفها فيما يلي:

- **التنمية الاجتماعية**، هي الجهود التي تبذل لإحداث سلسلة من المتغيرات الوظيفية والهيكلية اللازمة لنمو المجتمع، وذلك بزيادة قدرة أفراده على استغلال الطاقات المتاحة إلى أقصى حد ممكن لتحقيق أكبر قدر من الحرية والرفاهية لهؤلاء الأفراد بأسرع من معدل النمو الطبيعي[15]، وهي التي تضمن تكافل وتماسك أفراد المجتمع كأنهم جسد واحد.
- **التنمية الثقافية**، وتعبر عن التغير الذي يحدث في الجوانب المادية وغير المادية للثقافة بما في ذلك العلوم والفنون والفلسفة والتكنولوجيا والأذواق الخاصة بالمأكل والمشرب واللغة، بالإضافة إلى التغيرات التي تحدث في بنيان المجتمع ووظائفه[16]، أي هي التي تمكن الفرد من تحقيق مستوى من الوعي والإطلاع لما يجري في مجتمعه وفي العالم من حوله من أحداث وفكر وعلوم ومعارف وفنون ..وغيرها.
- **التنمية الاقتصادية**، هي عملية بموجها تستخدم الدولة مواردها المتاحة لتحقيق معدل سريع للتوسع الاقتصادي، يؤدي إلى زيادة مطردة في دخلها القومي، وفي نصيب الفرد من السلع والخدمات. وتتطلب هذه التنمية التغلب تدريجيا على المعوقات الاقتصادية وتوافر رؤوس الأموال، والخبرة الفنية والتكنولوجيا[17]، فهي التنمية التي تنمي في الفرد حب العمل والإنتاج لمنفعته الخاصة ولفائدة المجتمع.
- **التنمية السياسية**، وتتضمن دراسة التنظيم الرسمي للحكومة والإدارة المركزية والمحلية، ودراسة المشكلات التطبيقية في التنظيم والإجراءات بغية تحقيق التكامل بين القضايا الوصفية والتقويمية[18]، حيت تمكن هذه التنمية الأفراد من معرفة وتقويم نشاطات وسياسة الحكومات والإدارات المسيرة للبلاد.
- **التنمية الطبيعية**، أو التنمية المستدامة وتكون في شكل تفاعل مستمر مع ما يحيط بالإنسان من طبيعة ومجتمعات بشرية ونظم اجتماعية وعلاقات شخصية، ومواجهة الأضرار الناتجة عن تقدم الصناعة الحديثة وحماية المصادر الطبيعية والهواء من التلوث، والتنسيق بين زيادة سكان العالم وزيادة مارد الثروات الطبيعية ولزراعية والصناعية لمواجهة متطلبات حياتهم[19].

---

15 أحمد بدوي زكي، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1992، ص 384.

16 المرجع السابق، ص92.

17 نفس المرجع، ص123

18 أحمد بدوي زكي، المرجع السابق، ص319.

19 نفس المرجع، ص 136.

أما التنمية الإنسانية والروحية فهي التي تغذي القيم والأخلاق لتوجه السلوك الإنساني نحو الغايات العليا لتنمية والتنمية المستدامة من أجل تحقيق الزيادة النوعية التي تشمل كل مجالات الحياة الحضارية والمادية والإنسانية.

3.1- دلالات التنمية في المنهج الإسلامي

" أول ما يلاحظ في القرآن الكريم عدم وجود لفظ (التنمية)، ولا أحد مشتقاته، كنمو والنماء، كما لم يرد أيضا لفظ (التطوير). لكن القرآن الكريم في المقابل استعمل الكثير من المفردات والمصطلحات الدائرة في فلك التنمية، والمشكلة لمظاهرها المختلفة، كما استعمل أيضا الكثير من المفاهيم المؤسسة لدور الإنسان في هذه التنمية"[20]، ومنها على الخصوص: الاستخلاف وعَمارة الأرض، التمكين وتكريم الإنسان دونا عن سائر الكائنات الحية الأخرى.

تبدأ دلالات التنمية في المنهج الإسلامي باختيار المولى عز وجل الإنسان دون عن المخلوقات وتكليفه بالرسـالة، يقول تعالى ﴿ وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [سورة البقرة، الآية 30] ويقول جلَ وعلى ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [سورة الذاريات، الآية 56] تشير هذه الآيات إلى ارتباط الوظيفة أو الرسالة الإنسانية بمهمتين أساسيتين هما **الاستخلاف** و**العبادة** وقد ارتضى الله عز وجل للإنسان أن يمارس أعمال الخلافة وإقامة العمران على سطح الأرض على الوضع الذي نظمه له الإسلام وفق المنهج الإلهي الرشيد، " إذ أن خلافة الإنسان لله على هذا النمط وعبادة الإنسان لله يمثلان وجهين لحقيقة واحدة، حيث أن الخلافة إن هي إلا تنفيذ لأحكام الله تعالى في شتى المجالات"[21].

ومن دلالات التنمية في المنهج الإسلامي الأمر ب**عِمارة الأرض**، ويقول عز من قال ﴿ وإلى ثمودَ أخاهم صالحا قال ياَ قوْم اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب ﴾ [سورة هود، الآية 61] حيث توجب هذه الآية على الإنسان طلب العِمارة والسعي في عمارة الأرض، ويقول الإمام الجصاص في هذه الآية "إن في ذلك دلالة على وجوب عمارة الأرض بالزراعة والغرس والأبنية.."[22]، كما أن معنى" لفظ العمارة أو التعمير يحمل مضمون التنمية الاقتصادية، وقد يزيد عنها، فهو نهوض في مختلف مجالات الحياة الإنسانية"[23]. وصيغة "استعمركم" هنا، كصيغة "استخلفكم" تدل على الإنابة والتفويض، وهو تفويض

---

20 فريدة زمرد، "التصور القرآني للتنمية ودور المرأة"، **ملتقى دور المرأة في التنمية المستدامة(الرباط_16/12 نوفمبر2007)**، المنظمة العربية للتنمية الإدارية (أعمال المؤتمرات)، القاهرة، مصر، 2008، ص 81.

21 شوقي أحمد دنيا، **الإسلام والتنمية الاقتصادية**، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1979، ص 47، عن: محمد بن أحمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مطبعة دار الكتب المصرية، ط2، ج1، 1935، ص 263.

22 شوقي أحمد دنيا، المرجع السابق، ص 85.

23 نفس المرجع، نفس الصفحة.

مؤقت مرتبط بالزمن الدنيوي، والنجاح في تكاليفه مربوط بالعبادة وإقامة الدين. فالعمارة إصلاح وتخليق شامل للحياة. وهذا شرط لازم للتنمية الإنسانية الفاعلة [24].

من دلائل التنمية في النظام الإسلامي أيضا "**التمكين**"، فمصطلح العمارة لم يكن هو الوحيد الذي عبر عن التنمية الاقتصادية في الفكر الإسلامي إذ نجد مصطلح التمكين في قوله عز وجـــل﴿ ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ﴾ [سورة الأعراف، الآية 10] ومعنى التمكين هنا هو السيطرة والقدرة على التحكم، بمعنى أن الله عز وجل هيأ لنا وضع السيطرة من تسخير ما على الأرض حتى يقوم الإنسان بتكاليف الاستخلاف. ويقول سبحانه وتعالى ﴿ وعد الله الذين أمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليُمكِنَنَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ﴾ [سورة النور، الآية 55] هذا المستوى من التمكين – الذي يتم على تمكين الدين والأمن للإنسان– يختلف عن المستوى المذكور سابقا، وهو تمكين معنوي يحوز بموجبه الإنسان على أهم الأسس الداعمة للحياة الكريمة، وهي الدين بكل القيم الروحية والخلقية والاجتماعية التي ينطوي عليها، والأمن الذي يضمن له ممارسة سائر حقوقه الطبيعية. "وبوجود هذين المستويين من التمكين، يرتبط المادي بالروحي في تنمية الإنسان، ولا يصبح عمار الأرض مقتصرا على ضمان الرفاه المادي وتحصيل مستوى العيش الرغيد، بل أيضا، ضمان الأمن النفسي والروحي" [25]، وهذه الميزة ينفرد بها المنهج الإسلامي لتجعل مفهوم التنمية المستدامة أعمق دلالة من تلك التي تطرحها المناهج الوضعية، إذ يقتصر مفهوم التنمية المستدامة فيها على ضمان الرفاهية المادية لكن النظام الإسلامي يتعداها إلى الإلمام بشروط نمو المجتمعات ورقيها وأمنها المادي والروحي.

من المفاهيم المرتبطة بتنمية الإنسان في المنهج الإسلامي مفهوم **التكريم**، وجاء في القرآن الكريم على مستويين: تكريم دنيوي وتكريم أخروي، الأول مرتبط بالوجود الدنيوي للإنسان في الأرض، واستخلافه فيها، وتمكينه من عمارتها، هو بذاك يعني تشريف الإنسان وتخصيصه بالمقومات الذاتية التي تمكنه من القيام بتكاليفه ومسؤولياته [26]، يقول تعالى ﴿ ولقد كرمنا بني أدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ [سورة الإسراء، الآية 70] والثاني مرتبط بالوجود الأخروي، حيث يكون الأكرم عند الله عز وجـــــل أي الأفضل منزلة هو الأتقى، في قوله ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [سورة الحجرات، الآية 13]، ومن صور تكريم الله للإنسان ما جاءت به الشريعة الإلهية لتُذكر الإنسان بقدرته على تخطى الصعوبات من أجل بناء مجتمع

---

[24] فريدة زمرد، مرجع سابق، ص84.

[25] نفس المرجع، ص 85.

[26] نفس المرجع السابق، ص 85.

أفضل، وتحضه على تجاوز العقبات في سبيل إقامة عالم المثل، وتؤكد له أن الله سبحانه وتعالى لم يخلقه عبثا ولم يتركه هملا ﴿ أَيحسب الإنسان أن يُترك سُدًى ﴾ [سورة القيامة، الآية 36].

3. 2- دلالات الاستدامة في المنهج الإسلامي

خلق الله سبحانه وتعالى الأرض بما فيها من نعم وخيرات وفق آليات ونظم دقيقة لا طاقة لمخلوق عليها، يقول الله تعالى ﴿كل شيء خلقناه بقدر ﴾ [سورة القمر، الآية 49]. وقد سخر الله تعالى بما فيها من مخلوقات لخدمة الإنسان لكي يستعين بها على مصاعب الحياة وفي عمارة الأرض، وذلك مصداقا لقوله تعالى ﴿ ألم تروا أن الله سهر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمة ظاهرةً وباطنةً ﴾ [سورة لقمان، الآية 20]. وحتى يتمكن الإنسان من الانتفاع من هذه النعم فإنه لابد أن يحافظ عليها ويحول دون هدرها أو تدميرها، مع ضرورة العمل على ترسخ القيم والأخلاق المشجعة على ذلك كجزء مهم من البناء الثقافي في شخصية وسلوك الفرد والجماعة في المجتمع العربي المسلم، ومن أهم دلالات الاستدامة في المنهج الإسلامي نذكر [27]:

- **ضرورة المحافظة على الموارد والحيلولة دون فسادها واستنزافها**، وهذا واجب ديني تفرضه التعاليم الإسلامية مصداقا لقوله تعالى ﴿ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ [سورة الأعراف، الآية 56]، وقوله تعالى ﴿ ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾ [سورة القصص، الآية 77]، وفي حديث للرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) "أن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها" [الألباني- حديث صحيح]
- **محدودية الموارد في الأرض**، حقيقة يؤكـدها قوله عز وجل ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ [سورة الحجر، الآية 02].
- **إدارة الموارد واستغلالها برشد وعقلانية**، مصداقا لقوله تعالى ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾ [سورة الفرقان، الآية 67]، وكذلك قوله عز وجل ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ﴾ [سورة الإسراء، الآية 29].
- **إشباع الحاجات دون هدر أو إسراف**، وفي ذلك يقول تعالى ﴿ وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره واتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إن الله لا يحب المسرفين ﴾ [سورة الأنعام، الآية 141]، وقوله تعالى ﴿ يا بني أدم

---

[27] **بتصرف عن**: عثمان محمد غنيم وآخرون، مرجع سابق، ص ص 93/91.

خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ [سورة الأعراف، الآية 31].

- **البيئة والموارد ملك ومسؤولية الجميع**، والجميع مطالب بحمايتها والمحافظة عليها مصداقا لقوله تعالى ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ [سورة المائدة، الآية 02]. وفي حديث شريف " المسلمون شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار وثمنه حرام " [سنن ابن ماجة].
- **استغلال الموارد وفق أسس العدل والمساواة**، وفي ذلك يقول المولى عز وجل ﴿كلوا من ثمره إذا أثمر وأتوا حقه يوم حصاده ﴾ [سورة الأنعام، الآية 141]، وفي قوله ﴿ وآتِ ذا القربى حقه وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ﴾ [سورة الإسراء، الآية 26]، وقوله عز وجـــــل ﴿كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ [سورة البقرة، الآية 60]، وقوله تعالى ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم وتطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ﴾ [سورة طه، الآية 81].

4. القيم الأخلاقية في الإسلام ودورها في إرساء دعائم ومقومات التنمية المستدامة

في الواقع لم يتفق الباحثون حول إعطاء تصنيف شامل للقيم يحيط بكل أنواعها، فهناك من صنفها على أساس العمومية (قيم عامة/خاصة) أو الوضوح (قيم صريحة/ضمنية) أو درجة الاستمرارية (قيم دائمة/عابرة)، ومن حيث المحتوى (قيم سياسية/اقتصادية/اجتماعية/دينية/جمالية/فكرية..) وغيرها، كما أن للقيم مستويات مختلفة حيث يتميز كل مستوى عن الأخر من حيث المحتوى، والشمولية، والتأثير.

وقد قسم ماكس شلر **(Max Scheler)** [28] القيم إلى أربع مستويات هي:

- **المستوى الأدنى**، ويمثل مستوى قيم الملائم والمنافي.
- **مستوى القيم الحيوية**، ومنها قيم المتميز والمبتذل، النبيل والعام، الصحيح وغير الصحيح..
- **مستوى القيم الروحية**، وتضم القيم الإبداعية الحقوقية والعقلية وتنتظم في الثقافة.
- **مستوى القيم الدينية** وقوامها المقدس، وهي تتصل بموضوع الله والأشخاص وتهيمن على سائر القيم لأنها هي أساسها كلها.

لذلك نجد ضمن المفاهيم المتداولة مثلا القيم الأخلاقية وقيم الروحية وقيم الإيمانية وقيم الدينية واستعمالها كمترادفات، كما يمكن الفصل وتمييز بينها كمصطلحات دقيقة لكل واحدة منها معناها المضبوط فالقيم الدينية أشمل من القيم

---

[28] ماكس شلر (**Max Scheler**) 1928/1874 من أشهر الفلاسفة الذين أسهموا في تقديم الأخلاق بعد كانت، ذاع صيته في كل من فرنسا وألمانيا على الخصوص بعد الحرب العالمية الأولى، من أثاره "الأبحاث المنطقية 1900"، "الخالد في الإنسان 1921"، " علم الاجتماع وعلم مفاهيم العالم 1923"، تضاف إليها طائفة من المقالات والدراسات التي تبين موقف شلر .

الإيمانية، والقيم الروحية تتعلق بكل ما هو إبداع روحي وعقلي وفني .. وبدون الخوض في كل هذه التفاصيل، سنسلط الضوء هنا على القيم الأخلاقية والقيم الاجتماعية ودورها في بناء قواعد سليمة للتنمية والتنمية المستدامة حسب ما جاء به دستور النظام الإسلامي:

تُعرب **القيم الأخلاقية** كغيرها من القيم عن صلات الأشخاص ببعضهم ببعض، لكنها تنفرد عنها من حيث أنها تُعرب عن هذه الصلات من حيث أن قوامها إرادة الأشخاص الواعية نفسها لا على اعتبار استناد هذه الصلات قسر المجتمع، ذلك أن "القيم الأخلاقية لا تخلط نظام الواقع بنظام ما يجب أن يكون. والتشريع الأخلاقي يصدر عن سلطة باطنية ويعرب عن فكر تسلسل القيم الأخلاقية، وهذه الفكرة تنم عن أن القانون الأخلاقي لا يستمد سلطانه إلا من قيمة عليا تهيمن على قيمة دُنيا"[29] ، كما تتعدد القيم الأخلاقية وتتنوع وتختلف أيضا "ما بين أمة وأمة، بين عصر وعصر، وبين زمن وزمن، وبين مكان ومكان أخر لاختلاف طبائع الناس، لكن الأخلاق الكريمة الفاضلة واحدة لا تتجزأ، وهي الأخلاق التي جاء بها الأنبياء والمرسلون"[30]، ومن مكارم الأخلاق العمل الصالح، الإيثار، طلب العلم، عمل الخير، الفضيلة، الشجاعة، التقوى وغيرها، أما القيم الإيمانية فتتضمن الشعائر والعبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج، ومن ابرز خصائص الأخلاق فإنها ظاهرة اجتماعية، إذ أنها " تُنظم العلاقات الاجتماعية حسب معايير وقيم ليست نابعة دوما من الفرد، شعوره وضميره، بل هي في معظمها ذات أصول اجتماعية..الأخلاق ظاهرة اجتماعية تجد أصولها وفصولها في المجتمع وما يعتريه من تطور " [31]، وفي ذات السياق يوضح **دوركايم (E.Durkheim)** في كتابه **علم الاجتماع والفلسفة** أن " القاعدة الأخلاقية لا يمكن أن تنبثق عن الفرد، فليس كل فعل يمكن أن يسمى فعلاً أخلاقياً، بل إن الفعل يصبح أخلاقيا عندما يقوم على أمر صادر عن المجتمع، ومن ثم تكون القاعدة الأخلاقية نتاجا لعوامل اجتماعية خالصة، بل أن القيم أيضا هي نتاج اجتماعي، فهي لا تعبر عن تصورات أو تفضيلات شخصية، وإنما تعبر عن تدرج التفضيلات كما يضعها المجتمع الذي يفرضها ويحدد لها موضوعاتها".

فالقيم الأخلاقية تسمد معناها وقوتها من الجماعة وتسود الجماعة قيم اجتماعية هي بالأساس معايير وأهداف لابد أن توجد في كل المجتمعات المنظمة سواء كانت متأخرة أو متقدمة، فهي تتغلغل في الأفراد في شكل اتجاهات ودوافع وتطلعات. وتظهر في السلوك الظاهري الشعوري أو اللاشعوري، وفي المواقف التي تتطلب ارتباط هؤلاء الأفراد بعضهم ببعض، فالقيم تعبر عن نفسها في قوانين ولوائح وبرامج التنظيم الاجتماعي والنظم الاجتماعية. تتضح أهمية القيم وتحديد مفهومها من جوهر تفاعل الفرد مع بيئته. وتعرف القيم الاجتماعية على أنها " مجموعة من القيم التي

---

29 عادل العوا، **القيم الأخلاقية**، الشركة العربية للصحافة الطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 1965، ص ص 229/230.

30 إسماعيل عبد الفتاح، **موسوعة القيم والأخلاق الإسلامية**، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر، 2005، ص94.

31 محمد عابد الجابري، **قضايا في الفكر المعاصر**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص43.

تمس النواحي الاجتماعية في حياة الإنسان ومعيشته، أي أنها القيم التي تتعامل مع الواقع الاجتماعي للفرد بصفته أحد أفراد مجموعة من البشر، تعيش معا، وتتعاون معا، ولها تقاليدها وعاداتها وقيمها وسلوكياتها "[32]، من أهم معانيها العدالة(العدل/القسط)، الحكم بالحق، العدالة الاجتماعية، العدالة الإنسانية، التحرير الوجداني البشري المطلق، الأمن والطمأنينة، النظافة والتجميل وغيرها.

لكن ما هو الدور الذي يمكن أن تلعبه القيم الأخلاقية في إرساء دعائم التنمية المستدامة؟

من أهم القيم الأخلاقية التي ارتبطت بمفهوم التطوير والتنمية أو عمارة الأرض في المنهج الإســـلامي قيمة "**العمل**" ويقول تعالى ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ [سورة الجمعة، الآية 10] وتجمع هذه الآية بين العبادة والعمل لتكمل صورة الخلافة حيث تأمر بالانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله ومضمون ذلك ممارسة كل ما يُمكن من وجوه العمل والإنتاج للحصول على الخيرات التي فضل الله بها على الإنسان، وقوله صلى الله عليه وسلم "طلب الكسب فريضة على كل مسلم"، والأدل على قيمة العمل ورود الفعل" عمل" وتصريفاته في القرآن الكريم **359** مرة في إشارة لأهمية وعظمة العمل. كما جاء في محكم تنزيله عز وجل ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسله والمؤمنون ﴾ [سورة التوبة، الآية **10**]، لذلك سيتفانى الفرد المسلم العامل المشبع بالقيم الدينية والأخلاقية السليمة في تقديم أفضل ما عنده لمجتمعه حتى تعم الفائدة وينتفع الجميع.

من القيم الأخلاقية أيضا **تحقيق حد الكفاية** وقد عبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه بأنه "توفير القوام من العيش، أي ما به تستقيم حياة الفرد ويصلح أمره، ويكون ذلك بإشباع احتياجات الفرد التي تجعله يعيش في مستوى المعيشة السائد، دون وجود فجوة واسعة تفصل بينه وبين غيره" [33]، حيث تحمل هذه القيمة الكثير من معاني التكافل والتكامل الاجتماعي وقيم التسامح والتآخي بين أفراد المجتمع.

من كل ما سبق يمكننا القول أنه " ولدت تحولات وتغيرات في النسيج الاجتماعي مما يعمل على عدم خضوعه للضوابط المعيارية والقيمية التي أحبكته عبر الزمن، إلا أن هذا النسيج لا يبقى على ما هو عليه، بل يتطور بالتدريج من خلال الأجيال المتعاقبة، ومن خلال ما يتأثر به من مؤثرات خارجية أو داخلية "[34]، لذا فإن إعادة بعث القيم عملية مهمة تتطلبها كل عملية تنمية وتطوير من أجل ترشيد و توجيه اهتمامات وسلوك الأفراد والجماعات نحو غايات وأهداف البناء، وقد أثبتت التجارب الوضعية عبر تاريخها قُصورها عن حمل المعاني السامية للتنمية والتنمية المستدامة، وحصرها في الرفاهية المادية فقط، بينما قدم الإسلام نظام اجتماعي متكامل يجمع بين شؤون الدين

[32] إسماعيل عبد الفتاح، مرجع سابق، ص172.

[33] شوقي أحمد دنيا، مرجع سابق، ص99.

[34] معن العمر، **قضايا اجتماعية معاصرة**، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة، ط1،

وأمور الدنيا، بين العلم والعقيدة، ويوازن بين الفرد والجماعة، بما يحمله من القيم الشاملة الجامعة والمتكاملة التي تمنح للفرد والجماعة حقه، وتعرفه بحدود واجباته تجاه الأخر مهما كان(إنسان، حيوان، طبيعة). والتمسك بالقيم الدينية والأخلاقية تسمح وتمكن الفرد من الفهم الصحيح لمعاني رسالته في الحياة وأن الله خلقة لعمارة الأرض ومكنه وكرمه وسخر له ما في الأرض جميعا حتى يؤدى وظيفته في هذه الدنيا على أكمل وجه. وفي ذات السياق يؤكد الكاتب الفرنسي جاك أوستروي في كتابه نظرات إسلامية في الاشتراكية الثورية "إن الإسلام هو نظام الحياة التطبيقية والأخلاق المثالية الرفيعة معا وهاتان الوجهتان مترابطتان لا تنفصلان أبدا، ومن هنا يمكن القول أن المسلمين لا يقبلون اقتصادا علمانيا، والاقتصاد الذي يستمد قوته من وحي القرآن يصبح بالضرورة اقتصادا أخلاقيا، وهذه الأخلاق قادرة على أن تعطي معنى جديدا لمفهوم القيمة، أو تملأ الفراغ الفكري الذي يوشك أن يظهر نتيجة آلية تصنيع.. [35].

المراجع:

1. أحمد مصطفى خاطر، **تنمية المجتمعات المحلية**، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 1999.
2. إحسان محسن الحسن، **التراث القيمي في المجتمع العربي بين الماضي والحاضر**، مجلة الدراسات العربية، عدد 9، 1990.
3. أحمد أبو اليزيد الرسول، **التنمية المتواصلة: الأبعاد والمنهج**، مكتبة بستان المعرفة، الإسكندرية، مصر، 2006.
4. أحمد بدوي زكي، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1992.
5. إسماعيل عبد الفتاح، **موسوعة القيم والأخلاق الإسلامية**، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر، 2005.
6. امطانيوس مخائيل، " الخصائص القياسية للصورة العربية لقائمة أدوار الحياة- مقياس القيم "، **مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس**، عدد1، دمشق، 2002.
7. حليم بركات، **المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 1985.
8. عادل العوا، **القيم الأخلاقية**، الشركة العربية للصحافة الطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 1965.

[35] محمد محمود البابلي، **الاقتصاد في ضوء الشريعة الإسلامية**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط2، 1980، ص47.

9. عبد الحليم أحمد، **تعليم القيم في نظم التعليم العربية**، ورقة مقدمة في مؤتمر القيم والتربية في عالم متغير، جامعة اليرموك، الأردن، 1999.

10. عبد الباسط عبد المعطي، " عرض تحليلي لمفهوم القيمة "، **المجلة الاجتماعية**، العدد 1، مجموعة 7، 1970.

11. عثمان محمد غنيم وماجدة أحمد أبو ونط، **التنمية المستديمة: فلسفتها وأساليب تخطيطها وأدوات قياسها**، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007.

12. على خليل أبو العينين، **القيم الإسلامية والتربية**، مكتبة إبراهيم الحلبي، المدينة المنورة، السعودية، ط1، 1985.

13. سمير محمد فريد، " القيم وتأثيرها على فعالية التنظيم الجيد "، ورقة مقدمة في **الملتقى الدولي حول القيم وتسيير المؤسسات**، من تنظيم معهد الاقتصاد جامعة فرحات عباس سطيف(الجزائر)، 26/25 مارس1986.

14. شوقي أحمد دنيا، **الإسلام والتنمية الاقتصادية**، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1979، ص 47، عن: محمد بن أحمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مطبعة دار الكتب المصرية، ط2، ج1، 1935.

15. فريدة زمرد، "التصور القرآني للتنمية ودور المرأة"، **ملتقى دور المرأة في التنمية المستدامة(الرباط_16/12 نوفمبر2007)**، المنظمة العربية للتنمية الإدارية(أعمال المؤتمرات)، القاهرة، مصر، 2008.

16. رسلان بسيوني صلاح الدين، **القيم في الإسلام**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1990.

17. محمد عابد الجابري، **قضايا في الفكر المعاصر**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

18. محمد محمود البايلي، **الاقتصاد في ضوء الشريعة الإسلامية**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط2، 1980.

19. معن العمر، **قضايا اجتماعية معاصرة**، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة، ط1،

جدلية البناء والهدم في الأثر الفني الزائل التخطيط

د.نسرين غربي تونس

الملخص :

استنادا إلى ممارسة ذاتية نحاول في هذا المقال أن نقدم جملة من المفاهيم والمصطلحات التشكيلية من خلال بعض الدراسات النظرية التي توضح حدود المفهوم المعالج ضمن إطاره النظري الأصلي تتمثل في الزائل ،الإجتياح ،الزمن،التفاعلية...... انطلاقا من فكرة نشأت على اثر متابعتنا للعلاقة القائمة بين المكان والزمان في فضاء شاطئ البحر يخضع إلى نظام كوني نرصد من خلاله حركة الزمن اثناء عملية المد والجزر أردنا أن نشارك فيها الطبيعة في تفاعلاتها بتدخل تشكيلي نواجه فيه مياه البحر بتجسيم تشكيلي يخضع الى مقاربة بين الفعل وردة الفعل وما ستفرزه من تفاعلات فنية .

كلمات المفاتيح :الزائل ،الزمن ،فن الأرض ،الفضاء المفتوح ،الطبيعة...

Summary :

based on personal experience, in this article we attempt to present number of concepts and plastic terms through some theoretical studies that illustrate the limits of the concept which is tackled within its original theoretical framework in the form of the ephemeral, the overflowing, the time ,interactivity and so on. starting from an idea that emerged as a result to our observation to the relationship between space and time in the beach space which is subject to a cosmic system in which we observe the movement of time during the tidal process. We wanted to share nature in its interactions with a plastic intervention in which we encounter the sea water with a plastic sculpture which is subject to an approach between the act and the reaction, as well as the .artistic reaction resulted from it

... Keywords: ephemeral, time, earth art, open space, nature

المقدمة :

إن ما تمثله جملة القيم الفنية و التعبيرية داخل الفضاء المفتوح هي صورة معبرة عن الفعل التشكيلي و البناء المفهومي للعمل لما يجعل من الكتلة والفراغ، و الحركة والسكون، وسائل تشير عن حضور المفاهيم الفنية النابعة من فن الأرض باعتباره فن زائل يرتبط بالزمن يصدر نتيجة مفاهيم تكوّن أثرا على المجسم التشكيلي داخل الفضاء المفتوح ،في موقع العمل الفني متشكلا مكونا للأثر الزائل. من هنا برزت العديد من الفنانين في هذا الحقل الفني و تنوعت أساليبهم و تقنياتهم في هذا التوجه منذ إنطلاقته في أواخر الستينات من القرن الحالي بالولايات المتحدة الأمريكية ،وقد كسّر كل القواعد الكلاسيكية و خلق عا لم فني منفتح متحرر من هيمنة الفضاءات المغلقة وأصبح يتجسد في تماثيل ونصبا شاهقة تعبر على فن الأرض في عدة أماكن كالجبال و الغابات الصحاري و الشواطئ ...حيث المناظر الطبيعية الخلابة التي تعطيها جمالا ساحرا تنشر فيه روح السكينة و الراحة النفسية والإحساس الحقيقي بالحرية خاصة أن الإنسان بطبعه دائما ما يبحث عن الجمال فإن هذا التوجه الفني ينمي للفرد عادات إيجابية تمكنه من تعلم و معاينة الجمال وممارسته كالرسم و التصوير التشكيل و التصميم ليصبح أكثر اهتمام بالطبيعة ونتاجات فن الأرض ،و إعادة النظر من موقفه في البيئة و الأرض ومحيطه الطبيعي جعلت منه التقنيات الحديثة فن معاصر يتناوله الفنانون بطريقة ليست بالضرورة تستند إلى إمكانيات ضخمة بل حتى على تبسيط الأشكال ، و استخدام مواد يومية موجودة بالقرب منا تلتقي في مجموعة من العناصر المختلفة تكوّن تراكيب أو مقاربات معينة تضيف تغير للخامات وتخلق تعبيرات فنية وقيم رمزية على كامل العناصر التشكيلية فهي تمثل " **"رؤية جماليّة فلسفيّة تشمل الإنسان والطّبيعة"** [36]استطاعت هذه الرؤية التشكيلية أن تنقلنا إلى عا لم يحتضنه الفنان في شكلها لجمالي يجعلنا نلج داخل عالمه المنفتح في إطار صورة تبوح عن أسرارها المعبّرة عن الحياة والوجود .

لذلك نجد الفنّان دائم البحث عن الصورة التشكيلية المعبرة و المثيرة لأنها أول وسيلة اتصال مباشرة مع العمل الفني الهدف منها محاولة إيجاد علاقة تواصليّة بصرية مع المشاهد يتخذها الفنان جزء في سياق منظومة الإبداع وهي عملية اختبار للأبعاد التّأثيريّة والثنائيّات التشكيلية للمادة عادة ما تجتاح فضاء المكان لتأخذ منه منحى تشكيلي ديناميكي تسوده إيقاعات المادّة وتتداخل فيه بطريقة تنفتح على مشهدية جديدة تجمع ثنائية الفن و الطبيعة تعزز الوعي و الاهتمام بفن الأرض، خصوصا وأن الكثير من الفنانين في هذا المجال كانت تجاربهم الفنية مكتنزة بالعديد من الخامات المتنوعة والتقنيات الحديثة قدمت العديد من الرؤى المختلفة و الغير مألوفة .

في النهاية هو تمثيل لصورة التشكيل تعمق التأويل الإيقاعي وتتخذ جانبا تعبيري في تشكيل محتوى العمل الفني، داخل فضاء مفتوح وليس أي فضاء بل هو فضاء الطبيعة ثري بالمواد و الأحجام قد تلعب دورا أساسيا في صياغة الأفكار و الاختيارات يستطيع من خلالها الفنان أن يتوسع في الحلول وتوظيف الخامات البيئية كالأحجار والرمال

[36] قبسمير الصّايغ، *الفنّ الإسلامي*، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص 155.

وفروع الأشجار يستثمرها كموجودات مكانية في تجسيم نصبا بالنحت و الرسم أو التركيب ... وتكون عادة مشبعة بعدة مفاهيم تشكيلية وفنية متعلقة بالفضاء المفتوح من هنا تجلت فكرة موضوع البحث بالخوض في تجربة ذاتية داخل فضاء شاطئ البحر قائمة على مفهوم الزائل وما يترتب عليه من مفهومي الاجتياح والتملك للمكان وما يتطلبه من اكتشاف المادة و التعرف على خصوصيات الخامة و إستدراك كل ما هو ضروري إستجابة للمفاهيم التي يتأسس عليها هذا الانجاز التشكيلي مع الأخذ بعين الاعتبار إلى مكونات المكان و أثر الزمان لإعادة إنتاج خطاب جمالي و فني يكرس المفاهيم الفنية برؤية إبداعية تتناسق مع الخصوصية المكانية فهي مصدر الخلق و الإبداع تعكس رؤية تفاعلية مع عنصري الخامة والشكل، يترجم في تنصيب بنائي يعبر ويؤثر في قيمة العمل الفني.

ومن هذا المبدأ نعتبر أن لكل تشكيل فني له مجموعة من التصورات و الرؤى الفكرية وهي التي تحدد لغة ومفردات الفنان إذ أن المكان يتشكل بواسطة الأداء التشكيلي فهو الإطار الذي ينفذ فيه الانجاز الإبداعي و الوعاء الذي يحوي الأشياء ليصبح مفصح معبر تتشكل و تتغير ضمنه لغة الفن بما يناسب روح ومفاهيم الفضاء المفتوح الذي سادت فيه لغة الذات إنطلاقا من رؤية فكرية تجعل من الفن المجرد يتسامى من خلال تفاصيله تبحث عن المطلق المتعالي، في مستوى رؤية تشكيلية ومعرفية حتى تبرز الأهداف الإبداعية المرسومة و يكون الشكل هو المعبر عن البناء الفني تتموقع منه المادة الخامة كوسيلة للوصول إلى عمل فني يلغي الحدود بين الموجودات وهو بمثابة بصمة خاصة بالفنان بكونها تأثث لأسس فنية و ذاتية نفسية تحمل بين دواخلها كياناً ومنطقاً خاصاً بها، وبذلك تكون مادته البنائية المستعارة من مواد متنوعة من الطبيعة والأشياء المحيطة بنا قد حققت الجوانب التشكيلية والتعبيرية يمكن إدراكها والحكم عليها.

الإشكالية:

– ماهي الرهانات الفكرية و التشكيلية للخروج من القوالب النمطية ؟

– ماهي الجوانب الثلاثية التي أسست عليها العلاقة القائمة بين الأثر الفني و الفضاء و الزمان ؟

– و ماهي تجليات المادة في الأثر الفني الزائل ؟ و هل يمكن للطبيعة أن نعتبرها عنصرا في تشكيل الأثر الفني الزائل ؟

I–الطبيعة فاعل أساسي في الأثر الفني :

"الطبيعة جميلة عندما تظهر بمظهر الفن و لا يمكن أن نسمي الفن جميلا إلا إذا وعينا بأنه فن مع أنه يظهر بمظهر الطبيعة "[37]هذا ما أكده الفيلسوف كانط بالإتفاق مع هذه القولة فإن الإبداع لا يمكن أن يكون إنتاجا

[37] سعيد جلال الدين، معجم المصطلحات و الشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر تونسي 1992، ص405.

لما تم إنتاجه أو محاكاة لتجارب فنية أو نقلا لما في الطبيعة بل هو تمكن من تقنيات الممارسة الفنية و تميز و إختلاف و إبتكار يعكس تجربة فنية ذاتية محددة في الزمان و المكان و متفردة في الرؤى و المقاصد . إن رؤية الفنان لم تعد إنعكاسا لما هو موجود بل تجاوز بأتم معنى الكلمة بفعل إدراك فكري فني ذاتي ...حيث بدا سطح الطبيعة بعناصره التشكيلية ،إنطلاقة لتعبير تشكيلي متميز مما يجعل الحامل هو الأرض نفسها.فها نحن و بعد إنفصال الفنان الكلي عن محكاة الطبيعة قد إختلف الأمر حين صارت الطبيعة هي التي تشكل الأثر الفني يقول رافع الناصري في هذا الصدد "**الطبيعة و الإنسان مصدران مهمان لمخيلة الرسام منها يستقي جل مواضيعه عبر كل الأزمنة ،سواء في كليهما أو أي منهما دائما،فهناك شيئ من هذا و ذاك في هذا البحث أو هذا الأسلوب .ليس للرسام من قدرة خارقة يتجاوز بها الطبيعة....و كل ما يفعله الرسام أو الفنان هو من ذاكرة الطبيعة أو من إيحائها المخزون في الذاكرة البشرية** ."[38]

و حين صار العمل الفني كغاية في ذاته وأصبح الفنان يبحث عن تجاوز لعمله ،بمعنى آخر عندما توهج فيه ما أسفرت عنه متطلبات الفن المعاصر من حب إستطلاع و إرادة و جرأة .فكان إندفاعه لتكوين عمل فني يكون عالما من التغيير،له صفة اللاثبات تضمنه معطيات جديدة كالتعبير في الأرض أي خارج إطار اللوحة بدلا من اللوحة الثابتة.

فالتعامل مع الأرض إنما يوضح حالة من خصوصية التعبير الجديد فقد قطع كليا مع العمل داخل إطار اللوحة،لأنه مثقل بمضامين فكرية و إبداعية أخرى ، و هي ظواهر لما هو موجود أمامنا أو بالأحرى لمفردات أو أشياء حياتية هامة ،تمتزج بما في الطبيعة و ما في ذهن الفنان و ترتكز عليها .هكذا ولدت أفكار العديد من الفنانين المنتمين إلى فن الأرض LAND Art متحولا هاما في الأسلوب الفني في تنويع الحامل و في الممارسات التشكيلية لأنها كانت غريبة من نوعها إستنادا إلى طابع متمرد للفن و تحرر الذات الفنية من كل المرجعيات الضاغطة و المهيمنة إذ تحولت الأسلوبية نحو الفردي بدلا من المحدد العام .

فهذا يعتبر حدث تشكيلي معاصر يحدث تأثيرا لدى المتلقي ،رغم أن الفنان هنا لم يعد يؤمن لا بقوة اللون و لا الخط و لا حتى الشكل ...بل عمد إلى خلق توازن بين الذات و الأرض لأنها صارت وسطا للتعبير لا يشترط صدق المحاكاتية . و يقول محمد أمهز "**هكذا فإن العمل الفني ....بات تساؤلا ذا أبعاد فكرية و نفسية جديدة على علاقة بالتجربة المباشرة** ."[39]فقد أصبح التعامل مع المكان أكثر إتساعا حيث تجلت تجارب أغلب الفنانين المعاصرين بالنحت مباشرة في الطبيعة فالمساحة المحددة لقماشة اللوحة تطلبت و إستوجبت تجاوزا جذريا للانطلاق في فضاءات أوسع فغادرت الأعمال الفنية مساحتها التقليدية وبحث الفنان عن مجالات مفتوحة لأنجاز أعماله و عرضها وفق أساليب مختلفة و في أماكن كالبنايات المعمارية والشوارع والحدائق أو بقياس الطبيعة كالأرض

---

[38] محمد ابو زريق "المكان في الفن "–طبع بدعم من وزارة الثقافة –عمان –الأردن ، ص 173.

[39] محمود أمهز، *التيارات الفنية المعاصرة* ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر 1996، بيروت لبنان ،الطبعة الأولى، ص489

و الصخور و الجبال و البحار أو الأنهر و المحيط الحضري ."**حيث نادى فنانو هذا التيار زمن نيوتن وإنشاء أعمال فنية تسعى إلى الخلط بين الماضي و المستقبل و الإنتصار ل "الأن "**.[40]

لذالك فإن فن الأرض هي حركة فنية إرتبطت إرتباطا وثيقا بالمناظر الطبيعية و هي أيضا الفن الذي تم إنشاؤه في الطبيعة باستخدام مواد ذات إستعمالات يومية مع دمجها بمواد طبيعية كالمياه والصخور والأوراق.....وكان الهدف من إنتاج مثل هذه الأعمال هو تجاوز الفكرة الخاصة بالصورة المتخيلة للوصول إلى الواقع ذاته، فالفنان و المشاهد مدعوان للدخول إلى العمل الفني و الخروج منه، مثل الحياة نفسها بمعنى أن الإنسان خرج من الأرض إليها من خلال مواردها الطبيعية والعمل الفني هنا لم يعد له وجود إلا بإندماجه وذوبانه في الطبيعة. لقد جانب فنانو فن الأرض الطبيعة و نشدوا أعمالهم منها لاجئين إلى إخضاعها قاعدة لعملهم ،جاعلين منها ركيزة لإستجاباتهم التشكيلية. و لما كانوا يبتغون الخروج عن المألوف بحثا عن الغريب،كانت أعمالهم سعيا إلى المناهضة المقصودة للطبيعة و العمل بداخلها بإستخدام عناصرها .هكذا أبدوا إهتماما خاصا بها و بذلوا جهدا فكريا تحليليا تركيبيا لإختراقها ، بغية كشف عما شعروا بما فيها لأنها الجوهر الأساسي في الأثر الفني فإنتهاجهم أساليب البساطة معها إنما يدعو للتأويل التشكيلي تجانسا مع روح المعاصرة .بذلك ترك تجاوز الحامل التقليدي أثره في نوعية موضوعات الفن المعاصر .

وما يجعل من الطبيعة محورا مهما ودائما في المجالات الإبداعية وفي الممارسات الفنية حيث تعتبر الوسيط المادي الذي به ومنه يتم تجسيد وإستشعار القيم والمعايير الفنية والجمالية ، ومن ثم فإن دراسة الموقع أو الفضاء المفتوح في تجربتنا تطلب تحديد فكرة إستراتيجية داخل الطبيعة إحتضنها شاطئ البحر فهو فضاء واقعي يجمع بين السماء و البحر و الأرض فهو فنيا يعتبر أساساً حيوياً نقف من خلاله على مدى تقدم الفكر التشكيلي فنيا وإبداعياً وقدرته على التجريب وتطويع كل الوسائل والآليات خدمة للفعل التشكيلي .

لعب هذا الفضاء الطبيعي بعدا تأثيريا لدينا خصوصا و أنه يضطلع بدور إبداعي جمالي و إستيطيقي يغوص في فضاء الصورة و يكشف عن جملة من المفاهيم الأساسية التي يجب أن تكون بالضرورة حاضرة داخل العمل التشكيلي خصوصا منها المادة و الخامة والمكان و الزمان بما أنها تمثل جملة من المفاهيم عليها يتأسس الفضاء التشكيلي و من خلالها نغوص في عالم الطبيعة و الإبحار في فضاء مفتوح تتفاعل فيه الظواهر الطبيعية والبيئية والمناخية مع المواد و التقنيات تكوّن جملة من التشكيلات والتراكيب الفنية . لعل هذا ما دفعنا إلى الاهتمام بهذا الاتجاه الفني و الغوص فيه وفق منهج ذاتي ينتقل بالتجربة إلى أساس بناء الفضاء نظرا لكونه بمثابة فضاء تلعب فيه أنساق و العلاقات التصويرية دوراً نشيطاً تجعل من المكان حاملا لجملة من البنى التعبيرية حولت بنية الشكل إلى عالماً قائماً بذاته وفق بنية المشهد المرئي ،مما يخلق عدة مفاهيم فنية منظاهرية الأشياء التي تتبدل بفعل المتغيرات المتلاحقة على

[40] نزار شقرون، *الحقيقة في الفن*، دار الثقافة و الإعلام حكومة الشارقة ، منشورات المركز العربي للفنون، ص229

بنية الشكل بسبب تبدل الطقس و فاعلية المكان فيه ،حيث يتطلب الأمر إلى تصور سريع كي نتمكن من تسجيل معالم الطبيعة الأكثر دقة وشفافية ضمن تجسيد الأعمال وتخيلها وفق منهج يهتم بالعلاقات المشهدية بمعنى أن الطبيعة التي كانت في سلطة نظام زمني مهمش قد أصبحت تمثل البنية المهيمنة في حضور مميز برؤية نسقية تقوم على التحليل والتركيب للمشهد وفق ما تمليه اللحظة المكانية و الزمانية تبين صيغة البناء الفني في ظل التقنيات المستعملة ساهمت في البعد البنائي تعكسه تركيبة التنصيبة جعلت من الفضاء يسبح في بنية فنية تحقق الذوبان في الزمان و المكان نلمس فيه إطلاقية تناغمات الألوان و الأشكال من خلال بنية التشيكل التي تكسبها مسوغاً يحررها و يجعلها تتفاعل مع مكونات الفضاء في مساحة واسعة ومهيمنة .

تظهر فيه الجوانب و الأبعاد التشكيلية للعمل في سياق رؤية فنّية و فكريّة تجمع بين الأثر الطبيعي و الأثر التطبيقي كانت في حد ذاتها غاية مرسومة في بحثنا وذلك لارتباطها بالفضاء المفتوح الذي يأخذ منحى جماليّا تغوص منه الذات ضمن واقع صوري يفتح بابه على التأويل و القراءة المفتوحة تجعل من الإدراك البصري للشكل و اللون إدراكا تتحوّل فيه الرؤية الحركية تحت سلطة الزمن إلى تأثير طبيعي لانهائي جزئي أو كلي يجتاح الفضاء و يساهم في تطوير المفهوم الدلالي و التشكيلي للعمل و يترجم أبعاده الفنية التي تتفق مع التطورات الفنية والمعرفية و الجمالية فرضها الشكل التعبيري الجديد. ويمكن أن نستشهد في هذه الصياغة التشكيلية بتجربة **الفنان "كريستو"** كمرجع متقدم في هذا المجال بعنوان الجزر المحيطة (مشروع بيسكين، ميامي الكبرى) يمثل إنجاز فني ضخم يتموقع بعرض البحر في فضاء مفتوح داخل الطبيعة يحمل عدة جوانب تعبيرية ومهارات معرفية للفنان حيث تتميز فيه الرؤية الفنية والإبداعية التي سيطرت على الفضاء معتمدا على قدرته في الجمع بين المادة المصنعة والمادة الخام مثلت موضع بحث تحقق فكرته أثناء ممارسته الفنية فيتجه الفنان إلى تشكيل فضاء فني خارق لكل الحدود و هذا ما يتأكد في هذا العمل المصاحب .

Christo and Jeanne-Claude
Surrounded Islands ,Biscayne Bay,Greater Miami,Florida ,1980-83

فالفنان يحاول أن يجعل من العالم المفتوح بمثابة الحقل البصري في تمثيلية الوجود الملموس يعكس أسلوبه الفني و يحقق قيم تشكيلية سيطرت عليها الألوان في حضور مميز للمادة المستعملة داخل هيكل التنصيبية العائمة تتوسطها جزيرة خصبة بالأشجار الخضراء زادت إثراء المشهد في بعديه التشكيلي و الجمالي وسط البحر ما يثير الغرابة والذهول في ظل حضور جماهيري غير مسبوق أتاح للفنان نظرة شمولية لاستكمال أو ملئ المكان على أنه مسرح يحتضن دور تفاعلي مع المتلقي فيحوله من عنصر مستهلك للمشهد إلى عنصر فاعل ومتذوق للعمل الفني في فضاء مفتوح " فن الأرض " فيغذي ثقافته البصريةٌ و الفكرية إستجابة لمداركه الحسية و الجسدية للمضمون الذي قٌصده الفنان .

فهي أعمال عملاقة تشكل إمتداداً طبيعياً شاسعا تترعرع و تنمو فيه جملة من المفاهيم والقيم الفنية التي ترتبط بالشكل و العرض على حد سواء لتكون مبهرة تجتاح المكان من خلال سيطرة أسلوب الفنان ليرسم طابعا أو بصمته الخاصة في التعبير الشكلي ينطلق من ذاتية خالصة مصدرها الأرض المفتوحة و تفاعلاتها مع المتغيرات والتحولات الزمانية و المناخية فهذا **"الأثر الفني هو نتيجة عمل استطاع الفنان خلاله أن يقهر مادة طبيعية بواسطة أدوات ووسائل فنية تقنية"**[41].تمثل إنجاز تشكيلي يحمل بين طياته رؤية سيميائية وفنية رهينة مدى قدرة التوظيف في صياغة الشكل و التنظيم و البناء و التركيب إلى عملية تستقطب المشاهد و تميل إلى إنتاج عمل تشكيلي مستلاذ عن الثبات الذي تتميز به اللوحة فالعمل داخل الفضاء المفتوح هو خيال مفتوح يقدم للفنان حرية في إستخدام ما يشاء من مواد وخامات كانت مهمشة فيما مضى أصبحت مركز الاهتمام، حيث تتفكك فيه بنية العمل التشكيلي و يغيب فيها الشكل والمعنى ليتحول العمل الفني إشتغال مكثف على حضور مفاهيم تذكر بالنهاية و الفناء ولعل هذا ما أكد عليه "جيل دولوز" في قوله **"إن الهدف من استعمال المواد في الفن هو نقلها من المعنى إلى المعنى المفهومي للأشياء"**[42]فوضعها في مسارها التشكيلي وحمّلها وظيفة المدلولات و الإيحاءات هذا هو دورها في تحقيق رؤى فنية وتواصلية حيث أن **"الصورة تكون دوما مرجعا و ذو علاقة بالأصل في بعد يعبر عن الزمان و المحاكاة تأخذ شكلا تجسيدي بغوص في مقاييس تتماشى و تتطابق مع النموذج"**[43]ويمكن أن نشير في هذا السياق الصورة التشكيلية التي يجسدها كريستو في أعماله إنطلاقا من رؤية فنية تحمل

---

[41] راتب مزيد الغوساني، *المعايشة الجمالية اكتشاف اللاشيء في الفن-اللحظة والدافع* ، دار الينابيع، الطبعة الأولى، 2004، ص 122.

[42] « L'art conceptuel cherche une dématérialisation opposée par généralisation, en instaurant un plan de composition suffisamment neutralisée »

Gilles Deleuze Félix Guattari « **Qu'est ce que la philosophie** ». Éditions de minuit, Paris, p 187.

[43] L'image est toujours référentielle, se rapportant à l'original dont elle tient lieu et l'imitation est une forme de représentation particulière, fondée sur des critères de ressemblance et de conformité au modèle.

Hotter- Isidore de Séville Encyclopédie universalise, Editeur à Paris, 2008, page 231.

بين طياتها هياكل جمالية معبرة عن ديناميكية المكون التشكيلي الذي يبين صيرورة فيزيولوجية تعيشها الإنسانية تنتهي بالزوال عبر عالم فني يكون متشكلا وفق تفكير فني .

وبالتالي فإن الإبداع الفني داخل الطبيعة هو عمل تشكيلي مشترك أثمره فعل الفنان و آثر الطبيعة ما يجعل من المفاهيم الفنية أسس هذه الأعمال نلاحظها خاصة مع تجارب كريستو فهي أعمال يطغى عليها مفهوم الاجتياح وتتسم بهذا الطابع المفهومي فكل إنجازاته الفنية لها نفس المبدأ بالتسلط وتملك المكان بطريقة توزيع وتكرار المواد من نفس المفردة وهو ما نجده يتواصل في أغلب أعمال فناني الأرض لكن كل حسب أسلوبيته المختلفة .

و في هذا الجانب نجد أيضا تجربة الفنان جون دينفان خير دليل على ذلك جعل من الإيقاع المائي المتحرك وسيلة لبناء و زوال العمل التشكيلي ضمن تدخل الزمن و فاعليته في المكان فهي أعمال تبرز محاولة الفنان في ربط الفن بالحياة ، وبما هو رؤية معبرة عن عالم مفتوح يتحرر من سلطة اللوحة حيث أنها لم تعد اللوحة ذلك الشيء المتعالي، بل عليها الاقتراب من متذوقيها نتيجة لإعادة صياغتها من منظور الرؤية الترميزية القادرة على قراءة للعمل الفني و إعادة تركيبه لبناء أشكال وصياغات جديدة تتجلى في تكرار الشكل والتدرج به من الصغير إلى الكبير على نحو يحقق تجاذب نسقي يفعّل الرسوم البنائية للصورة .

Sand Art : Jim Denevan

في هذه الرؤية للفضاء تطرح الصورة ترجيح الكفة إلى ما هو مرئي يشكل عمل في نطاق التحرر من الفضاء المغلق على حساب ماهو مرئي في فضاء قماشة اللوحة. وتجدر الإشارة إلى الصورة في فضاء العرض بطريقة مباشرة توجه إلى المتقبل ويمكن القول أن "**ترجمة الفضاء امتداد بإمكان مجموعة من النقاط أن توجد فيه في آن واحد، و يمثل الإطار الذي توجد فيه الأجسام المادية و الظواهر الفيزيائية. و لا تأخذ الإستيطيقة بعين**

الاعتبار الفضاء الإقليدي الثلاثي الأبعاد و لكن ليس لهذه المفاهيم إشغالات إستيقية، لأنها لا تمثل مفاهيم الإدراك الحسي سواء كان واقعيا أو خياليا "(44).

لقد اهتم دينفان بمسألة الفضاء المفتوح داخل الطبيعة بصورة منهجية واقعية منظمة حيث إلتزم بالمكونات الطبيعية والزمنية بغية الوصول إلي التعبير والترميز من خلال الأشكال التي ينحتها على الشواطئ انطلاقا من رؤية تقوم على التآلف والتناسق بين الأشكال الهندسية الدائرية تتدرج مساحاتها من الصغير إلى الكبير أو العكس هكذا تقدم الصورة حضورا تتجانس وتتداخل فيها الخطوط في ألوان متفاوتة الأضواء و الظلال تنتشر وتتأثر بتأثير حركة الزمن التي تقوم على نور الشمس .فهي صياغة خلق شكل جديد يتجاوز الشكل المألوف يقرأ بكونه فن سريع ولا يدوم طويلا بالتالي فهو وقتي زائل، ولكنه عميقا لمعنى فهو فن الحدث مثير ومدهش غني بالحركة لا يعرف السكون فالأضواء الساطعة المتغيرة ومياه البحر المتموجة بمثابة الأداة للفعل التشكيلي فهي ديناميكية تناسق بين الداخل و الخارج ويمكن القول أن الحركة جوهر العملية الإنشائية في الأثر الفني الزائل تناشد ثنائية مرحلة الفعل وما بعد الفعل هذا ما أكد عليه باشلار في قوله " **يشكل الداخل و الخارج انقساما جدليا** "[45] فيمثل بذلك فضاء العرض وسيلة تشكيلية للإنتاج رمزية فنية تحمل خطابا تشكيليا يبوح بأسرار الطبيعة و يكشف عن دلالتها الصورية و التشكيلية في مسار فني يتعامل فيه وفق زاوية إدراكية تتقمص منهجا فكريا يتجاوز الإيقاعات الإبداعية و يعبر عن غايات إدراكية و دلالات فنية رمزية تتجلى ضمن فاعلية الأثر في الطبيعة و ما يحمله من إبداعات تمتزج فيها المزايا الفنية المنفلتة من المكان و الغائصة في الفضاء التشكيلي.

فالفضاء يعتبر وعاء توضع داخله النصب يشير إلى نزعة فنية ذات صلة بفكر الفنان ورغبته في التوجه نحو فضاء دون آخر وهذا يندرج في سياق منهجية التشكيل وفي استراتيجيا يعتمدها دينفان فهو لم يقتصر على أسلوبية التشكيل فحسب بل أصبحت خصوصية الفضاء الطبيعي تمثل جزءا لا يتجزأ في خلق الإكتمال داخل العمل الفني تعبر عن رؤى الفنان وهذه النزعة تفرض عليه هيكلة المكان نظريا ولوجستيا تكون في جاهزية تامة لمجابهة تغيرات الزمن .فالعرض الفني يقتضي تفاعلا مع النصب التي تندمج في المحيط الحامل لخصوصيات الداخل و الخارج كآثار فنية زائلة تأسست مع مبدأ أفكار و أحلام الفنان من المحيط الذي يعايشه إلى إطار متغيرا يعبر عن

---

[44](-Etienne Souriau vocabulaire d'esthétique quadrige, puff, PARIS, 2004 p685.

« Étendue ou des points peuvent exister simultanément, et constituant le cadre ou se situent les corps matériels et les phénomènes physiques. L'esthétique ne considère que l'espace euclidien tridimensionnel ; on peut concevoir d'autre (espace non –euclidiens, espaces à quelques autre nombre dimensions) mais ces concepts sont sans usages esthétiques, car ils ne sont pas celui de la perception (soit réelle ' soit imaginée)

[45] غاستون باشلار ، *جماليات المكان*، ترجمة غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ،1984 ص 191.

التواشج بين مختلف مكوناته و يؤسس لعلاقة بين الأشكال الهندسية اللونية والرمزية الإستعارية حيث أنه يستعمل التشكيل داخل الأثر الطبيعي و البيئيليثمن أساليب فنية جديدة لم تعهدها العين تكون أداة تأثير في نفس المتلقي، قد تعيده إلى الطبيعة و الوقوف على خباياها وسحرها في نظرة تأمل واكتشاف تتضمنه الدلالات البنائية للعمل

II – فن الزائل تمظهر تشكيلي بين تفاعل المكان و أثر الزمان :

يمكن القول أن الحياة محدودة بأبعاد معروفة تقاس بالعقل والحواس ولكن البعد الزمني هو عكس ذلك إذ لا نستطيع إدراكه إلا إذا انتقلنا إلى عالم آخر ذي أبعاد أكثر نستطيع أن نطلع منه على إستعارة الماضي ونعيش الحاضر ونتخيل المستقبل لذلك إن أغلب الأعمال الفنية الزائلة عادة ما تكون في علاقة متلازمة بفعل الزمنولا تعيش إلا مرّة واحدة ويكون زوالها إما إثر العوامل الطبيعية وإما بفعل الفنان بتحطيمه لعمله ويكون في شكل فرجة يقدّمها للمتلقي يكون فعل التحطيم والهدم عنصراً من عناصر العمل الفني بحيث يكون هذا الفعل خيارا تشكيليا وبداية لولادة أثر فني جديد .

ولا يمكننا الخوض في المفهوم /الزائل دون تحديد مرجعياته الفكرية والفلسفية التي تنشأ عن التفكير في فكرة الموت التي لطالما شغلت الفنانين وكانت قيمة جوهرية في أعمالهم، وكان التعبير عنها مختلفا باختلاف توجّه الفنانين وخياراتهم التشكيلية فسعى بعضهم إلى قتل العمل الفني بحرقه أو بتحطيمه أو بجعله عرضة للعوامل الطبيعية. ويمكن أن نذكر عمل الفنّان "جيلي "Gilli في سنة 1962 الذي جمع فيه كامل أعماله ولوحاته وقام بحرقها وكذلك ما قام به الفنان "إيف كلاين Yves Klein" حيث إستعمل شعلة النار كفرشاة لرسم لوحاته كذلك يمكن أن نذكر تجربة "أرمونArman " في تحطيم آلاته الموسيقية كآلية للبناء و ولادة جديدة للعمل الفني.

أما في مجال فن الأرض نذكر تجربة الفنان "إندي غولدزورثي "Andy Goldsworthy" الذيتتراوح أعماله بين منحوتات صغيرة ومشاريع نحتية ضخمة ويستخدم مواد مثل: الطين، الريش، غصينات حجارة، الورود وأوراق الشجر.....

تتخذ أعماله شكل أغصان رطبة على صخور وكرات ثلجية كبيرة منحوتة، وغصينات منظمة على شكل كرات وصخور تتخذ شكل أقواس ، محاولا في معظم أعماله لفت نظر المشاهد وإظهار جمال الطبيعة بشكل أكثر وضوحا.حيث أن الطبيعة أصبحت تأخذ بعدًا انفتاحيا في تحقيق الجاذبية البصرية نتيجة صراع حركي يضفي حيوية خاصة على قيمة التباين المظهري بالنسبة للفضاء و المحيط، فهوإنفتاح دلالي تشكيلي يرتبطب الشمولية التي تراعي الخصوصية الشكلية و اللاشكلية لطبيعة العمل الفني .فالقيم البيئية والمكانية في الأصل هي تحولات تحدد

مسار الفنان عند عملية الإبداع من خلال الولوج إلى عالم التشكيل. لقد أصبح الفن التشكيلي اليوم نابعا من الطبيعة برؤية فنية تتجاوز الزمان و المكان حتى أن الفنان يجد عالمه المتضمن لأفكاره وخياله يتحرك في الفضاء الطبيعي بكل حرية على نحو إبداعي تشكيلي بمختلف تعبيراته و أشكاله يندرج ضمن ممارسات فنية وفكرية تواجه تحديات مستمرة في زوال الأعمال و فنائها .

Les oeuvres dans la nature d'Andy Goldsworthy

إن هذا التوجه الفني لا يمكن الخوض فيه دون التطرق إلى أهم المحطات الفنية النابعة من فن الأرض و التي تمثل مرجعا فنيا نستند إليه في ممارستنا التطبيقية و الاشتغال على فن الزّائل لترجمة هذا التصور المفاهيمي فعليا بخروجنا فيربوع الطبيعة واتخاذنا من الشاطئ فضاء حاملا للمجسم التشكيلي في محاولة منا تملك الفضاء و إختباره والتجريب فيه لتتنزل ممارستنا التشكيلية في مدار الرهان والمغامرة والانفتاح على الممكن فتتشكل خارج دائرة المعنى النفعي في إطار عنيد تشوبه التناقضات واللاّمنطق والصدفوي يترجم خليط من المواد والخامات تتحكم في صياغتها عمل مزدوج بين الفعل الفني و فعل الزمن.

فحين نريد نقل المفهوم التشكيلي من مستوى التجريد النظري إلى مستوى التجسيد الفني قد يدفعنا الأمر إلى مستوين ، مستوى أول يتعلق بدلالات و معاني المفهوم و مستوى ثاني يتعلق بطرق الفعل و أسلوب التشكيل لأن ما هو نظري لا يمكن أن يجد تعبيراته التامة في ما هو تطبيقي، لذلك قد حاولنا إيجاد معادلة تقرب بين كليهما .فالزائل في مستواه النظري لا يعدو أن يكون غير تعبير على الزوال و الاندثار و الغياب و الحجب وهذا ما أردنا أن نترجمه على مستوى التطبيق الفني بتركيبة فنية مجسمة في تنصيبة مسطحة تحمل شكل شبكة مطلقة متراوحة بين اليمين و الشمال تتكون من تكرار قوالب رملية سداسية الأضلاع وضعت داخلها خيوط صوفية تحمل صفة ثلاثة ألوان أساسية يجعل من هذه الشبكة تتوغل عموديا في مساحة شاطئية خلّفها إنخفاض منسوب مياه البحر عند حركة الجزر ،تبقى في حالة مثول و مهيأة لممارسة حركة المد بمعنى اجتياح مياه البحر عليها لتحولها إلى زوال أو أثار

أو بقايا تؤشر إلى فعل الزوال. لكن حين نعود إلى قراءة هذا الفعل قد نجد عديد الدلالات فالزائل لا يعني بالضرورة الغياب و الانقشاع التام فهو بإمكانه أن يكون عنصرا ثابتا لمجرد معاينة أشياء أو بقايا تعبر عن كينونته في الماضي وهو ما يستدعي ضروب الخيال و التصور في استحضار شكل ما كان عليه العمل الفني قبل تداعيه ، وهذا يضعنا أمام مسألة المثول والتمثل فالمثول هو أن نتحدث عن شئ مرئي يمكن معاينته انطلاقا من الحواس أما التمثل فهو الغائب الذي نستحضره عن طريق الذهن و التخيل. وبهذه الطريقة يعد الزائل كمفهوم تشكيلي مدلولا خادما بقوة للأثر الفني على مستوى الشكل والمضمون.

ومن هنا يتبين لنا أنه ليس بالأمر الهين أن نحاصر جملة المفاهيم التشكيلية و نقلها على قدر من الوفاء الدلالي و المكنون المعنوي الذي تختزله المصطلحات التشكيلية. إلا أن التحول من التجريد النظري إلى التجسيد و المعاينة التشكيلية، قد يفتح لنا مغاليق الاجتهاد و التأويل ليضعنا أمام قراءات جديدة تثري حقل الدلالة أكثر والتوسع في دائرة الإبداع و التجديد.

ومن هذا الجانب يتضح الأمر لتصبح لدينا قناعة وأن الزائل كمفهوم نظري يحمل عدة دلالات و مضامين غير محدودة منفتح على عديد الحقول المعرفية كالفلسفة ، الأدب ،الفن الأمر الذي يمنحه أكثر شمولية وكونية يجعل من دلالته مترامية الأطراف وجد متشعبة وهو ما طرح في دائرة أفكارنا هذا التساؤل: هل بالإمكان أن نجعل من مفهوم الزائل تجلي محسوسا تشكيليا؟ في هذا السياق يمكن القول أن" **الفن هو تجلي محسوس للفكرة** "كما عرفه هيقل و لكن يبقى التساؤل ،كيف ذلك؟

إذ كان ذلك كما قال هيقل ممكن عمليا فتكشف لنا الممارسة التشكيلية هذه المسألة فما علينا إلا أن نحيط بكل التدابير اللازمة لخوض هذه التجربة التطبيقية في حدود مقاربة فنية داخل فضاء مفتوح "شاطئ البحر" وهو فضاء مستهدف أن يكون وفق نمط فكري معاصر يسعى إلى زعزعة و إزالة الرواسب الفنية القديمة التي تبنت في مراحلها الفنية نمطا فنيا ذا ضوابط ومقاييس ثابتة تؤمن بوحدة الفضاء "المتحف" وبوحدة المبادئ العلمية.

كل هذه الدوافع نتخذها كبوادر تجعل من الممارسة التشكيلية داخل هذا الفضاء تأخذ حيزا مهما في بحثنا باعتبارها على طرف معادلة مع العمل الفني ذاته أو هو في علاقة تبادلية معه حاولنا منها جلب النظر إلى أمر هام وهي فكرة الزوال أو الإزالة من مفهوم التقليد للمكان إلى مكان مفتوح أي فضاء أرحب "شاطئ البحر "وهنا تجدر الإشارة إلى مفهوم الزائل وأعني بذلك إزالة نمط فني علق بالأذهان طيلة عدة عقود.

إن العلاقة التبادلية بين الأثر الفني والفضاء المحيط به هي علاقة تأثير و تأثر ، فالبحر يمارس حركة المدي جعل منسوب المياه ترتفع بشكل سلطة إبداعية طبيعية تدخلت عبر أسلوب تلقائي مختلف للأسلوب الذي انتهجناه لتعيد صياغته من جديد و تهدمه و تعيد بناءه في تشكيل يؤسس إلى مفاهيم فنية تبدو ذات أهمية على مستوى التمظهر التشكيلي و على مستوى التعبير والدلالة .

فلم تعد التركيبة التشكيلية التي صممت على نسق منظم تحافظ على إستقرارها و أصبحت تخضع إلى إيقاع حركي غير منظم تحت تأثير إجتياح ماء البحر تتبلور وفق صورة جديدة حاملة لعديد المعاني و الدلالات الفنية شأن الإنزياح و الاندثار و الزوال و هو ما كان في مقدمة الخطة المرسومة في هذا العنصر أردنا منه صناعة تمظهرات تشكيلية و تعبيرية تلقائية في الأثر الفني تترجمه مشاهد متعددة عبر أحداث مختلفة ففي أولى المراحل الزمنية لحركة المد كنا نواكب عن كثب اجتياح البحر في عفويته و صفائه الطبيعي ملتقطة في كل حين صورة ذهنية متغيرة تجددها حركة المياه المتموجة تتقدم وتسلل داخل التركيبة التشكيلية تشير عن الصيرورة الزمنية ،هادفة إلى تثبيت وضعية وحالة المكان في سلم الزمن ومدى تابعاتها وتأثيراتها على الشكل للفضاء ما تطلب منا مساير ة الأحداث و مواكبة كل التطورات نتبين على إثرها علاقة التأثير و التأثر القائمة بين البحر في مده و جزره فالتمسنا بوضوح و تجلي بوادئ الهدم و الزوال .

فالتركيبة حين لمسها وإقترب منها الماء بدأت القوالب الرملية المكونة للتنصيبة تنهار شيئا فشيئا إلى أن تسرب الماء و غمر أعماق التركيبة فأخذت تلك الخيوط في شكل خطوط تفقد شكلها و نظامها التي تشكلت عليه من نظام تكراري منظم إلى نمط يقوم على اللآنظام تتخلله قيم ضوئية ولونية تتداخل بين الطبيعي و الصناعي ما يخلق تشابك او تفاعلا مع حركة الماء وفق حركة راقصة مقيمة علاقة جديدة أتى بها البحر شأن الحصى و الصدف و بعض العناصر الأخرى .

فالبنية التي ألفتها وثبت معالمها لم تصمد أمام حركة الماء وإنما أصبحت في حالة تقلب وتغير مستمر باستمرار مع حركة البحر ، مما وضعنا أمام عدد لا متناهي من الأعمال الفنية إذا ما سيرنا شفرة الزمن التي في إطارها تتجدد وتتشكل معالم العمل الفني وفق وجوه عديدة تقلبها حركة المكان وحركة الزمان وتفعل فيها وفق ضائقة طبيعية لا ضائقة إنسانية. تحيلنا إلى الوقوف أمام مشهد جديد عززه البحر بمواد إضافية أفقدته هويته الأولى و صنعت له هوية جديدة و هذه أحكام الزمني زيل أشياء و يضيف أشياء أخرى ، وهذا إن دل على شئ فهو دليل على التجلي

المحسوس لفكرة الزوال التي سعينا إلى معاينتها تشكيليا، و هو ما ساقنا إلى إستنتاج يؤيد مقولة هيقل الذي قال "**الفن هو تجلي محسوس للفكرة** "[46] .

كنا نستحضر هيئة التركيبة التشكيلية من وضعها السابق لأقارنها بماهي عليه بعد عملية المد البحر ي فخلصنا إلى أمر هام هو أن ما ينجزه الفنان و يبني معالمه لا يستطيع أن يبقى خالدا و ثابتا أمام خطوة الطبيعة لعواملها المختلفة و زمنها الأكول ،وإن كل بناء أو كل أثر يشيده المرء ليس بالإمكان أن يستمر على حاله أي أنه عندما تحضر الطبيعة لتفعل يتوقف فعل الفنان و يندثر أو يتهدم وهذا قد يعكس بامتياز مفهوم الزائل أي إننا ندرك من خلاله الزمن والحركة في الفضاء لهذا فإن الزمن و الفضاء و الحركة تتواشج في شكل علاقات مترابطة.

فبعد مرحلة الإنجاز الفني يتوقف العمل التشكيلي وينطلق فعل الزمن في جملة الظواهر الطبيعية والبيئية كالمد والجزر. و الضوء والظل مع اعتبار المكونات البنيوية الخام للمكان حيث كلها أشياء محسوسة وملموسة نتبين على إثرها صيرورة الزمن وديمومة هذه الأنظمة الكونية التي جعلتنا نستعين بالصورة الفوتوغرافية لنتمكن من تثبيت الحركة و إيقاف الزمن لمواكبة الأحداث و الأطوار التي قد لا تدركها العين و لا تحفظها الذاكرة. وهذا ما تترجمه مجموع الصور المصاحبة .

[46]هيقل : ورد كتاب *أنا أفكر* –الفلسفة في الباكالوريا ،إصدار المركز الوطني البيداغوجي ،مطبعة بوسلامة ،تونس ،ص 27.

ومن هنا بات لدينا أن غالبية الممارسات الفنية في فن الأرض لا تدوم طويلا ، ولا يُمكن الاحتفاظ بها لفترات طويلة بسبب تعرضها لعمليات الطبيعة من تآكل و تعرية مناخية فتندثر مع مرور الزمن . فهي تتصف بالطابع الوقتي وسرعان ما تضمحل هذه الأعمال و التدخلات التي كانت فاعلا فيه لتتركه قاحلا كما وجد.

ويمكن القول أن فن الزائل بشكل عام يعتمد على الحدث العابر الذي يجري في إتجاه واحد ولا يقبل العودة حيثيشمل العديد من المفاهيم التي تميزه عن باقي الفنون المعاصرة، فهذه الأعمال تنتهي من الوسط الواقعي المادي بمجرد إنتهاء مدة الفعل والعرض الذي إحتضنها ، فيكفي أن نضع الأشياء أو المواد لتفعل حضورها في الفضاء ليخلق العمل الفني كممارسة تجمع بين فن تشكيلي و مفاهيمي يرتكز على وسائل و تقنيات مختلفة كالصور الفوتوغرافية ، أو التسجيل المرئي الذي يحفظها من الاندثار ويمكن القول هذا الحافز التقني دفع العديد من الفنانين الإقدام على إنتاج أعمال فنية تنتمي لهذا الاتجاه ،تمكنهم الاحتفاظ بأعمالهم الفنية في سجلات مرئية (الصورة الفوتوغرافية) التي هي من نتاج التقدم التكنولوجي ما يسمح باستعارة الأعمال الفنية الزائلة و إعادة ولادتها من جديد.

III –التفاعلية و الفضاء التشكيلي البصري :

أثارت ما بعد الحداثة تحولا في مفهوم الفضاء الفني و كان محل جدل من خلال التساؤل عن العلاقة بين الفن و الفضاء الواقعي و أنتج هذا الجدل نتائج من بينها خروج الفنان للبحث عن فضاءات أوسع و استغلالها بالتدخل المباشر و اللقاء الحي مع المتلقي و كان ذلك نتاج رغبة في الاكتشاف و إحداث شكل من التواصل الاجتماعي في فضاءات مختلفة و ذات زمنية محددة.

إن هذا النسق من الفن المفاهيمي كفن الزائل أو ما يعرف بفن الأرض يكون مرتبط بنوعية الفضاء فلا يمكننا الحديث عن فن من دون فضاء حتى ولو كان فضاء بصري. فالفضاء هو مادة العمل الفني الأساسية، ومحور **"اهتمامات الفنان المفهومي بعد أن تخلى عن كل المقاييس الجمالية، والأخلاقية واقترب من الحدوثية."**[47]لتكون الطبيعة من هذا المنطلق منبع للصور و الأشكال و الحركة و الأفكار التي يتزود بها الفنان التوسع في إنتاج فنه و تكون ورشته الخاصة لينتقل من سياق التمثيل إلى سياق الحضور و الفعل في الواقع وفي هذا السياق يقول الناقد الفني ''بول أردان Paul Ardenne '' " **إن توظيف العالم الواقعي (خارج الورشة التقليدية) و عرض الأعمال خارج المراكز الفنية و المتاحف يظهر غريبا من دون تغيير في مفهوم الفن نفسه، و في هذا المعنى الأولوية من هنا فصاعدا تكون للحضور ضد التمثيل"**[48].فغدا الفنان يمارس فعله مباشرة في الطبيعة نفسها، باعتبارها فضاء متحركا، لا يعرف السكون يثير فكرة الفنان تتغير صورته بالتدخل الأدائي بالعمل الفني الذي يسكنه ، فطبيعة الأرض معروضة بكل جزئياتها وتفاصيلها فهي المحمل و الحامل و الحاضن للعمل، وإلاّ كيف سيكون مآل عرضنا الفني بعيدا عن الشاطئ هذا لم يكن اعتباطيا بل مستندا إلى فلسفة فعل الزائل التي تتبنى بدورها فكرة فن الموقع معللة بذلك أن الممارسة الفنية والعمل الفني هو الذي يستند إلى أرض حقيقية، فعندما تكون بعيدة عنه تتحول بدورها إلى ما يسمى باللاموقع.

كما أن الأرض مكانا للعرض فإنها تبقى ذلك الحيز المكاني في كل تجارب فن الأرض ويمكن الاستشهاد بعدة أعمال في هذا المجال فالأعمدة التي تم تركيزها في مساحة شاسعة من قبل الفنان "دي ماريا De Maria"، قد خلقت تفاعلا مع ظهور الصواعق الرعدية في نهاية الأمر تعود إلى ربوع الأرض باعتبارها الفضاء الذي يحوي العمل. كذلك بالنسبة للفنان "روبرت سميثسون" لا يمكننا تصور تركيز الصخور في عمله الحاجز الحلزوني بعيدا عن البحيرة وبعيدا عن فضائها الأصلي الأرض. آو كيف سيعرض "ريتشارد لونج" خطوطه بعيدا عن الأرض؟ أليست هي الحاملة لأعمالهم؟

[47]أمهز محمود، *التيارات الفنية المعاصرة*، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر 1996، بيروت لبنان ، ص493.

[48]Ardenne Paul, *AR T L'âge contemporain une histoire des arts plastique à la fin du xx siècle,* .Ed. du Regard, Paris ,1997.Page 6

فعلى أي مستوى ستتم القراءة؟ والحال أن من خصائص العرض عدم تدخل عناصر تزويقية (ديكور) في الأعمال الفنية، فالأرض كلها عناصر طبيعية تكمل بعضها لا يمكن الفصل بينها وبين العمل الفني.هكذا تخطى العمل الفني قاعة العرض، و" **لم يعد يرتبط، أو يتمثل بأي أثر تزييني، أو نظام معماري، بات تساؤلاً ذا أبعاد فكرية، ونفسانية جديدة على علاقة بالتجربة المباشرة**"[49]. فالأرض هي الحامل و الحاضن للعمل في كل هذه الممارسات المفهومية وكذلك المكان الذي يقصده كل من يريد أن يتأمل مثل هذه التنصيبات التي يقدمها الفنان.لتصبح العملية الإبداعية مرتبطة بإنتاج العمل الفني في الزمن الحي ويكون فعلا في الزمن الحاضر ينتج بالتوازي مع زمن تلقيه، لتتبلور العملية الإبداعية إنتاجا و تلقيا في زمن واحد و فضاء واحد هو فضاء الحقيقة في بعده التفاعلي.

وهو ما يتعارض مع الأعمال التي تعرض داخلصالات العرض أو في الفضاء الحضري فيتباين تحديد زمن العرض فيها على عكس ما نجده في فن الزائل فهو يعتمد على اللحظة العابرة أو الحدث الذي يتجه في مسار واحد لا يمكن الرجوع فيه إلى الخلف ففي مجمله هو كل غرض إبداعي يقدم إلى المتلقي بصفة تزامنية للإلمام بظاهر الإبداع فيه وتحسس نقاطه الإستيتيقية و البصرية، فهو يرتبط بمفاهيم متداخلة مترابطة يظهر العمل الفني على مستوى مهيمن بالنسبة لمحتوى العمل سواء البعد الحركي أو الأسلوبي أو الحضور التقني.

كما يعرف الزائل بمفاهيم اللحظة و الزمن، أو يعرف بالفن الراحل لان الحركة تمر و لا تبقى فيدخل الوسيط التكنولوجي المهيمن سواء كان آلة تصوير أو آلة فيديو أو تسجيل صوتي ... يكون الهدف بالتحديد ربط العلاقة الحاملة لتواصل بين الجمهور والأثر الفني تحت نشاط مفهومي في توظيف أنواع مختلفة ومتعددة من الوسائط سواء كانت الفنية أو التقنية كالموسيقى والفيديو والضوء والمسرح والتعبير الجسدي.

لقد حاولنا إنشاء علاقة بين الفضاء و العمل التشكيلي الذي يشمله وبين المتلقي المتفاعل عن طريق التفاعلية في الفن ليصبح الفضاء بذلك خطابا لبث أفكارنا فتتحقق التفاعلية عندما يكون المشاهد متفاعلا ديناميكيا ،ليس لأجل الحصول على الأجوبة لما يراه فقط و إنما من خلال البحث عن الأسئلة المصيرية التي تمنحها بصريات و مؤثثات الفضاء و التي قمنا بإدراجها فيه لتعالج ما ورائية الغرض و ذاكرته إذن فالفضاء البصري هو الذي يحفز على إستقطاب مشاهد متفاعل .

إن تداعي الرؤية البصرية يخلق الإمكانيات التأويلية لفضاء ينبض بحياة غريبة وغير مألوفة و بالتأكيد فإن هذا يشكل لغة تجسيدية و دلالية لها من التأثيرات و الاتصال بين ،خيال المشاهد المتفاعل من جانب وخيال الفنان من جانب أخر ،إذ أن تجربتنا في مجملها تتعرض إلى كينونة الأشياء كذاكرة مستقلة تعمق تأويل الأشكال أو الغرض مع البحر فهو إيقاع تلقائي مستفز يفرض وجوده من المؤثثات الجديدة و التي تظهر في زمن غير واقعي يتكامل مع خيال

[49] أمهز محمود، المرجع نفسه، ص489.

المشاهد، لأن التأويل و الإيحاء و الدلالة هي التي من شأنها أن تكشف من أهمية حضور التفاعلية" Interactivité ."

و بطريقة تجريبية ينطلق الفنان نحو اللقاء الحي مع المتلقي ليكون فضاء الطبيعة ورشة ليس لها جدران فيقول في ذلك "بول أردان " Paul Ardenne: " **الفن الذي يوظّف الشارع، و يخاطب مباشرة المتفرجين بطريقة عرضه في الهواء الطلق أو بان يطلب منهم في الفضاء العام فعلا و مشاركة.**"[50]وهو ما يشعرهم بمزيد من الحيوية والديناميكية، ذاك أن العمل لا يكتمل وجوده إلا بالتلازم الحتمي مع حضور المشاهد. إذ يقول "سوتو" "**بالنسبة لي، إن العمل لا يوجد مستقل عن المشاهد، و عن حركته من خلال هذه الأعمال المخترقة. إن المشاركة تصبح لمسية، و غالبا ما تكون أيضا سمعية، فالإنسان يلعب مع عالمه المحيط. المادة، و الزمن، و الفضاء هو ثالوث لا يتجزأ، و الحركة هي**

القوة التي توضح هذا الثالوث."[51]و هكذا يكتمل المشهد الفني بمشاركة المتفرج، الذي يمثل أحد عناصر العملية الإبداعية، و محورا رئيسيا سواء في تذوقه الجمالي أو الحسي أو في البوح بآرائه النقدية، وكذلك المعرفة الفنية والجمالية والقيمة الإستيتيقية التي يلتمسها من خلال خصوصية حضور العمل الفني في حدّ ذاتها.

لقد اتسمت شتى مراحل مشروعنا بالطابع الوقتي لتحمل الأعمال خاصية الرحالة إذ أن غرضنا سرعان ما يشد رحاله ليترك المكان قاحلا، إنه عبور في حركة دائرية بين هويتين "الولادة والفناء " فعملنا التشكيلي يقوم أساسا على الإحساس العميق بالزائل والمؤقت فكما يقول" دانيال بيران" **عندما نتحدث عن اختفاء الشيء أو احتجابه، ليس لأنه يختفي و لكن لأنه يظهر....**"[52]

الخاتمة :

يأخذ الفضاء المفتوح رؤية تعكس جملة من المشاهد الفنية و الجمالية و التعبيرية التي يمر بها زمن الفعل التشكيلي بمعنى أن العمل التشاركي بين الفنان و تدخل الزمان ليكون بذلك هو الفاعل الأخير في العمل من خلال التأثير فيه و إحداث تغيرات عليه فهو آخر من يدق الأبواب بقوة فيصبح ذلك الجديد قديماً إزاء المستجد القادم أي أن الزمن سيحدث تغيرات جديدة على العمل تساهم في خلق قراءة أخرى تتجاوز القراءة التي كنا نشهدها وهكذا يفعل في الفضاء بعملية إجتياحية تخاطب التواصل الجمالي بين المبدع والمتلقي بروح تمتزج فيها المعنى الذي يقوم

---

[50]Ardenne Paul, *op.cite.*, page15.

[51] www.Khiyam.com/news

[52]"–Lorsque nous parlons de disparation de forme ou de son invisibilité, ce n'est pas parce qu'elle se cache, mais parce qu'elle se montre … " Daniel Buren ,les écrits,1965, p.117.

بتنظيم التفاعل مع الفن وهو ما يسمح بإنشاء وعرض الفن في مجموعة من الفضاءات الافتراضية ليس فقط في الفضاء ثنائي أو ثلاثي الأبعاد ولكن في عالم متعدد الأبعاد.

حيث يعتبر تنظيم المكان و الفضاء المفتوح و فق رؤية تشكيلية و إبداعية تتخذ من الأشكال و الألوان تكوينا يمثل مرحلة معبرة عن القدرات الفنية للفنان ، خصوصا و أن كل عمل فني يقوم على تجسيد هيكل أساسي يختفي وراء التفاصيل وهو ما يضمن الابتكار إلى الأفضل خاصة في فن الموقع نظرا لأنه يعتبر من أهم التيارات التي لفتت انتباه الفنانين في عصرنا الراهن لإرتباطها بصيرورة الزمن و المكان و توظيفها لمجموعة من المفاهيم الفنية التي تعتمد على الزوال و الاجتياح كأسس مسيطرة على تشكيل الفضاءات خصوصا و أنها توفر مجالا واسعا في التعاطي مع المادة التي لم تعد مجرد أشياء لملئ الفراغ والمكان بشكل اعتباطي وإنما أصبح يراعي في ذلك عنصر الإبداع التشكيلي يكمن في قدرة الفنان على صياغة منجز تشكيلي يسمح له الاقتران بالمكان و لا يمكن تحقيق هذه العلاقة دون عضوية الزمان .

فكانت تجربتنا التشكيلية تستمد معالمها الفنية من هذه العلاقة الثلاثية بين المكان و الزمان و الفعل التشكيلي وهو ما يمكننا من الوقوف على شكل فني يقيم علاقة تبادلية مع الفضاء المفتوح ويجعل من العمل الفني ملك مشترك للجميع والكل يستطيع أن ينخرط في بناءه ولو بمجرد المشاهدة المباشرة التي تلغي فيها كل أشكال الوساطة، فالعمل الفني في هذا الوضع الجديد سواء في علاقة بالمكان أو بالتقنية أو أساليب الإنجاز قد يجعلنا أمام نمط فني جديد يروج إلى خطاب تشكيلي معاصر يجعل من العمل الفني بمثابة الآلة الصانعة للفكر .

المراجع

1. أيوب عبد الرحمان، *الرموز والدلالات بالبلاد التونسية*، تونس،2003 .
2. راتب مزيد الغوساني، *المعايشة الجمالية اكتشاف اللاشيء في الفن-اللحظة والدافع* ،دار الينابيع، الطبعة الأولى، 2004.
3. سمير الصّايغ، *الفنّ الإسلامي*، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1988.
4. سعاد عالمي، *مفهوم الصورة*، إفريقيا الشرق ، المغرب، 2004 .
5. صالح قاسم حسين، *في سيكولوجية الفن التشكيلي*، دار الشؤون الثقافية، بغداد ، 1999.
6. محمود أمهز ، التيارات الفنية المعاصرة ،شركة المطبوعات للتوزيع و النشر ،بيروت ، 1992.

7. Etienne Souriau, Vocabulaire d’esthétique quadrige, puff, PARIS, 2004.

8. Gilles Deleuze Félix Guattari, « Qu’est ce que la philosophie », Éditions Minuit .Paris.

9. Hotter Isidore de Séville, Encyclopédie universalise, Editeur à Paris, 2008.

10. Laurent et Nathalie Cournarie, « L’art L’esthétique en question » , philopsis Cournarie, 2010.

11. Régis Debray, *Vie et mort de l’image*, une histoire du regard en occident, Ed Gallimard, 1992.

مكانة الليبوفينيقيين واسهاماتهم الحضارية في الامبراطورية القرطاجية

ا. وفاء بوغرارة

جامعة أحمد دراية –أدرار–

ملخص:

بعد قدوم الفينيقيين إلى بلاد المغرب وحدوث الامتزاج الديني والحضاري برزت فئة جديدة عرفت في المصادر بتسمية "الليبوفينيقيين" نتيجة التلاقح بين الفينيقيين واللوبيين، وقد اختلف المؤرخون حول أصل تلك الفئة السكانية إلا أنهم أكدوا أن الليبوفينيقيين شكلوا طبقة اجتماعية مهمة في سلسلة الكيان الاجتماعي المغربي القديم، وكان لهم دور حضاري بارز في بناء الدولة القرطاجية.

Abstract ;

Histoorians disagreed about the origin of this population but confirmed that the Libyvenians formed an important social stratum in the chain of the Old Maghreb socil entity, They had a prominent cultural role in building the Carthaginan state.

مقدمة

عندما حلت سفن الفينيقيين في ربوع بلاد المغرب القديم نهاية الألف الثاني ق.م، كانت البلاد مأهولة بالسكان الأصليين فتعايشوا مع اللوبيين[53]، الذين كانوا يعمرون هذا المجال من السرت الأكبر إلى المحيط الأطلسي، ويكونون "وحدة عرقية حضارية" لها مميزاتها اللغوية والبيئية وسبل عيشها، ونشاط متواصل في مجال البحر المتوسط وعلاقات كثيفة مع الشعوب التي كانت تعيش في سواحله جمعت بينها عناصر حضارية متوسطية جلية في سائر الأقطار المطلة على البحر، وأول ظاهرة اجتماعية يلمسها الدارس لتأثير الفينيقيين الوافدين على بلاد المغرب هي

---

[53] **ليبي أو لوبي**: مشتق من ليبيا أو لوبا: وهو اسم عريق ضارب في القدم، دار حوله الكثير من الجدل في محاولة لتتبع أصوله لغويا وجغرافيا ثم حضاريا، ويبدو أنه اشتق من الكلمة المصرية القديمة ريبو، وفي قراءة أخرى ليبو التي تقابل اللغة العبرية لوبيم وفي الإغريقية ليبوس وفي اللغة العربية ليبيا، وقد وجدت لها نصوص كثيرة في المعابد المصرية كمعبد الكرنك الذي يعود إلى فترة الملك مرنبتاح، وعهد رمسيس السادس من الأسرة الفرعونية العشرين.لقد شاع اسم القبائل التي كانت تقطن إلى الغرب من مصر تحت اسم الليبيو، ثم انتقل الاسم إلى الفينيقيين، وورد الاسم أيضا في نقوش متعددة. وعن طريق الفينيقيين انتقل الاسم إلى الإغريق، وذكر في عدة مواضع من الإلياذة ولأوديسة لهوميروس.أما هيرودوت، فقد ذكر اسم ليبيا في عدة نصوص، غير أن الاسم كان يعني لديه قارة إفريقيا كلها، أما في العصر الروماني، فقد أخذ اسم ليبيا كما هو عند الإغريق لكن مدلول الاسم تقلص في أواخر هذا العصر، وأصبح يشمل برقة فقط وجزء صغيرا من الساحل الغربي لمصر. ينظر: محمد الصغير غانم ، نصوص بونية ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، د ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 148.

الامتزاج الواضح والانفتاح الحضاري فقد أصبح بذلك المجتمع المغربي مجتمعاً مختلطاً عاش فيه الشعبين القرطاجي واللوبي جنبا إلى جنب في نفس المجال الجغرافي، وهذا ما سمح للوبيين ملاحظة جيرانهم والاحتكاك معهم، وحدوث ذلك التمازج والانصهار بين العناصر المحلية والعناصر الفينيقية الوافدة، فكان هناك تواصل وتبادل بين العناصر السكانية في المنطقة، يتضح ذلك من خلال ظهور فئة اجتماعية جديدة تسمى الليبوفينيقيين، نتيجة اندماج بعض الفينيقيين مع السكان المحليين، مع العلم أنه عندما وصل البحارة الفينيقيون إلى السواحل المغربية وجدوا مجتمعاً قائماً بنظمه الاجتماعية والسياسية، وبأعرافه وتقاليده ومعتقداته، وعندما كانت قرطاج تنمو عمرانياً وديمغرافياً واقتصادياً كان ذلك بفضل سكان البلاد الذين انجذبوا نحو الحضارة البونية ففتحت لهم أبوابها طواعية وتشكلت فئة اجتماعية جديدة عرفت بالليبوفينيقيين. ومن هنا نطرح الإشكال من هم الليبوفينيقيين؟ وماهي أسباب ظهورهم؟ هل كانت لهم مكانة في الدولة القرطاجية؟ وما الدور الحضاري الذي قاموا به؟ هذه الأسئلة سوف أحاول رصدها من خلال العناصر الآتية:

1. مفهوم الليبوفينيقيين.
2. وضعيتهم في الدولة القرطاجية.
3. رحلة حنون.
4. دور الليبوفينيقيين الحضاري.

1. مفهوم الليبيوفينيقيين:

اختلفت الآراء حول تحديد مفهوم عنصر الليبيوفينيقي الذي ظهر في بلاد المغرب، وكان من العناصر المؤثرة في المنطقة خاصة في العصر القرطاجي، فيرى معظم الكتاب القدامى[54] أن هذه التسمية قد أطلقت على الأبناء الذين أُنجبوا من أباء فينيقيين وأمهات لوبيات أو العكس، وبذلك ظهر عنصر جديد ذو دم مختلط أطلق عليه عنصر الليبوفينيقي[55].

درج المؤرخون القدماء على استعمال ليبوفينيقيين لتحديد مفهوم يخص النتيجة العرقية لاختلاط في الدم العرقي والتمازج السكاني للأقوام الآتية من الشرق مع العناصر المحلية[56]، وأعطى "س.ف بوندي" (S.F.Bondi)

---

[54] تيت ليف، ديودور الصقلي، إفيان.

[55] Fantar Mouhamed ,*L'Afrique du Nord dans l'antiquite, histoire et civilisation*, payot, Paris, 1980, P60.

[56] يذكر محمد علي دبوز لولا الجنس المغربي العتيد الذي طعم الدماء الفينيقية ولولا اختلاط الفينيقيين بالمغاربة وتأثرهم بهم لاستمروا على الضعف الذي أصاب دولتهم في المشرق ولا يكونون على القوة والشباب وطول العمر الذي حظيت به دولتهم. ينظر: محمد علي دبوز، *تاريخ المغرب الكبير*، ج1، ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1964، ص109.

بعداً جديداً لهذه القراءة مختصرا تأويل تسمية اللوبي– فينيقيين في فئة الفينيقيين الذين يقطنون خارج مدينة قرطاج أي الطبقة المهيمنة في المجال القرطاجي وهي العمود الفقري لنظام ضمن لقرطاج سلما داخليا طويلاً وثراء اقتصادياً[57].

أعطيت هذه التسمية للفينيقيين الذين سكنوا في مستوطنات الساحل الأفريقي[58]، وبعد القرن الخامس ق.م أصبحت هذه التسمية تطلق على اللوبيين الذين يقطنون المدن القرطاجية وتأثروا بحضارتها[59].

إن لفظ ليبين فينيقيين يعني بالضبط فينيقيي لوبيا. ولكن يظهر أنه أخذ معنى إدارياً وقانونياً، ليدل على مواطني المدن الفينيقية أو البونيقية المرتبطين بقرطاجة، والمتمعين بنفس الحقوق المدنية التي لمواطني العاصمة قرطاج، والذين كانت لهم أنظمة بلدية مماثلة. فلا شك أن هذا هو المعنى الذي يجب أن يفهم به هنا[60].

ولفظ "ليبين فينيقيين" قد أخذ عدة من المعاني. فبعض الكتاب الذين هم أحدث عهداً من "سترابون" يطلقون على بعض سكان القسم الذي خضع من تونس للقرطاجيين. بينما اللوبيون الفينيقيون عند "بلين القديم" وعند "بطلمي" لم يسكنوا سوى مناطق ضيقة جدا[61].

والملاحظ غياب الدّلائل العرقية في المصادر باستثناء "تيت ليف" الذي يرى أن الليبوفينيقيين **"خليطا من الفينيقيين والأفارقة"**[62]. يفهم من النص إن الليبوفينيقيين كانوا بمثابة عناصر بشرية تنتمي إلى دم مختلط من الناحية العرقية، نصفه فينيقي والنصف الآخر لوبي، ويمكن أن نقول أنهم ينتمون إلى ثقافة مزدوجة[63] وهي عبارة عن زرع ثقافي أو بذرة ثقافية ومعنى هذا أنه في الميدان العرقي نجد أن العنصر الفينيقي الذي جاء من الشرق كان يمثل أقلية بالمقارنة مع السكان المحليين، حيث جرى بسرعة اندماجه، وفرضوا نظم وعادات، أو مميزات خاصة تطبع الحضارة الفينيقية، وهذا الاندماج المتبادل كان يتطلب فترة طويلة، قد تم ذلك في عهد كان لقرطاجة امبراطورية معتبرة في الحوض المتوسط، هكذا فإن قرطاجة لم تعد مدينة فينيقية بإفريقيا، ولكنها مدينة إفريقية وأن ثقافتها يطبعها الطابع الفينيقي وهو الغالب أو المرجح[64].

---

[57] الشاذلي بورونية، محمد الطاهر، *قرطاج البونية تاريخ حضارة*، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999، ص 213.

[58] فرانسوا ديكريه، *قرطاجة أو إمبراطورية البحر*، تر: عز الدين أحمد عزو، ط1، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1996، ص 119.

[59]Warmington. (B.H), *Histoire et civilisation de Carthage*, 814-146 Av.J.C, trad. Guillemin. (S.M), Payot, Paris, 1961, p 76.

[60] أصطيفن أكصيل، *تاريخ شمال إفريقيا القديم*، ج1، تر: محمد التازي سعود، مطبوعات أكاديمية، المملكة المغربية الرباط،2007، ص 371.

[61] نفسه، ج2، ص 74.

[62]Tite-Live, Histoire romaine, liv. XL, texte établi et traduit par. CH. Gouillard, Ed. les Belles Lettres, Paris, 1986, XX VIII, 17.

[63]Fanter, et Décret, *L'Afrique du Nord dans l'antiquité* ,Op, cite., P 136.

[64]أحمد السليماني، *المكنون الحضاري الفينيقي القرطاجي في الجزائر*، ط1، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2007، ص 137.

وقد حدثنا "ديودور الصقلي" عن الليبوفينيق في أثناء روايته لمغامرة الطاغية "أجاثوكليس"[65] الصقلي بأفريقيا (القرن الرابع ق.م) . فقال ما فحواه أن لوبيا يتقاسمها أربعة أقوام[66] على عهد "أجاثوكليس":

أ. الفينيقيون ويسكنون قرطاجة.

ب. الليبوفينيق وهم سكان معظم المدن الساحلية والذين تربطهم بالقرطاجيين علاقات قرابة ونسب. وإلى هذه المصاهرة وما نتج عنها ترجع تسميتهم بهذا الاسم.

ج. اللوبيون وهم الأعرق أصلا والأكثر عددا (مزارعون) وهم يكرهون القرطاجيين كرها شديدا لما يقاسونه من سطوتهم وقساوة حكمهم لهم.

د. البدو الرعاة الذين ينتشرون في معظم الإقليم وحتى تخوم الصحراء.

هذه الفقرة بالذات لعلها أول إشارة موثقة عن بدء عملية التمازج والانصهار بين الفينقيين واللوبيين خلال القرن الرابع ق.م أو قبله[67].

ويتحدث "فرانسوا ديكريه" بأن تسمية الليبيوفينيقيين[68] أعطيت للفينيقيين الذين سكنوا في المستوطنات، ومن ثم شملت اللوبيين الذين أخذوا بالعادات البونية، ويعتقد أن هذه التسمية تدل على طبقة اجتماعية في المدن البونية تمتعت بنفس الحقوق الإدارية التي كانت لسكان العاصمة قرطاج. حقيقة لقد نهلت هذه الحضارة القادمة من الشرق من أفضل المصادر في الأراضي التي اختارتها، حيث كانت تلك المستوطنات عبارة عن مراكز لحضارة مختلطة انتشرت على طول الساحل الشمالي لأفريقيا باتجاه المحيط[69].

2. وضعيتهم في الدولة القرطاجية:

[65] **أجاثوكليس** (**Agathocles**) هو قائد إغريقي كان قد نقل الحرب من صقلية إلى إفريقيا لأول مرة في حوالي نهاية القرن الرابع ق.م (310-307 ق.م) حيث قام بغزو ممتلكات غرب قرطاجة، ويذكر ديودور الصقلي بأنه بعد الانتصارات الأولى التي سجلها أجاثوكليس على القرطاجيين عاد إلى صقلية وترك مسؤولية مواصلة الحملة إلى ابنه أرخقاثوس(Archegathos). ينظر: Diodore de Sicile ,Bibliothèque Historique de Diodore de Sicile, Tome 01, Trad par ; Ferdinand Hoefer , T ;3, éd.Adolphe Delahays, Paris, 1851., XX,57,5-6.

[66] Ibid, XX,L. V,4.

[67] محمد مصطفى بازامه، *سكان ليبيا في التاريخ*، ج1،ط1، دار ألف باء، لبنان، 1994، ص ص 90-91.

[68] يذكر دوكريه: "لو أردنا استخدام تعبير أخف لقلنا "أفروفينيقيين". ينظر: فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة والتاريخ، تر: يوسف شلب الشام، دار طلاس، دمشق، 1994، ص119.

[69] فرانسوا ديكريه، *قرطاجة أو امبراطورية البحر*، المرجع السابق، ص 119.

يذكر "ديودور" أن اللوبيين الفينيقيون الذين يقطنون المدن الساحلية الكثيرة يتمتعون بحقوق المواطنة القرطاجية مثلهم في ذلك مثل سكان قرطاجة[70]، وعلى الرغم من أن الليبوفينيقيين كان لهم نفس المزايا ونفس حقوق القرطاجيين، كحق الزواج من القرطاجيات وحق تولي المناصب في الدولة القرطاجية، بل ولهم حق الإعفاء من الضرائب والخدمة العسكرية[71]، إلا أن لهذا العنصر الجديد[72] له لغته وكتابته الخاصة به، والتي كانت مزيجاً بين اللغة المحلية واللغة الفينيقية.

وقد تبنى المؤرخ "ستيفان قزال" فكرة أن الليبيوفينيقي له معنى إداري وله صبغة بونية، ويدل على أولئك اللوبيين الذين كانوا يتمتعون بنفس الحقوق المدنية التي كان عليها المواطنون القرطاجيون في مدينة قرطاجة، والذين كان لديهم مؤسسات بلدية موازية. ومع ذلك فإنه يرى أن هذا العنصر رغم الحقوق التي يتمتع بها، فإن منتسبيه يعدون مواطنين من الدرجة الثانية في الدولة، مثلما كان اللاتين في الامبراطورية الرومانية، ذلك أنهم لم يكن لهم حق المشاركة في الحياة السياسية، وخاصة تولي المناصب العليا المنبثقة عن مجلس الشيوخ[73].

تحدثنا المصادر القديمة على الليبيوفنيقيين منذ عهد الملك "حنون"، وهم الذين شاركوا في رحلة حنون في القرن الخامس ق.م الذي قام أثناءها بتأسيس مستوطنات لليبوفينيقيين[74].

3. رحلة حنون:

تعتبر من الرحلات المهمة التي سجلها لنا التاريخ وهي وصف رحلة حنون (Hannon) القرطاجي، إذ أشار إليها العديد من المؤلفين اليونانيين واللاتين. ولقد علّق حنون روايته البطولية في معبد بعل (Baal) حيث كان للقرطاجيين أنفسهم ولجميع الزائرين أن يطّلعوا عليها[75].

[70] Diodore, XX,L. V,4.

[71] فرانسوا ديكريه، *قرطاجة الحضارة والتاريخ*، المرجع السابق، ص 70.

[72] هذا ما يشبه جنس السواحلية في شرق إفريقيا في التاريخ الحديث الذي ينحدر من آباء عرب وأمهات أفريقيات، فقد عثر في شبه جزيرة البيرنيه على نقود مكتوب عليها بالخط اللوبي الفينيقي، فمن الجائز أنه كان لمزيج من السكان المغاربة والفينيقيين الذين نقلتهم قرطاجة من إفريقيا إلى أسبانيا لتحكم سيطرتها هناك. ينظر: تسيركين يولي بركوفيتش، الحضارة الفينيقية في إسبانيا، تر: يوسف أبي فاضل، مراجعة: ميشال أبي فاضل، جووس بروس، بيروت، 1988، ص62.

[73] أصطيفن أكصيل، ج1، المرجع السابق، ص 291.

[74] أحمد السليماني، المرجع السابق، ص 136.

[75] محمد حسين فنطر، *اكتشاف حنون لعالم جديد*، تونس أعلام ومعالم، الوكالة القومية للتراث- المعهد الوطني للتراث، مارس 1997، ص48.

انطلقت الرحلة من مدينة قرطاجة في حوالي القرن الخامس ق.م، ووصلت أخبارها عن طريق ترجمتها الإغريقية[76]. وقد اشترك في هذه الرحلة الليبيون إلى جانب القرطاجيين.

يلاحظ بأن الرحلة لم تشير إلى أنها سلكت شواطئ بلاد المغرب أو شواطئ جنوب غربي أوروبا فيما عدا ذكرها لاجتياز "أعمدة هرقل" التي هي مضيق جبل طارق الحالي. غير أن اشتراك الليبيين في هذه الرحلة ووقوعها بعد معركة هيميرا (Bataille d'Himère) 480 ق.م والتي انهزمت فيها قرطاجة لأول مرة أمام الزحف الإغريقي في جزيرة صقلية ثم انتهاج القرطاجيين بعد ذلك لسياسة إفريقية تعتمد على الاستيطان، يجعلنا نرجح بأن رحلة حنون كانت قد سلكت شواطئ المغرب القديم قبل اجتيازها لأعمدة هرقل[77].

أورد المصطفى مولاي رشيد ترجمة لهذه الرحلة وتحدث عن رواية حنّون ملك القرطاجيين كالتالي:" **لقد قرر القرطاجيون أن يتجاوز حانون أعمدة هيركليس، وأن يؤسس مدنا لليبيون الفينيقيين. بستين سفينة ذات الخمسين مجدافا، ورافقه حوالي ثلاثون ألفا من الرجال والنساء، زُوِّدُوا بالأغذية وبكل المعدات اللازمة"**[78].

كُلف حنون إذن بإنشاء المستوطنات في إفريقيا، فيما وراء مضيق جبل طارق. فماهي أسباب هذا القرار؟ هل يعني ذلك التخفيف على قرطاجة من تزايد السكان، من عناصر مشوشة؟ هل يعني إنعاش أو تعويض مراكز فينيقية قديمة كانت على الساحل المغربي، فتدهورت وربما تدمرت؟

كان يوجد ثلاثمائة ألف مواطن بقرطاجة، وفي هذه المدينة بالذات جرى ضغط ديمغرافي كان بمثابة مواجهة هجرة ذات نطاق واسعا، فكانت هناك مجموعات كثيرة من الوافدين على العاصمة القرطاجية حبا في مغرياتها المادية[79].

وخلق ذلك نوع من البطالة مما جعل الدولة القرطاجية تبحث عن مخرج لهذه الأزمة والضيق، فبحثت في وسيلة ذهاب هذه الجموع الوافدة على قرطاجة فوجدت الحل في تنظيم رحلات بحرية منها رحلة حنون التي كانت تهدف إلى الاستكشاف وفتح أفاق ومستوطنات جديدة ترفع عن مدينة قرطاجة أعباء التدفق الديمغرافي على العاصمة قرطاج[80].

---

[76] نقشت أخبار رحلة حنون على لوحة برونزية بلغتها البونية، ثم أودعت بعد ذلك في معبد الإله بعل حمون الذي يقابل الإله الإغريقي كرونوس (Cronos). وقد ضاعت الكتابة الأصلية ولم تبق إلا الترجمة الإغريقية. ينظر، محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج 2، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 195.

[77] المرجع نفسه، ص 195.

[78] المصطفى مولاي رشيد، المغرب الأقصى عند الإغريق واللاتين القرن السادس ق.م، القرن السابع ميلادي، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 1993، ص14.

[79] أصطيفن أكصيل، المرجع السابق، ص477.

[80] أحمد السليماني، المرجع السابق، ص 136.

جرت رحلة حنون في القرن الخامس ق.م، وقد استغرقت مدة عامين ونصف، وكانت مسافتها خمسة وعشرون ألف كلم، إن رحلة حانون تعد كهمزة وصل بين قرطاجة واللوبيين، والتي عبر من خلالها بسفنه على الساحل القرطاجي، ثم عرج على سواحل نوميديا[81].

لقد كانت نتائج رحلة حنون هي تأسيس ست مستوطنات على سواحل المغرب، وأخرى عند مصب الساقية الحمراء، تقريبا في مواجهة جزائر الكناريا[82]، كما أتاحت الاطلاع على النماذج الحضارية لبلاد المغرب وزادت من التواصل الاجتماعي الليبي القرطاجي.

4.دور الليبوفينيقيين الحضاري:

إن الحضارة البونية في إفريقيا الشمالية تمثل ثمرة تعاون حميم وهي تظهر ويمكن تشخيصها في معالم أثرية نتيجة هذا التعاون والتفاعل الحضاري مثل مقام دوقة[83] بتونس[84]، وقد شكل هذا العنصر (الليبيوفينيقيين) حلقة الوصل بين الفينيقيين والسكان المحليين، وسهل عملية الاندماج التي حدثت فيما بعد بين القادمين الجدد وبين اللوبيين، خاصة بعد القرن الخامس ق.م، مما ساعد على استقرار الثقافة واللغة البونية بين الأهالي[85].

وفي الواقع فإن لهذا الرأي ما يدعمه- وبشكل قوي- إذا ما تتبعنا الظروف التي مر بها الفينيقيون في شمال أفريقيا، عند التحول القرطاجي نحو الفضاء الإفريقي عقب هزيمة هيميرا، فخرج القرطاجيون من مدينتهم وامتلكوا العديد من الضياع، واستوطنوا المناطق الريفية، وكونوا تجمعات سكانية فينيقية بين السكان المحليين، مما أتاح لهم فرصة الاحتكاك أكثر بالسكان، واستخدم بعضهم في فلاحة الأراضي التابعة للقرطاجيين، كما أن الازدحام السكاني في قرطاجة وتحول أعداد لا بأس بها من اللوبيين من الأرياف إلى المدينة سواء كانوا باحثين عن عمل، أو منخرطين في الجندية، نجد أن هذا أدى إلى التمازج أكثر بين العنصرين[86].

إضافة إلى نزوح عائلات قرطاجية بأكملها نحو المراكز الداخلية التي سكنها القرطاجيون واللوبيون جنباً إلى جنب مثل: دقة ومكثر وكركوان[87]، قد أدى إلى زيادة الاختلاط مع السكان المحليين، كما أن حاجة القرطاجيين

---

[81] نفسه، ص ص 29 – 30.

[82] أصطيفن أكصيل، المرجع السابق، ج1، ص 394.

[83]**معبد دوقة**: كانت مدينة دوقة (Dougga) من أهم المدن الداخلية التي وردت الإشارة إليها في الوثائق الكتابية والأثرية، وقد اقترن اسمها بالملك ايلماس (Ailymas) الذي يعود تاريخه إلى القرن الرابع ق.م. ينظر: .Diodore de Sicile, XX, 17,1 et 18,3

[84]أحمد السليماني، المرجع السابق، ص 137.

[85] مفتاح محمد سعد البركي، *الصراع القرطاجي الإغريقي من القرن السادس حتى منتصف القرن الثالث ق.م وأثره على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في قرطاجة*، مجلس الثقافة العام، سرت-ليبيا، 2008، ص 253.

[86] المرجع نفسه، ص 253.

[87] محمد الصغير غانم، *المملكة النوميدية والحضارة البونية*، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1998، ص ص 148-156.

إلى حلفاء جدد لهم من الأفارقة –يمثل لهم عمقاً استراتيجيا من حيث توفر المؤن والجند في صراعهم ضد الإغريق– كان وراء ذلك التقارب مع السكان المحليين، والاتصال بزعماء القبائل، وببعض الممالك المحلية كالنوميديين مثلاً، فجاء هذا التقارب في صور شتى، كالامتزاج داخل المدن الداخلية، وزيادة التعامل التجاري، والمصاهرة[88].

يمكن أن نستخلص من ذلك أن القرطاجيين هم نتاج تزاوج بين الشعبين الفينيقي واللوبي، الذين أخذوا اسم البونيقيين، وبذلك يمكننا القول أن الحضارة البونيقية هي نتاج حضارتين[89]، حضارة ذات أصول فينيقية وحضارة مغربية أصيلة.

وليس لدينا أية حجة على أن محكومي قرطاجة استطاعوا بسهولة اقتناء الحقوق المدنية والسياسية التي كانت للمواطنين. غير أن عددا كثيرا من اللوبيين، سواء في أرض وطنهم أو في الجيش، قد تعلموا لغة سادتهم، وعرفوا الآلهة التي كانوا يعبدونها، كما ألموا إلى حد ما بحضارتهم. ولهذه الأسباب نجد تعبير "ليبيين فينيقيين" قد خصص إطلاقه في أول الأمر على الغير، ثم أطلق من بعد على قسم من ذريتهم[90].

نتيجة للاختلاط والتمازج الذي وصل إلى حد بعيد، حتى أصبح يطلق على كل الطبقات العامة من الجانبين تسمية: الليبوفينيقي، خاصة بعد القرن الخامس ق.م، حيث لم نجد أثراً لهذه التسمية قبل تلك الفترة، وهذا التزاوج والتمازج وإن كان من المرجح أنه قد حدث مع بداية قدوم الفينيقيين، ولكن الاندماج الكامل قد جاء– كما ذكرت– نتيجة التحول القرطاجي إلى الفضاء الأفريقي، والاعتماد على بدائل اقتصادية أخرى غير التجارة البحرية كالتوسع في مجال الزراعة، بعد إن أصبح الخطر الإغريقي يهددهم في البحر، حيث نتج عن هذا الاندماج أن أصبحت هذه التسمية تطلق حتى على الفينيقيين أنفسهم القاطنين في المراكز الأخرى خارج قرطاجة[91].

ومع ذلك فأكثرية الأهالي كانت تكره السيطرة البونيقية. وربما لم تكن هذه الكراهية بسبب الخدمة العسكرية، ووجوب الذهاب للمشاركة في حروب بعيدة لم يكن جانبهم يراعى فيها، بل بسبب فداحة الضرائب التي صارت لا تحتمل بسبب العنف والابتزازات التي يقوم بها المكلفون بالجباية. ولم يكن للقرطاجيين فن اجتذاب القلوب من أجل تسهيل العملية[92].

كان النوميديون المجاورون للمنطقة البونيقية، يعاملون معاملة الأتباع، بحيث كانوا إذا خرجوا من الحلف يُنظر إليهم كعصاة. وقد ذكرت حتى الأتوات المفروضة على البعض منهم. وعمليا كادوا يكونون رعايا، إن لم يكونوا

---

[88] مفتاح محمد السعد البرمكي، المرجع السابق، ص 254.

[89]Albertini.(E), Marçais.(G), Yver.(G), L'Afrique du nord française dans l'histoire, Ed. Archat, Lyon, Paris, 1937, p 43.

[90] أصطيفن أكصيل، المرجع السابق، ج2، ص 226.

[91] مفتاح محمد سعد البركي، المرجع السابق، ص 256.

[92] أصطيفن أكصيل، المرجع السابق، ج2، ص 226.

كذلك قانونيا. وللتأكد من وفائهم كانت قرطاجة تضع الحاميات بمدنهم وتطالبهم بالرهائن. (فمدينة تفست Thevest سلّمت سنة 247 ق.م ثلاثة آلاف منهم إلى الملك حنّون). وكانت وضعيتهم شبيهة بوضعية الفودِراتي (Foederati) (الحلفاء) الذين كانوا يسكنون خارج الحدود العسكرية للإمبراطورية الرومانية، ولكنهم يخضعون لسلطتها. ولربما أن الذين لم يكن بالإمكان التغلب عليهم بالرهب، كانوا ينالون بعض الهبات المالية. وحين تحتاج إليهم الدولة يضعون في خدمتها مجموعات المجندين —الخيالة منذ القرن الثالث ق.م على الأقل–التي يتفق على تحديد أعدادها، والمعتقد هو أن قرطاجة كانت تتكفل بالإنفاق على هذه الجيوش[93].

ولم يكن هؤلاء النوميديون دائمي الوفاء، بحيث كانوا إذا حدثت أزمة لقرطاجة، يفضلون الانضمام إلى أعدائها، ويقتحمون منطقتها لينهبوها. وكانت تنتقم منهم حسب الظروف والقوات التي تتوفر عليها، بالغزوات وحتى بالتقتيل. وقد تقبل عروض الصلح والخضوع التي كانوا سرعان ما يتقدمون بها بمجرد حدوث تغير ما[94].

أما المال فكان ضريبة منتظمة ومقدارها يحدد مسبقاً لكل قبيلة، وكان الرؤساء المسؤولون عن المقادير المفروضة هم الذين يجمعونها، كما كانت الضرائب أداءات فوق العادة يطالب بها القادة حسب هواهم. ولقد كانت هذه التكاليف العسكرية والمالية تثقل كاهل الأهالي كثيراً الذين كانوا لا يطيقون زيادة على ذلك كبرياء وقسوة القرطاجيين[95].

يرى ستيفن غزال أن قرطاجة، إذا كانت قد ملكت إمبراطورية مكونة من مستوطنات بحرية متناثرة ومن بعض الولايات التي يسكنها الرعايا، فإنها لم تقم بتنظيمها. فقد مكثت أجنبية عن سكانها الذين كانوا يختلفون عنها[96]، والذين لم يكونوا يحبونها. كما لم تعمل هي لتكون محبوبة. وكان يمكن أن تدوم مدة أطول لو أنشأت في إفريقيا الشمالية أمة بونيقية بالرجال الذين كان باستطاعة هذه المنطقة تقدمهم لها، وبالحضارة التي كان بالإمكان هي أن تهبها لهم أو تفرضها عليهم. وهي مهمة تجعلها بنية البلاد صعبة على مدينة نائية بإحدى زوايا الرباعي المكون لأرض المغرب، ولكنها مهمة تجاهلت قرطاجة القيام بها[97].

---

93 نفسه، ج2، ص 227.

94 أصطيفن أكصيل، المرجع السابق، ج2، ص ص 227-228.

95 نفسه، ج2، ص232.

96 استنتج الأستاذ محمد الصغير غانم بأن القرطاجيين ارتضوا لأنفسهم البقاء غرباء رغم استقرارهم في المنطقة أكثر من ثمانية قرون. ينظر: محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، المرجع السابق، ص45.

97 أصطيفن أكصيل، المرجع السابق، ج2، ص ص 232-233.

وتساءل الأستاذ محمد العربي عقون عمّا إذا كان القرطاجيون يشعرون بانتمائهم إلى بلاد المغرب؟ أم أنّ انتماءهم كان قاصرا لا يتجاوز تعلّقهم بالمال والتجارة؟ حيث صعب على الفينيقيين استبدال حب المال بالتضحية بقسم منه في سبيل الوطن، ولعل فكرة الوطن كانت عندهم في أحسن الحالات لا تتجاوز أسوار قرطاج[98].

خاتمة

ترتب على التوغل القرطاجي في الفضاء الإفريقي اختلاطهم بالسكان المحليين، وصل إلى حد التزاوج معهم، وهذا الأمر نتج عنه ظهور عنصر جديد في المجتمع القرطاجي "الليبو فينيقي"، وهذا الامتزاج أدى إلى تطور اجتماعي وثقافي مهم، كانت أبعاد تلك الموجة الفينيقية قد أحدثت في الواقع تغييرات جذرية أدت إلى التلاحم والانصهار العرقي، وإلى المزج والتوحد اللغوي والتطبع بذات الطباع.

والواقع أن عملية تأثر النوميديين بالحضارة القرطاجية لم يكن نتيجة عمل مُنظم ومقصود قامت به قرطاجة، إنما كان بطريقة غير مباشرة وبشكل سلمي وهو النتيجة الطبيعية لتجاور شعبين وانصهارهم لمدة زمنية طويلة جداً .

[98] محمد العربي عقون، *من تداعيات الحرب البونية الأولى على قرطاج ثورة جندها المأجور (241-237 ق.م)*، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 21، جوان 2004، ص 207.

عبد الحفيظ بوصوف ودوره في الثورة التحريرية الجزائرية

د.إسعد لهلالي

جامعة سطيف2

مقدمة

إن الحديث عن تاريخ الثورة الجزائرية يقود الباحث مباشرة إلى البحث عن قياداتها المختلفة، والتي لعبت دورا مهما في الكفاح الثوري الذي استمر سبع سنوات ونصف(1954-1962)، ومن أبرز تلك القيادات الثورية نجد العقيد عبد الحفيظ بوصوف الذي ساهم مساهمة فعالة في الثورة التحريرية الكبرى ، من خلال توليه العديد من المناصب العسكرية و السياسية مكنته من إحباط المخططات الفرنسية، ومن جهة ثانية الدخول في دوامة الصراع على السلطة مع القادة العسكريين.

والحقيقة أن هناك من اعتبر الرجل قائدا من قادة الثورة ، وهناك من اعتبره واحدا من الذين ارتكبوا العديد من التصفيات في حق زملائه في الكفاح وبذلك خلق جدلا بين الباحثين، ولكنه ساهم في الخفاء في دعم جهاز المخابرات باعتراف الفاعلين في الثورة ، وان كان مازال هناك غموض في الكثير من محطات الرجل لأن الشهادات لم تبح بكل أسرارها خاصة أذا علمنا الصراعات الكبيرة بعد الاستقلال وتخوف الكثيرين من الإدلاء بشهاداتهم وهناك من مات ودفنت معهم الكثير من الحقائق.

ويبقى العقيد عبد الحفيظ بوصوف من أهم رجالات الثورة الجزائرية ولهذا حاولنا البحث في بعض جوانب من دوره في الثورة ، وعليه فالإشكالية الرئيسية في الدراسة ترتكز حول علاقة الرجل ودوره في الثورة، فماهي العمال التي قام بها بوصوف خلال الثورة ؟ وأين تركز نشاطه؟ وماهي أبرز الخلافات التي عاشها خلال الثورة؟

أولا– المولد والنشأة :

ولد عبد الحفيظ بوصوف بميلة في 17 أوت 1926 [99] من عائلة فلاحية فهو الابن الثاني لهذه العائلة وأول ناجي لأمه التي فقدت تسعة أولاد قبل ولادته وقد كان فأل حسن على هذه العائلة كونها حصلت من بعده على أربعة أولاد وفتاة وكان أبوه إماما مع ممارسة القضاء في جبهة التحرير الوطني في الولاية الثانية، له أخوان هما رشيد وعبد العزيز اللذان كانا ثوريان فلقد كان رشيد مسبل مبعوث من طرف أخيه بوصوف لتوجيه السلاح نحو المنطقة الثانية أوقف من طرف الجيش الفرنسي سنة 1960.

[99] الطيب بن نادر، *الجزائر حضارة الحضارات المتعاقبة وتاريخ للجزائر وتاريخها المشرف*، دار الهدى عين ميلة، الجزائر، ص 258.

أما أخوه عبد العزيز فقد كان ينقل القمح إلى الجبال "ميلة" أوقف مع ثلاثة من المجاهدين وقام الجيش الفرنسي باستجوابه لكنه لم يعترف ثم أطلق سراحه وبعد ذلك اتجه إلى فرنسا أين عمل في مصنع، عملية في الخلية التابعة لجبهة التحرير الوطني، شارك في سقوط إدارة المصنع الذي كان يعمل به، ثم فر إلى ألمانيا .[100]

عبد الحفيظ بوصوف كان مثل جميع الأطفال الجزائريين درس أولا في المدرسة القرآنية حيث تعلم القرآن الكريم وأكمل حفظه ، ويرجع هذا كله إلى الشيخ "سي السعيد بوصوف"[101] وبعدها درس بالمدرسة الفرنسية في سن الثمانية تقريبا حيث زاول دراسته هناك وتحصل على الشهادة الابتدائية[102] كان معروفا بحبه الدراسة وتواضعه فكان الأول في صفه كما قال صديق طفولته محمد الميلي ابن الشيخ مبارك الميلي"عرف بوصوف في المدرسة الابتدائية وفي هذه المرحلة تفوق علي في ثلاث مرات" فكان مميزا على غرار باقي التلاميذ بوطنيته أي حبه الشديد لوطنه رغم صغر سنه والرغبة الثورية المبكرة، فاستغل أوقات الفراغ لتعليم الآخرين النشيد الوطني.

كان محبا للقراءة حيث تصفح جميع الكتب المتعلقة بالمقاومة الجزائرية مع العلم أن أباه كان يملك مكتبة مليئة بكتب التاريخ وكتب الدين، في سن العاشرة كان متأثرا بملامح الأمير عبد القادر، المقراني، بوعمامة وفاطمة نسومر، وفي يوم سأله أبوه عن فائدة قراءته للكتب التاريخية فأجابه "إنني أقرأ لأعرف لماذا هذه الثورات لم تلقي نجاحا" إنه طفل في العاشرة من عمره يعتم بمقوماته الشخصية وهذا كان نادرا ما يوجد، لكنه كان مهتما بالوضعية المزرية التي يعيشها الشعب الجزائري، كان فخورا بكونه جزائري وكان يعبر عن هذا أمام أساتذته الفرنسيين اللذين يكرهون اللغة العربية.[103]

وفي عام 1944 سافر إلى قسنطينة ليشغل كعمال تسلم في غسالة التي كانت ملكا لحد المعمرين، كما أكمل دراسته هناك بثانوية رضا حوحو أين تحصل على هادة البكالوريا.[104]

وقد كان بوصوف رجلا قويا ذا وجه مستدير، شعر أسود مقصوص وعينين تخفيهما نظارات ملونة، كان بوصوف الذي تابع دراسته في علم النفس قبل 1954 يبدوا كشخص متواضع، يبعث في مرؤوسيه إحساسا بالاحترام والخشية[105] وكان يمثل الكثير من الأشياء فكان يعتمد على إستراتيجية الهدوء وفن المراوغة والإخفاء ودقة الملاحظة ومعرفة الأشخاص على حقيقتهم حيث يعمل على تحليل الأشياء ومعرفة الأشخاص وفائدة السياسة بروية

---

[100] Cherif abdedaim: le revolution mire aux pas de relours, editions 2 ANEP , rouiba, 2009, p 21-24.

[101] cherif abdedaime, opcit, p 26.

[102] عاشور شرفي ، قاموس الثورة الجزائرية، 1954-1962 تر: عالم مختار دار القصبة بينشر، الجزائر، 2007، ص 91.

[103] Cherif abdedaime, op, cite., p 26-27.

[104] عاشور شرفي، المرجع السابق، ص 91.

[105] المرجع نفسه، ص 91.

وهدوء[106] ومن الصعب على أين كان أن يعرف نظراته وتصوراته ورد فعله التي يحتفظ بها دائما لنفسه ولا يبوح بها إلا لمن يريد عندما يتكلم طبعا خاصة وأنه قليل الكلام لا يتحدث إلا بمقدار ولا يضحك ولا يتبسم إلا نادرا وتلك هي طبعته[107]، وبعد مسيرته الطويلة في الثورة انسحب العقدي بوصوف من المسرح السياسي في 1962 ليتولى إدارة شؤونه الخاصة، كان يقول انه على استعداد دائم لخدمة الوطن.[108]

توفي في 31 ديسمبر 1980 في شقته في باريس بوجود زوجته إثر إصابته بنوبة قلبية مفاجئة وقد كان في فترة 1964 إلى 1980 لا يعطي أي تصريح عن ماذا كان يستعمل أو يجري لقاءات صحفية كما لم يكن يعطي وجهات نظره بطريقة واضحة غير أنه قبل وفاته أجرى مع احد رفقائه وهو المناضل محمد فقه البصري لكي يتمنى له أمنيات سعيدة بمناسبة حلول السنة الجديدة وهكذا كانت نهاية حياته.[109]

أنشأت الولايات بمناسبة التقسيم الإقليمي الذي قرره مؤتمر الصومام[110] في 20 أوت 1956 وكان على رأس كل واحدة منها عقيد يساعده ثلاثة رواد أو أكثر، وتنقسم هذه الولايات إلى مناطق حسب التشكيلة الجغرافية لكل ناحية[111].

ثانيا- دورعبد الحفيظ بوصوف في الولاية الخامسة

ولاية وهران أو الولاية الخامسة وهي تمتد من البحر المتوسط شمالا إلى أقصى الجنوب وتمتد من حدود المغرب الأقصى إلى الحدود الإدارية لعمالة الجزائر شرقا، وهي تمثل ثلث مساحة القطر الجزائري وتشمل ثماني مناطق عسكرية مقسمة بدورها إلى نواحي وأقسام وحددت المسؤوليات تحديدا تاما، وقد أنشأها المجاهد الشهيد محمد العربي بن مهيدي بمعاونة بوصوف وبعض المجاهدين الآخرين، الذي استشهد بعضهم وسجن بعضهم الآخر.

وكانت الولايات حين ذاك تدعم المناطق ولم يبدأ العمل على منطقة وهران منذ نوفمبر 1954 إذ توصل العدو إلى القضاء على الفرق الصغيرة التي تكونت حين ذاك ومهدت بعد ذلك فترة من الاستعداد السري، وتنظيم الخلايا، وتجنيد الشباب المعروف بصدقه ووطنيته وإخلاصه وماضيه المشرف في الصراع ذد الاستعمار وعمله على نشر الوعي الوطني والثوري في وسط الشعب[112]، ووضعت الرتبة العسكرية وأصبح جيش التحرير الوطني جيشا

---

[106] Cherif abdedaime, op,cite., p 27-28.

[107] يحي بوعزيز ، المرجع السابق، ص 175.

[108] عاشور شرفي، المرجع السابق، ص 92.

[109] Cherif abdedaime, op ,cite., p 274.

[110] مؤتمر الصومام، انعقد في 20 أوت 1956 وهو أول مؤتمر للثورة الجزائرية واستطاع أن يزود الثورة بهياكل فعالة، ال..... خلف صراع بين قادة الداخل والخارج بسبب قراراته أنظر: النصوص الأساسية للثورة، منشورات ANEP طبع المؤسسة الوطنية، رويبة، الجزائر، 2008، ص 15-27.

[111] عبد المجيد بوزيد، *الامداد خلال حرب التحرير الوطني*، شهادتين طبعة خاصة، ط2، مطبعة الديوان، 2007، ص 295.

[112] مصطفى طلاس، *الثورة الجزائرية*، طلاس للدراسات والنشر والترجمة، دمشق، 1984، ص 132-133.

عصريا وتجددت معالم ثورتنا كثورة تحريرية شعبية عامة وشاملة، وتطلعت بالشباب المثقف الذين غادروا مقاعد الدراسة والتحقوا بصفوف وقدموا لها خدمات كبيرة في كل ميدان خاصة الإعلام[113]، بالتشريعات والاجتماعات واللقاءات والقرى والمداشر، والمشاتي والقصور وتكونت المدارس الشعبية لدعم الثورة إعلاميا واقتصاديا وصحيا واجتماعيا وتقديم الإسعافات اللازمة للمتكونين، وعائلات السجناء والضحايا وأهم شيء في الولاية الخامسة هو تكوين النظام الصحي، ففي 1957 أصبح لديهم عدد كبير من الأطباء والمتربصين وطلبة الطب، كما أنشأوا لها مدرسة لتكوين الممرضين وإقامة المستشفيات قارة على باطن الأرض وتعميم وسائل العلاج في كل أنحاء الولاية حتى للمدنيين والنساء والصبيان وصار الأطباء والممرضون يتنقلون للعلاج وجرى الاهتمام بجمع الأدوية واستحلالها من كل مكان خاصة المدن الكبرى .

ومن التطورات الهامة للثورة في الولاية الخامسة إنشاء جهاز للمواصلات اللاسلكية التي قدمت خدمات كبرى لأن اتساع رقعة الولاية كان يفترض علينا تبليغ الأخبار والأوامر والتعليمات بسرعة ومن دون هذا الجهاز لا يمكن تحقيق ذلك، فوضع هذا النظام وحل لنا مشاكل كثيرة، وسهل علينا العمل، وقلل من ضحايا الجنود الذين يتنقلون ومن تعبهم ومشقاتهم عبر مسافات طويلة وفي أوقات متعددة، ومن أهم ما حققوه في الولاية الخامسة عام 1957 امتداد عملنا الوزاري إلى أعماق الصحراء حتى إلى أدرار وتيميمون بحيث انطلق خمسون شابا من الفدائيين وزاد عددهم في الطريق حتى أصبحوا 250 جندي وأظهر عمال المخابرات واللاسلكي بطولة وشجاعة بحيث يبلغوننا يوميا أخبار أنشطتهم وعمليتهم.[114]

كذلك تمتاز الولاية الخامسة بكثرة أعمال التخريب ضد جيش العدو عن طريق الألغام، بحيث تعرض لخسائر كبيرة وأصبح لا يتحرك إلا بعد أن يجمع المدنيين الجزائريين ويحملهم أمامه بسيارات خاصة ويكون من ضحايا[115] تلك الألغام وطلبنا من السكان أن يرفضوا ركوب هذه السيارات مهما كان الضغط وقد قويت عمليات التخريب بالألغام بالمناطق الجنوبية بصورة خاصة فحطم المجاهدون 13 قاطرة حتى مجموع 17 في ظرف 6 أشهر وصار لا يمر يوم دون حصول تخريب قطار ، وحاول جيش الاحتلال أن يقاوم هذا النشاط بوضع الأسلاك الشائكة المكهربة وفي عام 1958 تم تدعيم الثورة وتعمقت وآتت ثمارها بتكوين الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية يوم 19 سبتمبر 1958 واختنق الاستعمار الفرنسي ولم يفده مشروع شال العسكري الضخم الذي وضع عام 1959 وصارت المبادرة دائما في أيدي جيش التحرير الوطني عسكريا وجبهة التحرير الوطني سياسيا.[116]

---

113 يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 170.

114– جريدة المجاهد ، العدد 93، 10 أفريل 1961م ، ص 7.

115– يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 172.

116 يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 172.

ويذكر محمد لمقامي في كتابه رجال الخفاء أن التعداد في ناحية وهران كان معتبرا بقيادة العربي بن مهيدي، ومساعده عبد الحفيظ بوصوف والحاج بن علاوة محمد فرطاس كانت قد قررت تدعيم قطاعات الداخل بالأشخاص والعتاد وبإرسال وحدات كثيرة أطلق عليها اسم الطوابير والتوغل نحو الشرق والجنوب الوهراني فناحية وهران بما فيها الجنوب الغربي الصحراوي كانت تتحكم فيها منظمة وجيش التحرير الوطني وتلك الطوابير التي توغلت إلى داخل الجزائر قد انطلقت كلها من ناحية تلمسان قد أصبحت في وقت قليل معقل الثورة.

وفي وهران قام عبد الحميد بوصوف ونوابه بحماية الشبيبة ووضع شقتهم بها وبفضل هذه الثقة التي وضعها بوصوف في هذه الشبيبة المتطوعة فإن تنظيم الولاية الخامسة أكثر فعالية كما كان الشبان في ما بعد بالنسبة لمصالح وزارة التسليم والاتصالات العامة حيث يذكر محمد لمقامي إن كل الثانويين والجامعيين الذين التحقوا بنا احمد جلاد طالب[117]، محمد ديب احمد الغازي، علي زبيب وغيرهم من بين الذين هجروا المدرسة الابتدائية كشاوى علي المدعو مراد وعلي ديب وعبد الرحمان ديب واحمد جلاد، لحبيب محبوب.

وكان من أهم مسؤولي المنطقة الخامسة بوصوف بومدين [118]، لطفي، عثمان، عبان رمضان، سعد دحلب، بن طوبال، أدهليس، سليمان، صالح، زعموم، مقاتلي عبد الرحمان، الشايد حمود جابر.

بعد أرضية الصومام المنعقد يوم 20 أوت 1956 أصبحت ناحية وهران التي كان يشملها التقسيم الإداري الفرنسي أنها أوسع ولاية من بين الولايات التي كان عددها ستة، وكان السي لمبروك بمساعدة ثلاث ضباط برتبة صاغ هواري بومدين، الحنصالي، ميسوم من سردة شعبان (انواتي) أصله من الأنواط.[119]

وقد كان بومدين المفضل عند بوصوف كونه كان أكثر انضباطا في أعماله وكان يعتبر الرجل الأول بعد بوصوف.[120]

---

[117] محمد لمقامي، *رجال الخفاء مذكرات ضابط في وزارة التسليح والاتصالات العامة*، منشورات ANEP، 2005، ص 37-38.

[118] بومدين : ولد عام 1932 في ولاية قالمة، انظم في 1838 إلى مدرسة الكتابية، انخرط في الجناح السري لحزب الشعب أكمل دراسته في جامع الزيتونة ثم انتقل القاهرة وهناك التحق بالمكتب المغرب العربي اختير فيما بعد لمهمة جلب الأسلحة ثم دخل في اتصالات مع قادة الثورة، ثم أسندت له بعض المسؤوليات فتولى قطاع العلاقات والمعلومات، ثم عين في منطقة وهران كما ساعد بوصوف بعدما تمكن من أن يصبح قائد القوات المسلحة للجيش في 1960، قاد الانقلاب في 19 جوان 1965 وأصبح رئيسا للدولة الجزائرية، توفي في ديسمبر 1979، نظم محمد الصالح شيروف، هواري بومدين رحلة أمل واغتيال حلم، دار الهدى، الجزائر، 2005، ص 5.

[119] محمد لمقامي، المصدر السابق، ص 36.

[120] Mohamed harbi, gilbert meymier : le FLN documents et histoire, 1954-1962 , casbah, Editions, Algérie, 2004, p 306.

1- بوصوف وجهاز المخابرات والاستعلامات

أن في بداية كل حرب وطيلة استعمالها وبعد استتاب الأمن فيها لا يتوقف دور المخابرات ولا يكلّ بل هي الحرب المشتعلة أبدا وان كانت في الظل.

لكن هل كان لثورة التحرير جهاز مخابرات يتحدى العدو؟ وما هي تنظيمه وإمكانياته ودوره الثوري وكيف كان يتصدى لمخططات الأجهزة الفرنسية في الثورة؟

من المعلوم أن للثورة جهاز مخابرات أطلق عليها اسم "المالق MALG" وقد تأسس خارج الثورة وأن مؤسسه هو عبد الحفيظ بوصوف الذي ظل أهم شخصية مشرفة عليه إلى أن استرجعنا سيادتنا[121]، إنّه الرجل الصامت العامل في سرية تامة وبعد نظر، ومن الرجال الأفذاذ الثوريين القلائل وإذا تحدث متحدث عن السرية والكتمان والاستخبارات فإنه لا يكاد يذكر ذلك إلا ويتبادر إلى ذهنه شخصية بوصوف الاستراتيجي الكبير الذي انتبه مبكرا إلى ضرورة توسيع الثورة لتشمل ميادين أخرى تكمل الجوانب العسكرية والسياسية والدبلوماسية وتجميعها من الاختراقات.[122]

في الوقت الذي كانت أجهزة المخابرات الفرنسية تعربد به داخل الوطن وتكيد لقادة الثورة وتغتال البعض وتغالط لبعض كما جرى في الولاية الثالثة مع قصة الزرق Les blues وتقتضي آثار المخلصين وتمد القوات المسلحة بدقائق المعلومات التي تحصلت عليها التعذيب وعبر شراء الذمم والابتزاز ويذكر لخضر بورقعة نموذجا عن مخططات جهاز المخابرات الفرنسية أن أحد الصحفيين الفرنسيين انتقل إلى الولاية الرابعة وادّعى أنه من أصل مجري وأنه ظل سنوات عديدة يحاول الوصول إلى قلب الثورة ويجتهد في التعرف إلى المجاهدين لينقل إلى العالم قضيتهم ويحسس الرأي العام الدولي بما يكابده الشعب الجزائري تحت سير الآلة الاستعمارية واستطاع أن يتوغل في صفوف المجاهدين ويكسب ثقتهم حتى أنهم أطلقوا عليه اسم "جلول" غير انه كان ينقل أخبار المجاهدين إلى فرنسا أول بأول ويكشف مخططاتهم مستعملا جميع الطرق واستغل أول هجوم كاسح للعدو ضد المجاهدين واختفى وظن المجاهدين انه قتل في المعركة الشرسة لكن بعدما نشر الجنرال "ماسو" مذكراته حملها أجمل الصفحات عن ذلك الصحفي المزعوم.[123]

---

[121] لخضر بورقعة، *مذكرات الرائد لخضر بورقعة شاهد على اغتيال الثورة*، دار الحكمة، الجزائر، ص 307-308.

[122] مسعود مزهودي وآخرون، المرجع السابق، ص 77.

[123] لخضر بورقعة، المصدر السابق، ص 309-310.

فمنذ 1954 بعد تشكيل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية التي أصبح عبد الحفيظ بوصوف فيها وزير للتسليح والعلاقات العامة MALG وقد منحته هذه الوظائف المسؤولية على كل منظمة الاستعلامات والجوسسة المضادة التي يعتبر مؤسسها والتي اظهر فيها يقضة كبيرة في إحباط مخططات المصالح الفرنسية[124] وفي تكوين إطارات في هذا المجال حتى لقب بأب المخابرات الجزائرية فقد استطاع جمع 8 مليارات فرنك فرنسي قديم في عهد الثورة الجزائرية بفضل حنكته ودهائه، مقابل تجارته في الاستعلامات الدولية، حيث باع معلومات للولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفياتي، الصين، اليابان، وهذه المعلومات كانت تخص شؤونا دولية لهذه البلدان مصلحة فيها.

وهناك إحدى عملياته البارعة إذ أنه كشف أحد عملاء المخابرات الأمريكية بالجزائر إبّان الثورة وبعد استنطاقه تحصل منه على معلومات مهمة تتعلق ببعض الوزراء العرب العملاء لهذه الوكالة، فأخبر حكوماتهم العربية بذلك وتأكدت من صحة هذه المعلومات بعد تحقيقاتها حول الأشخاص المشار إليهم، أما قصة سكرتيرة في الناتو فهي واحدة من العمليات الناجمة لجهاز المخابرات الجزائرية في وقت الثورة تمثلت في تجنيد سكرتيرة فاتنة تعمل لدى جنرال كبير في حلف الناتو للقيام بتجنيده وقد كان الهدف إيصال أجهزة اتصال حديثة لجهاز الإشارة لجيش التحرير الوطني الجزائري بهدف الاتصال بين الوحدات وقد تمكن رجال عبد الحفيظ بوصوف من الحصول على الأجهزة وفي العديد من المرات التجسس على الاتصالات بين الوحدات الفرنسية واكتشاف الكثير من أسرار الجيش الفرنسي هذه العملية تمت بعد عملية السفينة اليونانية وإعدام اليوناني الخائن.

لقد أسس عبد الحفيظ بوصوف جهاز مخابرات قوي للثورة كما أنه بذكائه الحاد جند بعض الوزراء في الحكومة الفرنسية لصالح ثورة الجزائر من بينهم ميشال دوبري الذي كان رئيس الوزراء في حكومة شارل دغول ووزير الاقتصاد "فوركاد" ووزير الفلاحة "ادغار بيزني" وشخصيات أخرى لها صلة بالحكومة.[125]

وقد فرض بوصوف في جهازه انضباطا صارما على رجاله فنشر الرقابة البوليسية إلى درجة أنه لم يكن بإمكان أي جزائري أن يدخل الولاية الخامسة أو يغادرها بدون أن يخضع للرقابة أو يتعرض للمتابعة واستطاع بوصوف أن يقوّي تنظيمه بواسطة نظام الراديو والتنصت على اتصالات العدو الفرنسي والتجسس على أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ ثم على أعضاء الحكومة المؤقتة ولم يكن يثق بأي أحد سواء كان في الناضور في المغرب أو في تونس، كان ينام في أماكن يجهلها حتى أقرب المقربين إليه بالأخص بعد أن تعرض لعدة عمليات اغتيال[126]، هذا إضافة إلى إنشاء نظام السلاح المزدوج وهو سلاح الإشارة والشفرة والاعتماد على شباب يمتاز بالذكاء والفطنة، وانشأ مدارس للتكوين والتدريب على مختلف التقنيات لمواجهة مختلف أسلحة العدو والإستراتيجية في الدعاية المضادة وأحيانا

---

[124] عاشور شرفي، المرجع السابق، ص 91-92.

[125] Cherif abdedaiem , op, cite., p 206-207.

[126] حميد عبد القادر، *عبان رمضان مرافعة من اجل الحقيقة*، منشورات الشهاب، 2003، الجزائر، ص 138-139.

تجاوز جهازه الناشئ العمل الدفاعي إلى العمل الهجومي فاخترقت أجهزته ورجاله الأجهزة الأجنبية بجمع المعلومات لصالح الثورة واختراق أجهزة العدو لمعرفة مخططاته مسبقا.

وليس أدل على ذلك من المعلومات التي سلمها إلى الوفود الجزائرية المفاوضة والتي أظهرت للطرف الفرنسي وبينت أن الجزائريين كانوا على علم حتى بالأسئلة التي سيطرحها الفرنسيون أثناء المناقشات وكانت أجوبتهم جاهزة، وبفضل المبادئ التي كان يؤمن بها هذا الرجل التي علمها إلى تلاميذه، وهو كان قد أخذ بعضها عن غيره ورفاقه من أمثال بن مهيدي وعلمها إلى إخوانه ورفاقه من أمثال العقيد هواري بومدين والنقيب قاصدي مرباح وغيرهم وبفضل ذلك استطاع الجزائري أن يبرهن على ذكاء حاد وقدرة عجيبة في نسج شبكة التسليح والتمويل بالمال والمؤن أن يربط بين قواعد الثورة في الداخل والخارج دون أن يتمكن العدو من اكتشاف ذلك.[127]

وقد سخر بوصوف جميع الوسائل لخدمة الثورة مهما كلف ذلك من ثمن فاستعان بمساعديه من الشبان وتلامذة الكوليج والمدرسة وعدد كبير من الطلبة الجامعيين الذين قدموا أحسن ما قدموا وضحوا بالنفس والنفيس وساهموا مساهمة مشرفة في سبيل الكفاح المسلح المجيد وكان حظ هؤلاء الشبان من الحياة محفوف بالصعاب والمخاطر وكتمان الاسم والخفاء التام وكان شعارهم كتمان السر والتقسيم والحجز بين المصالح وكان هدفهم الفعالية في العمل والمصلحة العليا للثورة.

وبعد تكوين ملائم في الجوانب التقنية والسياسية والعسكرية فقد عين الكثير منهم في الولايات والمناطق حيث العمليات العسكرية داخل البلاد إما كمراقبين أو محافظين سياسيين أو عاملين في الراديو أو الشفرة أو المصلحين لأجهزة الراديو أو ضباط الأخبار والاتصال واستشهاد الكثير منهم في ميدان الشرف أو سجنوا وقد جعل السي لمبروك (عبد الحفيظ بوصوف) من هؤلاء الشبان قوة ضاربة، وما من أحد يستطيع أن ينكر اسما من هؤلاء الشبان الذين ساهموا في الكفاح المسلح، وقد كان السي لمبروك هو المحرك الأساسي لنظام الاتصالات بمساعدة بومدين وموسى صدار وعبد الكريم حساني وغيرهم[128].

ولقد تعرض بوصوف لعدة انتقادات حتى من بعض أعضاء الأركان العامة ما يتعلق بالحالة الماسة للسلاح لاسيما الذخيرة والعتاد، ومنذ بداية 1959 أصبح من الصعب جدا عبور السدود الحدودية لمواجهة هذه الوضعية المأسوية قرر بوصوف أن يسخر جميع الوسائل لفائدة القضية مهما كلف الثمن، ويذكر المقامي أيضا أن بومدين كان يتردد دائما إلى تلك المراكز السرية لكن ابتداءا من فترة معينة تغير سلوكية ومنذ ذلك العهد نشأ بين وبين بوصوف سوء تفاهم.[129]

---

[127] مسعود مزهودي وآخرون، المرجع السابق، ص 77-78.

[128] محمد لمقامي، المصدر السابق، ص 228-229.

[129] المرجع نفسه، ص 127.

كما يذكر فتحي الديب عن جهاز بوصوف الذي استولى على الطابق الخامس من العمارة المخصصة للحكومة المؤقتة، وطلب منهم السماح بإحضار جهاز سلكي ولأن جهازه كان في البداية محدود العدد ثم بدأ يتزايد أعداده بشكل ملفت وحينما استفسر من بوصوف عن تزايد هذا العدد يبرر ذلك باتساع دائرة عمله وأنه في أواخر ديسمبر 1958 بدأ يغير سياسته تجاه القاهرة.[130]

أما بورقعة فيقول أن جهاز المالق تأسس لأغراض غير أغراض مقاومة أجهزة العدو تفكيك مخططاته كما أن عملية اختيار الجهاز كانت خاضعة لمقاييس غير مقاييس الكفاءة والإخلاص للمبادئ وقد شهد بومدين معارك جهاز المالق في المتاجرة في السلاح وتكديس المعدات والتجهيزات العسكرية في الحدود الغربية والشرقية، إن الرجل الذي كشف دسائس جهاز المالق هو المرحوم طوالبة عبد اللطيف، الذي رأى فصلا بين جنود الثورة وضباطه في الأكل والإقامة، فعمدوا إلى اعتقاله وتأديبه في الوقت الذي كان ضباط الخارج في نعيم البذخ والترف، فتمكنت المخابرات المصرية أن تاخذ من أفواههم معلومات قاتلة وبذلك تمكنت قوات العدو من إبادة أكثر من مئة مجاهد دفعة واحدة، فقد جرى اغتيال خيرة المجاهدين لأنهم رفضوا الانقسام وثورة القصور والمهرجانية السياسية تحت أضواء أجهزة الكاميرا.[131]

2- صراعه على السلطة (الباءات الثلاث)

فيما يتعلق بالمراحل الكبرى التي مرت بها السلطة في قيادة الجبهة كان مؤتمر الصومام قد حاول تكريس غلبة السياسي على العسكري إلا أنه لم يفلح في ذلك إذ سرعان ما تمكن العسكريون في أوت 1957 من تدجين السياسيين وبسط هيمنتهم على قيادة الجبهة من خلال ثلاثة أشخاص ركزوا بين أيديهم كل السلطات وصاروا مصدر القرارات المهمة في تسيير الثورة وهم الثلاثة كريم بلقاسم[132] عبد الحفيظ بوصوف، لخضر بن طوبال.[133]

وهكذا رضخ السياسيون للأمر الواقع باستثناء واحد منهم هو عبان رمضان الذي أبدى مقاومة شديدة لانفراد العسكر بين بقيادة حرب التحرير[134] بسبب إقصاءه تماما من تسيير الشؤون الهامة لذا قاوم بكل ما أوتي من قوة وما كان يملكه عبان بالدرجة الأولى هو لسانه. حيث اخذ يقول كل شيء لخصومه في السر والعلن وتمادي في هجماته الكلامية على العسكريين مؤكدا أنهم ليسوا بالثوريين، وقد كان العقداء مصممين على ترسيخ سلطته وكان عبان حجر عثرة في طريقهم لذا تدهورت العلاقات بينهم وصار عبان يتغيب عن اجتماعات لجنة التنسيق

---

[130] فتحي الديب، *عبد الناصر وثورة الجزائر*، ط1، دار المستقبل العربي، القاهرة مصر، 1984، ص 322-323.

[131] لخضر بورقعة، المصدر السابق، ص 311-315.

[132] حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص 132.

[133] محمد عباس، المرجع السابق، ص 135.

[134] صالح بلحاج، *تاريخ الثورة الجزائرية*، دار الكتاب الحديث، 2008، ص 435، 436.

والتنفيذ وبعد ذلك وجه إليه العقداء الثلاثة إنذار أخيرا في وجه وساطة أخيرة كلف بها السياسيون الثلاثة في اللجنة عباس دباغين ومهري.[135]

ففي اجتماع لجنة التنسيق والتنفيذ الذي انعقد في تونس شرع عبان خلاله بفتح النار على قائد الولاية الخامسة عبد الحفيظ بوصوف لكن انتقادات عبان لم ترضى كريم بلقاسم.[136]

وطالب عبان بضرورة عقد دورة جديدة للمجلس الوطني للثورة الجزائرية للتأكيد على المبادئ التي اتفق عليها في مؤتمر الصومام قاموا بعقد الاجتماع في 27 أوت 1957 وقد شن فيه عبان هجوما على العسكريين بدءا بالعقيد أوعمران لكنه وجد نفسه معزولا هذه المرة فحتى كريم بلقاسم تخلى عنه وتحالف معه بن طوبال، وبوصوف وهنا تبدأ مناورات كريم بلقاسم لسحب البساط من جماعة عبان حيث اتصل بالعقيد عبد الحفيظ بوصوف واقترح عليه فكرة الالتحاق به وتشكيل قطب جديد من العسكريين مناهض للسياسيين .

وكان بوصوف مثل بن طوبال متحفظا من مؤتمر الصومام فهو رجل مخابرات يفضل العمل وفق تصوراته ولا يرضى بأي قرار فوقي يملي عليه أفعاله، اكتشف عبان النظام البوليسي الصارم الذي أوجده بوصوف في سرية تامة لتفادي أعين رجال المخابرات الفرنسية واحترافات المناظلين المصاليين، كما سعى لتجنب ضغوطات القصر الملكي المغربي على جيش التحرير الوطني، كما تلقى عبان بضعة أيام بعد وصوله إلى المغرب تقريرا شاملا من أحد الإطارات عن أوضاع الثورة في الولاية الخامسة ولما علم بوصوف بالأمر وضع كاتب التقرير في السجن، كما أدرك عبان أن مصالح بوصوف كان بحوزتها ملايين الفرنكات بينما كانت الولايات الأخرى فقيرة لدرجة أنها غير قادرة على شراء الأسلحة[137] وواصل عبان تصديه للعسكريين وفي شهر ديسمبر 1957 كان العقداء قد قرروا نهائيا وضع حد لمعارضة عبان وبقي لهم أن يحددوا كيفية القيام بذلك.

و تم استدراجه إلى المغرب وقيل له أن قوات بوصوف قد جردها الجيش المغربي من سلاحها ولابد من تسوية القضية مع الملك محمد الخامس، قبل عبان وسافر مع كريم بلقاسم ومحمد الشريف وفي مطار تيطوان كان في انتصاره بوصوف وعنصران من مخابراته اللذان قاما بشنقه في مزرعة وعندما انتشر خبر اغتيال عبان وشرعت الصحافة الفرنسية في استغلاله، رتب العقداء حكاية أن عبّان سقط في ساحة القتال، اتفق على أن يبلغ بومدين الخبر إلى كريم بوصفه قائد القوات المسلحة وكلف بومدين بكتابة كلمة التأبين لصحيفة المجاهد.[138]

---

[135] صالح بلحاج، *أزمات جبهة التحرير الوطني وصراع السلطة، 1956-1956* م ، ط1، دار قرطبة، الجزائر، 2006، ص 21-22.

[136] حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص 134.

[137] حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص 138-139.

[138] صالح بلحاج، *أزمات جبهة التحرير الوطني وصراع السلطة*، المرجع السابق، ص 22-23.

وخلال جلسات عديدة لم يحققوا أي تقدم خلال مسألة القيادة الجديدة، الصيغة التي كان الثلاثي قد اتفق عليها مبدئيا وشرع كريم في الدفاع عنها على أمل أن تحقق تمثلت في إلغاء الحكومة المؤقتة والعودة إلى ما يشبه لجنة ثورية مصغرة في تلك الأثناء كان كريم قد أدرك أن لطفي وبومدين وكافي المعارضين له المدعومين له من طرف بوصوف وبن طوبال، فقرر أن ينسحب ولجأ إلى التهديد باستخدام القوة وأمرهم أن يلتحقوا بمناضليهم فسارع لخضر بن طوبال إلى منزل كريم لتحذيره من مغبة اللجوء إلى أساليب القوة ولم يبقى أمام كريم سوى التنازل والعودة إلى الاجتماع.[139]

وفي الفترة الممتدة من 16 ديسمبر 1959 إلى 18 جانفي 1960 اجتمع أعضاء المجلس الوطني للثورة الجزائرية الجدد بمدينة طرابلس، فاتخذوا الإجراءات الضرورية لجعل كفاح أبناء الشعب الجزائري أكثر فعالية وتقرر العمل في إطار جماعي وتقليص نفوذ الشخصيات العسكرية القوية داخل الحكومة المؤقتة وتعويضه بلجنة وزارته للحرب وتتشكل من عبد الحفيظ بوصوف ، لخضر بن طوبال، وكريم بلقاسم وغير أن هذه اللجنة اعتمدت في أعمالها على قيادة الأركان العامة واستطاع عبد الحفيظ بوصوف أن يعين العقيد هواري بومدين رئيسا للأركان العامة[140]، الذي كان المفضل عند بوصوف، وكان منضبط في أعماله وبعدها سيصبح الرجل الأول في مكان بوصوف.[141]

ويذكر سعد دحلب هكذا كنا نعتقد أن جيش التحرير الوطني سيصبح تحت قيادة موحدة في الداخل وفي الخارج، وقد بدأ نفوذ الباءات الثلاث يتقلص في تلك الفترة وأصبح بومدين متمكن من الرجال والأسلحة، الذي شرع مع مجموعة من الضباط تأسيس المكتب السياسي التي استعادها وأقرها بن بلة فيما بعد في طرابلس.[142]

وهكذا بعد بروز قوة هيئة الأركان فضل بوصوف في ظل أزمة صيف 1962 التخلي عن دوره لتلاميذه وانسحب من الحياة السياسية فجأة، وقد انتقلت معه من ملفات وأسرار الثورة التحريرية.[143]

بعد اغتيال عبان زالت العقبة الكبرى أما القادة العسكريين لكن ذلك لم يعن زوال الخلافات ضمن القيادة لاسيما كريم الذي كانت تراوده فكرة مهمة بالنسبة إليه وهي أن يصبح الزعيم الأول للثورة من دون منازع لكن بن طوبال وبوصوف وقف في طريقه ولم يسمحا له بتحقيق هدفه، وفي شهر أفريل 1958 قامت لجنة التنسيق والتنفيذ

---

[139] صالح بلحاج، *الثورة الجزائرية*، المرجع السابق، ص 469-470.

[140] عمار بوحوش، *التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962*، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 493-494.

[141] mohamed harbi, gilbert meyrmier , op,cite., p 316.

[142] سعد دحلب، المصدر السابق، ص 113-114.

[143] مقلاتي عبد الله، قاموس أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية، ط1، ردمك الجزائر، 2009، ص 113.

بمبادرة بين الأول لإعادة تنظيم الجيش وتمثلت في إنشاء قيادتي العمليات العسكرية الشرقية والغربية والثانية هي إنشاء دوائر ضمن لجنة التنسيق والتنفيذ.

في الفترة نفسها شهدت الساحة الفرنسية أحداث هامة توجت بعودة الجنرال ديغول وهذا ما دفع بهم لإنشاء الحكومة الجزائرية المؤقتة[144] لتكون الرأس المسيّر للثورة والناطقة باسمها في جميع المحافل الدولية والمحلية، وفي الاجتماع المعقود بتاريخ 19 سبتمبر 1958 تقرر تشكيل في اقرب مهلة حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية[145] تتكون من رئيس المجلس فرحات عباس نائب الرئيس ووزير القوى المسلحة كريم بلقاسم، نائب الرئيس احمد بن بلة، وزارة الدولة حسين آيت احمد، رابح بيطاط محمد بوضياف، محمد خيضر، وزير التسلح والتموين محمود الشريف، وزير الداخلية لخضر بن طوبال، وزير العلاقات العامة والاتصالات عبد الحفيظ بوصوف، وزير المالية والشؤون الاقتصادية أحمد فرنسيس، وزير الاستعلام محمد يزيد، وزير الشؤون الاجتماعية بن يوسف بن خدة[146] وكما في السابق فالعقداء الثلاثة ظلوا أولى الأمر والنهي في الهيأة الجديدة.

واقترح بوصوف الحفاظ على القيادة الجماعية من دون شك للحيلولة دون رئاسة كريم[147] لها، وبعد أسابيع من ذلك وقعت حادثة عميرة علاوة، حيث عثر عليه ميتا أمام مبنى الحكومة المؤقتة بالقاهرة الرواية الرسمية قالت بالانتحار وأكدت المعلومات الدقيقة أن مدبر الحادث هو بوصوف وتم تنفيذه في الدور الخامس المخصص لجهاز مخابرات بوصوف والذي لا يسمح لأي فرد مهما كانت صفته دخول هذا الطابق من مبنى الحكومة عدا أعضاء جهازه السري.[148]

واشتدت الخصومة بين بوصوف أعضاء الحكومة من جهة بوصوف وعباس المتهمان باغتيال علاوة ومن جهة أخرى دباغين وكريم ومعهما هذه المرة السلطات المصرية وانتهز كريم فرصته وجود عباس في قفص الاتهام للمطالبة بخلافة لكن معارضة بوصوف وبن طوبال لم تمكنه من ذلك فعمل على اقناعهما لإيقاف عمل الحكومة بدعوى أن السياسيين دباغين وعباس هما المسؤولان عن انقساماتها فقرر الثلاثة استلام كامل السلطات رسميا وممارستها فعليا[149] في جويلية 1959 أرغمت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية على تسلم السلطات لهم فقد تحصلوا الثلاثة على التفويض من زملائهم لجمع القادة العسكريين،.

---

[144] الصالح بلحاج، *أزمات جبهة التحرير وصراع السلطة*، المرجع السابق، ص 25-28.
[145] عمار قليل، *ملحمة الجزائر الجديدة*، ج2، ط1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1991، ص 148.
[146] مصطفى الطلاس، المرجع السابق، ص 326.
[147] الصالح بلحاج، *أزمات جبهة التحرير وصراح السلطة*، الرجع السابق، ص 32-34.
[148] فتحي الديب، المصدر السابق، ص 426.
[149] الصالح بلحاج، *تاريخ الثورة الجزائرية*، المرجع السابق، ص 460.

وهذا من أجل تأسيس حكومة م ج مكلفة بإعطاء ثورتنا إستراتيجية عسكرية وسياسية ودبلوماسية جديدة، لقد التقى الثلاثة مع قائد أركان الحرب الشرق والغرب، كان محمدي السعيد وبومدين و5 عقداء للولايات موجودين في تونس[150] وقد شكلوا بما يسمى بلجنة العقداء العشرة الذين اجتمعوا لمدة مئة يوم[151] عازمين على إيجاد وسائل أنجع وأحسن وطرق وأساليب سامية في القتال وقيادة أكثر كفاءة ، والكفاح إلى غاية الاستقلال .

خاتمة :

أن البحث في تاريخ ونضال الشخصيات الثورية يبقى من أصعب الأبحاث نظرا لتشابك الأحداث وعدم ترك الكثير منهم لمذكرات تسلط الضوء على كفاحهم خلال الثورة ، ورغم ذلك فهناك كتابات ووثائق ولكنها تحتاج إلى دراسة وصبر خاصة مع وجود الشهادات الحية المهمة والصعبة في آن واحد.

من خلال دراستنا هذه تبين لنا العقيد عبد الحفيظ بوصوف حقيقة ينتمي إلى ذلك الجيل القوي والمدافع عن قضيته ،و قد أظهر في جميع الجبهات يقظة كبيرة في إحباط مخططات المصالح الفرنسية كما أن تلك الخصال التي ميزته جعلت منه رجلا سياسيا وعسكريا، ويعتبر أحد أفضل قادة جيش التحرير الوطني وهو رائد إستراتيجية الاستعلامات وسلاح الإشارة والشفرة في الثورة هو أبو المخابرات الجزائرية فإذا تحدث متحدث عن السرية والكتمان والاستخبارات فإنه لا يكاد يذكر ذلك إلا و يتبادر إلى ذهنه شخصيته بوصوف الاستراتيجي الكبير.

---

[150] الحاج لخضر (الولاية 1)، علي كافي (الولاية 2)، بازوزن المدعو سعيد (الولاية 3)، سليمان دحليس المدعى صادق (الولاية4) لطفي (الولاية 5)، انظر دحلب، ص 104.

[151] هناك اختلاف في المدة التي استغرقها الاجتماع، 94 يوم حسب كافي، 99 يوم عند كورير، 100 يوم عند بن خدة، 110 يوم عند حربي وحسب G. Mayner من بداية الاجتماع نهاية لم يفارق الحاضرون أسلحتهم. ولم يفارقهم فراسهم، أنظر الصالح بلحاج، أزمات جبهة التحرير، ص 42.

الامتيازات الجبائية خيار استراتيجي لتدعيم و تنويع الاستثمار الجزائري
"جمع متفرقات من المنظومة القانونية الجزائرية"

د. عمارة نعيمة
ا. خضار فايزة
جامعة ام البواقي

ملخص:

كفل المشرع الجزائري العديد من الإمتيازات الجبائية للمستثمرين الأجانب و الوطنيين و حتى المستثمرين في إطار بورصة الجزائر، حيث تم إدراجها ضمن إتفاقيات جبائية دولية و كذا قوانين داخلية كقانون المالية و القوانين الجبائية بالإضافة إلى قانون الإستثمار، كما عمد أيضا إلى تأسيس أجهزة تقوم بمنح هذه التحفيزات، و كانت أبرز الأجهزة التي تم التركيز عليها المجلس الوطني للإستثمار (CNI)، الوكالة الوطنية لتطوير الإستثمار (ANDI) و الهيئات الداعمة للمؤسسات الصغيرة و المتوسطة (ANSEJ, CNAC, ANGEM)، و للتأكد من فعالية هذه الإمتيازات الجبائية في تدعيم الإستثمار تم الإعتماد على إحصائيات أبرزت تطور حجم الإستثمار الأجنبي المملوك بالكامل للمستثمر الأجنبي أو بالشراكة، الإستثمار الوطني وكذا غير المباشر الذي يتم في إطار بورصة الجزائر.

الكلمات المفتاحية: الإمتيازات الجبائية، الإستثمار، الإستثمار الأجنبي، الإستثمار غير المباشر.

Abstract :

The Algerian legislator has guaranteed many tax advantages to foreign and national investors and even investors in the frame work of the Algerian Stock Exchange, which have been included in international tax agreements and internal laws such as the fiscal law and tax laws as well as the investment law. He also established bodies that grant these incentives, The most prominent of these were the National Investment Council, the National Investment Development Agency and the Small and Medium Enterprises Supporting Agencies, In order to ensure the effectiveness of these tax advantages in supporting investment, Statistics highlighted the development of the volume of foreign investment wholly owned by the foreign investor or partnership, national and indirect investment in the framework of the Algerian Stock Exchange.

Key words : Financial privileges, Investment, Foreign Investment, Indirect investment.

مقدمة:

يعد إستقطاب الاستثمار الأجنبي و تدعيم الوطني و تنشيط الإستثمار في البورصة هاجس كل دولة خاصة بالنسبة للدول النامية التي تحتاج لمثل هذه الاستثمارات لاسيما في ظل إنخفاض أسعار البترول وتراجع مخزونه، فأضحى البحث عن المستثمر الأجنبي و تدعيم الوطني مشكلة تجيب عنها التشريعات الداخلية و الدولية و ذلك بمنح العديد من الضمانات، ولعل محور الدراسة سيقتضي التركيز أكثر على الإمتيازات الجبائية، بحسبان أنها حديث الساعة في مختلف القاعات البرلمانية باعتبار أنها تساهم في إستحداث مصادر جديدة للطاقة في إطار ما يعرف بالطاقة البديلة لأن هذا يتطلب تكنولوجيا غالبا ما تكون في يد الدول المتقدمة، ولعل أبرز هذه الدول نجد الدولة الجزائرية التي لطالما كانت و لا تزال تقدم إمتيازات جبائية وهو ما تعكسه شتى التشريعات و الإتفاقيات والتي يقع على رأسها قانون الإستثمار والذي ركّز المشرع الجزائري من خلاله على تشجيع الإستثمار في المناطق النائية والتي يراد ترقيتها، بالإضافة إلى الإستثمارات التي تستعمل التكنولوجيا كون أن هذه الأخيرة مفيدة للبيئة كما أنها تساهم في تطوير الإقتصاد و بالتالي تجاوز فكرة التبعية لقطاع المحروقات، كما إحتوت القوانين الجبائية بعض الإمتيازات والتي منحت في الأغلب لبعض الإستثمارات الصغيرة والمضطلع بها الشباب المستثمر المستفيد من الدعم، لينتقل المشرع إلى المستوى الدولي و يقوم بإبرام العديد من الإتفاقيات الجبائية و التي كان يسعى من ورائها إلى مواجهة مشكلة الإزدواج الضريبي الدولي والحد منها.

وبعد تحديده للإطار القانوني لهذه الإمتيازات عمد المشرع بعد ذلك إلى إستحداث هيئات فاعلة في هذا المجال تسهر على منح هذه التحفيزات والتأكد من استفادة المستثمرين منها.

ومن هنا تتبلور **أهمية هذا الموضوع** والتي تكمن في تحديد مكانة الامتيازات الجبائية بالنسبة للمستثمر أثناء إتخاذ قرار الإستثمار، هذا و**تهدف الدراسة** إلى إبراز مدى فعالية التحفيزات الجبائية في جذب الاستثمار الأجنبي وتدعيم الوطني وإنعاش الاستثمار في بورصة الجزائر.

هكذا وبعد أن أرسى المشرع الجزائري إطارا قانونيا يبرز شرعية هذه الإمتيازات الجبائية ثم ركونه إلى تدعيمه بإطار مؤسساتي يبدي من خلاله رغبته في التأكد من حصول المستثمر على هذه الإمتيازات **يثار بعد ذلك التساؤل حولحدود فعالية هذه التحفيزات الجبائية وفاعليتها في إستقطاب الإستثمار الأجنبي و تدعيم الوطني ومن ثم تنشيط الإستثمار غير المباشر الذي يتم في إطار بورصة الجزائر.**

وكأي بحث فإنه يقتضي الإرتكاز على مناهج علمية مختلفة و بالنسبة لهذا الموضوعفقد **تم الإعتماد فيه على** المنهج الوصفي والذي يظهر من خلال عرض مختلف الضرائب و نسبها و مجال تطبيقها و كذا العرض الموجز لبعض الإتفاقيات الجبائية الدولية، دون إغفال المنهج التحليلي و الذي يتبلور من خلال تحليل النصوص القانونية، كما تم الإعتماد على المنهج الإحصائي لإبراز الطابع الإقتصادي للموضوع و الذي يظهر أيضا الطابع العلمي الدقيق و بالتالي إضفاء المصداقية على البحث محل الدراسة.

وفي إطار الإجابة عن الإشكالية المطروحة سابقا تم التوصّل إلى إعداد خطة ثنائية يمكن عرضها كما يلي:

ـ **المبحث الأول**: الإطار القانوني للإمتيازات الجبائية الممنوحة للإستثمار في الجزائر.

-**المبحث الثاني**: الإطار المؤسساتي للإمتيازات الجبائية و فعاليتها في تدعيم الإستثمار.

المبحث الأول

الإطار القانوني للإمتيازات الجبائية الممنوحة للإستثمار[152] في الجزائر

لقد منح المشرع الجزائري العديد من الإمتيازات الجبائية[153] من خلال قانون الضرائب باعتباره الشريعة العامة في مجال الضريبة، ليكمله قانون الإستثمار بإضافة مزايا أخرى، أمّا على الصعيد الدولي فقد أبرمت الجزائر عدة إتفاقيات جبائية دولية منحت من خلالها إمتيازات تختلف من دولة إلى أخرى في إطار ما يعرف بمبدأ المعاملة بالمثل.

المطلب الأول

الإمتيازات الجبائيةالممنوحة في إطار قانون الضرائب

باعتبار أن النظام الجبائي أحد العناصر التي تدخل ضمن إهتمامات المستثمرين الوطنيين والأجانب عند إتخاذ قرار الإستثمار، وسعيا من المشرع الجزائري لتحفيز هؤلاء الأخيرين فقد سارع إلى منح العديد من التحفيزات الجبائية في إطار القوانين الجبائية.

الفرع الأول

الإمتيازات الجبائية الممنوحة في إطار الضرائب المفروضة على رقم الأعمال

كفل المشرع المالي مجموعة من الإمتيازات الجبائية في إطار الضرائب المفروضة على رقم الأعمال[154] و التي تتمثل في:

---

[152]عرّف المشرع الجزائري **الإستثمار** من خلال الأمر رقم 01-03 المعدل والمتمم بالأمر رقم 06-08 كما أعاد تعريفه من خلال القانون رقم 16-09 ولكنه حذف الفقرة الأخيرة الواردة في الأمرين السابقين(إستعادة النشاطات في إطار خوصصة كلية أو جزئية) ليعرّفه من خلال القانون الأخير بأنه:
- "إقتناء أصول تندرج في إطار إستحداث نشاطات جديدة، وتوسيع قدرات الإنتاج و/أو التأهيل،
-المساهمات في رأسمال شركة "لأكثر تفصيل أنظر المادة 2 من القانون رقم 16-09 المؤرخ في3غشت2016 و المتعلق بترقية الإستثمار، ج ر ج ج العدد6 المؤرخة في 3 غشت2016، ص18، ويعرّف الإقتصاديون الإستثمار بأنه: "تكوين رأس المال و إستخدامه بهدف تحقيق الربح بشكل مباشر أو غير مباشر" للإستزادة أكثر أنظر: عبد الله عبد الكريم عبد الله، ضمانات الإستثمار في الدول العربية، ط1، دار الثقافة، عمان، الأردن، 2008، ص18.

[153]والتي عرفّها الفقه بأنها:"مختلف التيسيرات التي يمنحها المشرع بهدف تشجيع الإستثمار، فالحوافز الضريبية تعني إستخدام الضرائب كسياسة لتحفيز الأشخاص على إتباع سلوك معين أو نشاط محدد يساعد على تحقيق أهداف الدولة و قد تكون هذه الإمتيازات في شكل إعفاءات أو تخفيضات"، لأكثر تفصيلاًنظر حيدر عبد المطلب البكّاء، "**الحوافز الضريبية وأثرها على الإستثمار و التنمية الإقتصادية في الفكر الإسلامي**"، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد27، بغداد، العراق، 2012، ص158 (كما تعرف الإمتيازات الجبائية أيضا بالتحفيزات و المزايا و التحريض الضريبي).

[154]يقصد **بالضرائب المفروضة على رقم الأعمال**: الضريبة الجزافية الوحيدة، الرسم على القيمة المضافة، الرسم على النشاط المهني و لأكثر تفصيل تصفح موقع المديرية العامة للضرائب:
www.mfdgi.org.dz

_ الإمتيازات الجبائية الممنوحة في إطار نظام الضريبة الجزافية الوحيدة (IFU):

منح المشرع المالي عدّة إمتيازات جبائية في إطار نظام الضريبة الجزافية الوحيدة[155] منها:

"الأنشطة التي يمارسها الشباب ذوو المشاريع الإستثمارية أو الأنشطة المؤهلون للإستفادة من دعم"الصندوق الوطني لدعم تشغيل الشباب"أو"الوكالة الوطنية لدعم القرض المصغر"أو"الصندوق الوطني للتأمين على البطالة"، حيث تستفيد هذه الأنشطة من إعفاء كامل من الضريبة الجزافية الوحيدة لمدة ثلاث(3) سنوات إبتداء من تاريخ الإستغلال، وتمدد إلى ستة(6) سنوات إبتداء من تاريخ الإستغلال عندما تتواجد هذه الأنشطة في مناطق يراد ترقيتها والتي تحدد قائمتها عن طريق التنظيم، وتمدد هذه المدة بسنتين(2) عندما يتعهد المستثمرون بتوظيف ثلاثة(3) مستخدمين على الأقل لمدة غير محدودة[156]، بالإضافة إلى إمتيازات أخرى في شكل تخفيضات تستفيد منها: "النشاطات التجارية الصغيرة المنشأة حديثا في المواقع المهيأة من طرف الجماعات المحلية، وهذا لمدة ثلاث (03) سنوات الأولى من الخضوع للضريبة وهذا عقب فترة الإعفاء بعنوان السنتين الأوليتين من النشاط التي منحت لهم و يمنح هذا التخفيض كما يلي:

- السنة الأولى من الخضوع للضريبة: تخفيض 70%؛
- السنة الثانية من الخضوع للضريبة: تخفيض بـ 50 %؛
- السنة الثالثة من الخضوع للضريبة: تخفيض بـ 25 %"[157].

_ الإمتيازات الجبائية الممنوحة في إطار الرسم على القيمة المضافة[158](TVA):

يمكن أن تستفيد العمليات المذكورة أدناه من إعفاءات ويتعلق الأمر بـ:

---

[155] **الضريبة الجزافية الوحيدة**: هي ضريبة تقوم على أساس تحديد دخل المكلفين تحديدا جزافيا إستنادا إلى بعض المؤشرات مثل رقم الأعمال، و للتفصيل أكثر أنظر: محمد عباس محرزي، إقتصاديات الجباية والضرائب، ط4، دار هومه، الجزائر، 2008، ص144، و تجدر الإشارة إلى أن هذه الضريبة نصّت عليها نصوص المواد: 282 مكرر، 282 مكرر1، 282 مكرر4 من الأمر رقم 76-101 الصادر بتاريخ 1976/12/09 المتضمن قانون الضرائب المباشرة و الرسوم المماثلة المعدل والمتمم، جر ج ج رقم 102 المؤرخة في 1976/12/22.

[156] أنظرالمادة 282 مكرر6، المصدر نفسه.

[157] تصفح الموقع: www.mfdgi.gov.dz

[158] يعرّف **الرسم على القيمة المضافة** على أنه: "ضريبة غير مباشرة تفرض على الزيادة في قيمة السلع والخدمات أي على الفرق بين ثمن بيع المادة وتكلفة شراء المستلزمات الوسيطة وهذه الضريبة تدفع من قبل المستهلك النهائي بينما تحصلها الدولة على مستوى المنتج أو مقدم الخدمات."، لأكثر تفصيل أنظر:قاسم نايف علوان، نجية ميلاد الزياني، ضريبة القيمة المضافة، ط1، دار الثقافة، عمان، الأردن، 2008، ص213، و فيما يخص المواد التي نظمت هذه الضريبة سنحيل إلى نص المادة 01 و ما بعدها منالأمر رقم 76-102 المؤرخ في1976/12/09 المتضمن قانون الرسم على رقم الأعمال المعدل والمتمم، ج ر ج ج رقم 103 المؤرخة في 1976/12/26، و بخصوص معدلات الإخضاع الضريبي لهذه الضريبة فقدكانت تحدد بمعدلين؛ معدل مخفض 7% للسلع والخدمات التي تمثل مصلحة خاصة على المستوى الإقتصادي، الإجتماعي، أو الثقافي والمعدل العادي 17% للعمليات والخدمات والسلع التي لا تندرج ضمن المعدل المخفض 7% وبعد صدور قانون المالية لسنة 2017 عدّلت المادة 24 منه المادة 23 من قانون الرسم على رقم الأعمال حيث حددت المادة 24 المعدل المخفض للرسم على القيمة المضافة بـ 9%كما حددت العمليات الخاضعة لهذا المعدل، كما عدّلت المادة 26 من قانون المالية لسنة2017 المادة 21 من قانون الرسم على رقم الأعمال حيث حددت المعدل العادي بـ19%،أنظر القانون رقم 16-14 المؤرخ في 28 ديسمبر2016 المتضمن قانون المالية لسنة2017، ج ر ج ج العدد 77 المؤرخة في 29 ديسمبر 2016.

- العمليات التي تتم عند الإستيراد ويتعلق الأمر بالمنتوجات المعفى بيعها في الداخل من هذا الرسم، بالإضافة إلى البضائع الموضوعة تحت أحد الأنظمة الموقفة للحقوق الجمركية والبضائع التي تستفيد من قبول إستثنائي مع الإعفاء من الحقوق الجمركية، وكذا البضائع المستوردة في إطار المقايضة[159]،
- العمليات التي تتم عند التصدير،

و يسري الإعفاء أيضا على عمليات البيع والصنع التي تتعلق بالبضائع من مصدر وطني والمسلّمة إلى المحلات التجارية الموضوعة تحت الرقابة الجمركية المؤسسة قانونا، كما تستفيد من الإعفاء مشتريات مواد التجهيزات الخاصة والخدمات المخصصة لعمليات مستفيدة من الإمتيازات الممنوحة من طرف"الوكالة الوطنية لتطوير الإستثمار(ANDI)"، وكذا الشباب المستفيد من إعانة "الصندوق الوطني للتأمين على البطالة (CNAC)"، "الصندوق الوطني لدعم تشغيل الشباب(ANSEJ) و"الصندوق الوطني للقرض المصغر(ANGEM)"[160].

ـ الإمتيازات الجبائية الممنوحة في إطار الرسم على النشاط المهني[161](TAP):

يستفيد المكلفون الخاضعون للرسم على النشاط المهني من الإمتيازات الآتي ذكرها:

"إعفاء من هذا الرسم لمدة ثلاث سنوات في إطار ممارسة الأنشطة الآتية:

- الشباب المستثمر المستفيد من إعانة "الصندوق الوطني لدعم تشغيل الشباب"،
- المستثمرين في النشاطات أو المشاريع المؤهلة للإستفادة من إعانة "الصندوق الوطني للقرض المصغر"،
- الأشخاص المستفيدين من نظام دعم إحداث أنشطة إنتاجية والذي يسيره "الصندوق الوطني للتأمين على البطالة".

وتمدد مدة الإعفاء إلى ستة(6) سنوات إذا تمت ممارسة النشاط في المناطق المراد ترقيتها والتي تحدد بموجب التنظيم، أما إذا تواجدت هذه الأنشطة في منطقة تستفيد من إعانة "الصندوق الخاص لتطوير مناطق الجنوب" فتمدد فترة الإعفاء إلى عشر(10) سنوات إبتداء من تاريخ الإستغلال[162].

كما يستفيد الخاضعون لهذا الرسم من تخفيضات بنسب مختلفة كما يلي:

- "تخفيض بنسبة 30% بالنسبة لـ:
- مبلغ عمليات البيع بالجملة،
- مبلغ عمليات البيع بالتجزئة و المتعلقة بمواد يشتمل سعر بيعها بالتجزئة على مالا يزيد عن50% من الحقوق غير المباشرة،

---

[159]أنظر المادتين 10 و 11منالأمر رقم 76-102.

[160]المديرية العامة للضرائب، الدليل التطبيقي للرسم على القيمة المضافة، مديرية العلاقات العمومية والإتصالات، الجزائر، 2017، ص 38.

[161]يعد **الرسم على النشاط المهني** من الضرائب المفروضة على رقم الأعمال، ذلك أن النسبة التي تطبق في إطار هذا الرسم تحتسب من رقم الأعمال المحقق من طرف المكلف، وقد حددت المادة 217 من قانون الضرائب المباشرة و الرسوم المماثلة مجال تطبيق هذا الرسم كما حددت المادة 222 من نفس القانون معدلات الإخضاع الضريبي الخاصة به.

[162]المديرية العامة للضرائب، *الدليل التطبيقي للمكلف بالضريبة*، مديرية العلاقات العمومية والإتصال، الجزائر، 2017، ص 48.

- عمليات البيع المحققة من طرف المنتجين و التجار بالجملة المتعلقة بالأدوية المنتجة محليا.

- تخفيض بنسبة50% بالنسبة لـ:

- مبلغ عمليات البيع بالجملة الخاصة بالمواد التي يتضمن سعر بيعها بالتجزئة أكثر من50% من الحقوق غير المباشرة،
- مبلغ عمليات البيع بالتجزئة الخاصة بالأدوية، بشرط أن:
- تكون مصنفة ضمن المواد الإستراتيجية كما نص عليها المرسوم التنفيذي رقم96-31،
- أن يكون معدل الربح للبيع بالتجزئة يتراوح بين 10% و30%.

- تخفيض بنسبة75% بالنسبة لـ:

- مبلغ عمليات البيع بالتجزئة للبنزين الممتاز والعادي والغازويل"[163].

الفرع الثاني

الإمتيازات الجبائية الممنوحة في إطار الضرائب المفروضة على الأرباح

لقد تم منح العديد من الإمتيازات الجبائية في إطار الضرائب المفروضة على الأرباح سواء فيما يتعلق بالضريبة على أرباح الشركات[164]، وكذا الضريبة على الدخل الإجمالي فبالنسبة للضريبة على أرباح الشركاتتتراوح الإعفاءات مابين دائمة ومؤقتة والتي تشكل أحد أشكال الإمتيازات الممنوحة في إطار هذه الضريبة وتفصيل ذلك كما يلي:

1- الإعفاءات الدائمة: وتشمل:

- "التعاونيات الإستهلاكية التابعة للمؤسسات والهيئات العمومية ،
- العمليات المدرة للعملة الصعبة ولاسيما عمليات البيع وتأدية الخدمات الموجهة للتصدير"[165].

2- الإعفاءات المؤقتة: وتشمل:

- "النشاطات الممارسة من طرف الشباب المستثمر المؤهل للإستفادة من إعانة"الصندوق الوطني لدعم الشباب" حيث تستفيد من إعفاء كلي من الضريبة على أرباح الشركات لمدة ثلاث (3) سنوات إبتداءا من تاريخ الإستغلال، تمدد هذه المدة إلى ستة(6) سنوات في المناطق المراد ترقيتها، وتمدد هذه الفترة بسنتين (2) إذا تعهد المستثمر بتشغيل ثلاث (3) عمال على الأقل لمدة غير محدودة،

---

[163] أنظر المادة 219 من قانون الضرائب المباشرة و الرسوم المماثلة والمعدلة بالمادة 12 من القانون رقم 16-14 ، مصدر سابق.

[164] "تعرف على أنها:" ضريبة سنوية تفرض على الأرباح والمداخيل المحققة من طرف الشركات أو الأشخاص المعنويين"، لأكثر تفصيل أنظر:عمار السيد عبد الباسط نصر، الإصلاح الضريبي ودوره في مكافحة الإقتصاد غير المنظم، ط1، مكتبة الوفاء القانونية، القاهرة، مصر، 2013، ص61، و بخصوص هذه الضريبة و معدلاتها تصفح موقع المديرية العامة للضرائب:
www.mfdgi.gov.dz

[165] خديجة ثابتي، "دراسة تحليلية حول الضريبة و القطاع الخاص"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم المالية،كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية والتسيير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2011-2012، ص105.

ـــ الوكالات السياحية و الأسفار والمؤسسات الفندقية تستفيد من إعفاء لمدة ثلاث (3) سنوات إبتداءا من تاريخ ممارسة النشاط[166].

كما تظهر هذه الإمتيازات الجبائية في شكل تخفيضات ممنوحة على مبلغ الضريبة على أرباح الشركات بعنوان الإيرادات المتأتية من الإستثمارات التي تمارس في بعض مناطق أقصى الجنوب، حيث تستفيد المداخيل المتأتية من النشاطات التي تمارس في ولايات تندوف وأدرار وتمنراست وإليزي إعتبارا من 01 جانفي 2005 ولمدة خمس (05) سنوات، من تخفيض بمعدل 50 % على مبلغ الضريبة على أرباح الشركات، وتستفيد المؤسسات الصغيرة والمتوسطة المتواجدة في ولايات الجنوب والهضاب العليا من تخفيضات فتستفيد الأولى من تخفيض قدره 20%، أما الثانية فيقدر التخفيض بـ 15%[167].

و فيما يخص الضريبة على الدخل الإجمالي[168] فتقسم الإعفاءات بين دائمة و مؤقتة وتفصيل ذلك كما يلي:

1- **إعفاءات دائمة**: وتشمل:

- "الأشخاص الذين يساوي دخلهم الإجمالي السنوي الصافي أو يقل عن الحد الأدنى للإخضاع الجبائي المنصوص عليه في جدول الضريبة على الدخل الإجمالي والمقدر بـ : 120.000دج،
- الأجور والمكافآت الأخرى المدفوعة في إطار البرامج الرامية إلى تشغيل الشباب وفق الشروط المحددة عن طريق التنظيم،
- المداخيل الناتجة عن زراعات الحبوب والخضر و التمور"[169].

2- **إعفاءات مؤقتة**: وتشمل:

- "الأنشطة التي يقوم بها الشباب المستثمر المستفيد من إعانة "الصندوق الوطني لتدعيم الشباب" وتستفيد هذه الأنشطة من إعفاء لمدة ثلاث(3) سنوات إبتداءا من تاريخ الإستغلال، وتمدد هذه المدة إلى (6) سنوات في المناطق المراد ترقيتها والتي تحدد بموجب التنظيم، وتمدد هذه الفترة بمدة سنتين(02) إذا تعهد المستثمر بتشغيل ثلاث(3) عمال على الأقل،

---

[166] المرجع نفسه، صفحة نفسها.

[167] تصفح الموقع: www.mfdgi.gov.dz

[168] و في تعريفها:نصت المادة الأولى من قانون الضرائب المباشرة و الرسوم المماثلة على أنه:" تؤسس ضريبة سنوية وحيدة على دخل الأشخاص الطبيعيين تسمى "الضريبة على الدخل الإجمالي" وتفرض على الدخل الصافي الإجمالي للمكلف المحدد وفقا لأحكام المواد من 85 إلى 98 ق ض م ورم"، و لأكثر تفصيل تصفح موقع المديرية العامة للضرائب: www.mfdgi.dz

[169] محمود جمام، "النظام الضريبي وآثاره على التنمية الاقتصادية"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الإقتصادية وعلوم التسيير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010، ص116.

- الإستثمارات المحققة من طرف الأشخاص المستفيدين من نظام دعم أنشطة الإنتاج والمسيرين من طرف "الصندوق الوطني للتأمين على البطالة" حيث تستفيد هذه الإستثمارات من إعفاء كلي لمدة عشر(10) سنوات من هذه الضريبة وذلك إبتداءا من تاريخ بداية الإستغلال،

ـ مداخيل النشاطات الزراعية وتربية الحيوانات التي تمارس في الأراضي المستصلحة حديثا فتستفيد من إعفاء كلي من هذه الضريبة لمدة عشر(10) سنوات من تاريخ بداية النشاط"[170].

الفرع الثالث

الإمتيازات الجبائية الممنوحة في إطار ضرائب أخرى

منح المشرع الجزائري تحفيزات جبائية في إطار الرسم العقاري إنقسمت في شكل إعفاءات دائمة منحت للمرافق العمومية وكذلك لتدعيم الفلاحة حيث أعفيت المباني والمنشآت المخصصة للفلاحة من هذا الرسم كالحظائر و المرابط والمستودعات المخصصة للوازم المستثمرات الفلاحية[171].

و كذا في شكل إعفاءات مؤقتة و التي تشمل ما يلي:

- "العقارات المصرح بأنها غير صحية،
- السكن الرئيسي والوحيد للمكلف،
- البنايات الجديدة،
- البنايات المستغلة لنشاطات الشباب المستفيد في إطار: "ANSEJ[172] وCNAC وANGEM"

كما منح المشرع إمتيازات في إطار حقوق التسجيل تتعلق بالمؤسسات السياحية الوطنية و كذا القروض الفلاحية بالإضافة إلى العقود المتضمنة تأسيس الشركات التي ينشئها الشباب والمشاريع المؤهلون للإستفادة من إعانة "الصندوق الوطني لدعم الشباب "أو" الصندوق الوطني للقرض المصغر" أو" الصندوق الوطني للتأمين على البطالة[173].

المطلب الثاني

الإمتيازات الجبائية الممنوحة في إطار الإتفاقيات الدولية وآخر تعديلات قانون الإستثمار

منح المشرع الجزائري مجموعة من الإمتيازات الجبائية في إطار الإتفاقيات الجبائية التي أبرمتها الجزائر مع العديد من الدول سواء العربية أو الأوروبية أو الآسيوية أو حتى مع دول الجوار، أما على المستوى الداخلي و بالإضافة إلى قانون الضرائب فقد كفل قانون الإستثمار العديد من الإمتيازات الجبائية وهذا ماسيتم توضيحه من خلال ما يلي:

الفرع الأول

---

[170] المرجع نفسه، ص117.

[171] محفوظ برحماني، *الضريبة العقارية في القانون الجزائري*، د.ط، دار الجامعة الجديدة، مصر، 2009، ص118.

[172] المرجع نفسه، ص 119.

[173] أنظر المادة 347 مكرر5 من الأمر رقم76-105 المؤرخ في 1976/12/09 المتضمن قانون التسجيل، ج رج ج رقم 81 المؤرخة في1977/12/18.

الإمتيازات الجبائية الممنوحة في إطار الإتفاقيات الدولية

احتوت الإتفاقيات الجبائية الدولية مصطلح الإزدواج الضريبي لذلك يجدر أن يتم تعريفه والذي جاء كالآتي:" هو فرض نفس الضريبة أو ضريبة من النوع ذاته أكثر من مرة على المكلف ذاته، ولنفس الوعاء الضريبي وفي الفترة الزمنية ذاتها"[174].

وفيما يتعلق بطرق تفادي الإزدواج الضريبي الدولي فقد إقترحت أولى الإتفاقيات الجبائية لكل من منظمة التعاون والتنمية الإقتصادية وهيئة الأمم المتحدة أربع طرق لمعالجة هذه المشكلة والتي يمكن إيجازها فيما يلي:

- **طريقة الإعفاء**: تقتضي هذه الطريقة عدم فرض الضريبة من طرف دولة إقامة المكلف على الدخل(الثروة) الخاضع للضريبة من قبل في الدولة مصدر الدخل[175].
- **طريقة الخصم**: تطبق هذه الطريقة بصفة عامة على المداخيل المتأتية من إيرادات رؤوس الأموال المنقولة، وهناك نظامان في طريقة الخصم هما[176]:

ــ **الخصم الكلي**: تحسب الضريبة على الدخل الإجمالي للمكلف بما فيها المحققة في الدولة الأجنبية (دولة المصدر)، وبعد ذلك تخصم الضريبة المسددة في تلك الدولة المتعاقدة من الضريبة الإجمالية المستحقة في دولة إقامة المكلف بالضريبة.

ــ **الخصم العادي**: في هذه الحالة يكون الخصم محددا من طرف دولة الإقامة، أي أنه لا يعتد بنفس مبلغ الضريبة المسددة في الدولة الأخرى.

- **طريقة إقتسام الإيراد**: وتتمثل هذه الطريقة في فرض الضريبة من طرف إحدى الدولتين المتعاقدتين وفقا لما تحدده الإتفاقية الجبائية المبرمة بينهما على أن تقوم هذه الدولة بتحويل جزء من الضريبة التي حصلتها إلى الدولة المتعاقدة الأخرى[177].
- **طريقة توزيع المادة الخاضعة للضريبة**: وتقتضي هذه الطريقة أن تقوم الدولتان المتعاقدتان بفرض الضريبة بالتناوب على المكلف حسب فئة الدخل المحقق بموجب إتفاقية جبائية بينهما، كأن تختص إحدى الدولتين في فرض الضريبة على أرباح الأسهم وأن تختص الدولة المتعاقدة الأخرى في فرض الضريبة على فئة المعاشات[178].

و بغية تفادي الإزدواج الضريبي الدولي وتشجيع المستثمر الأجنبي على الإستثمار في الجزائر، فقد تم إبرام العديد من الإتفاقيات في هذا المجال نوجزها فيما يلي:

---

[174] فليح حسن خلف، *المالية العامة*، ط1، عالم الكتب الحديث، جدار للكتاب العالمي، عمان، الأردن، 2008، ص191.

[175] فليح حسن خلف، المرجع السابق، ص 81.

[176] نعيم عاشوري، "**الإتفاقيات الجبائية كوسيلة لمعالجة الإزدواج الضريبي الدولي**"، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 41، 2014، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ص 183، 184.

[177] إيمان بوقروة، "كيفية تفادي الإزدواج الضريبي الدولي في إطار الإتفاقيات الجبائية الدولية" ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإقتصادية وعلوم التسيير، جامعة 20 أوت1955، سكيكدة، 2009-2010، ص 81.

[178] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

– الإتفاقيات الجماعية:

أبرزها الإتفاقية المبرمة بين دول المغرب العربي الموقعة في الجزائر بتاريخ 23 جويلية 1990 لتفادي الإزدواج الضريبي وإرساء قواعد التعاون المتبادل في ميدان الضرائب على الدخل بين دول الإتحاد، وقد قامت هذه الإتفاقية بتحديد الأشخاص المعنيين بها، وهم المقيمون بإحدى الدول المغاربية أو بكل منها، كما حددت الضرائب المعنية بهذا الإجراء، وعرفت كل نوع منها ومن بينها أرباح المؤسسات وأرباح الأسهم و الأتاوات...[179]، وفيما يتعلق بتفادي الإزدواج الضريبي فقد نصت على ذلك المادة الثالثة و العشرين (23) من الإتفاقية.

– الإتفاقيات الثنائية:

لعل أهمها الإتفاقية المبرمة بين الجزائر و إيطاليا الموقعة في الجزائر في 3 فبراير 1991 المتعلقة بتجنب الإزدواج الضريبي على الدخل وتفادي التهرب والغش الجبائي و تم النص على ذلك من خلال المادة الرابعة و العشرين (24) وتجدر الإشارة إلى أن هذه الإتفاقية دخلت حيز التطبيق[180].

و كذا الإتفاقية المبرمة بين الجزائر والأردن الموقعة بعمان في16 سبتمبر1997 المتعلقة بتجنب الإزدواج الضريبي وتفادي التهرب والغش ووضع قواعد المساعدة المتبادلة في ميدان الضريبة على الدخل والثروة، وقد نصت على طرق إزالة الإزدواج الضريبي من خلال المادة الرابعة والعشرون(24)، دخلت هذه الإتفاقية حيز التنفيذ في2001/07/14 [181].

الفرع الثاني

الإمتيازات الجبائية الممنوحة في إطار القانون رقم 16-09

منح القانون رقم16-09 المتعلق بترقية الإستثمار مجموعة من الإمتيازات الجبائية من خلال فصله الثاني وقسمها إلى ثلاث تقسيمات سيتم تفصيلها فيما يلي:

–الإمتيازات المشتركة لكل الإستثمارات القابلة للإستفادة:

تستفيد الإستثمارات المحددة في المادة الثانية(2) من هذا القانون زيادة على التحفيزات الجبائية و شبه الجبائية والجمركية المنصوص عليها في القانون العام من الإمتيازات الآتية:

–الإمتيازات الممنوحة أثناء مرحلة الإنجاز:

---

[179] وليد لعماري، "الحوافز والحواجز القانونية للإستثمار الأجنبي في الجزائر"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم الحقوق، كلية الحقوق، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2010-2011، ص 67.

[180] صادقت عليها الجزائر بموجب المرسوم الرئاسي رقم91-231 المؤرخ في20 يوليو1991(ج ر ج ج العدد35 المؤرخة في 12 محرم 1412، ص 1264).

[181] صادقت عليها الجزائر بموجب المرسوم الرئاسي رقم2000-427 المؤرخ في17 ديسمبر2000 (ج رج ج العدد79 المؤرخة في23 ديسمبر2000، ص 14).

وتتمثل هذه الإمتيازات فيما يلي:

- "الإعفاء من الحقوق الجمركية فيما يخص السلع المستوردة التي تدخل مباشرة في إنجاز الإستثمار،
- الإعفاء من الرسم على القيمة المضافة فيما يخص السلع والخدمات المستوردة أو المقتناة محليا التي تدخل مباشرة في إنجاز الإستثمار،
- الإعفاء من دفع حق الملكية بعوض والرسم على الإشهار العقاري من كل المقتنيات العقارية التي تتم في إطار الإستثمار المعني،
- الإعفاء من حقوق التسجيل و الرسم على الإشهار العقاري ومبالغ الأملاك الوطنية المتضمنة حق الإمتياز على الأملاك العقارية المبنية وغير المبنية الموجهة لإنجاز المشاريع الإستثمارية، وتطبق هذه الإمتيازات على المدة الدنيا لحق الإمتياز الممنوح،
- تخفيض بنسبة90% من مبلغ الأتاوة الإيجارية السنوية المحددة من قبل مصالح أملاك الدولة خلال فترة إنجاز الإستثمار،
- الإعفاء لمدة عشر(10) سنوات من الرسم العقاري على الملكيات العقارية التي تدخل في إطار الإستثمار إبتداءا من تاريخ الإقتناء،
- الإعفاء من حقوق التسجيل فيما يخص العقود التأسيسية للشركات والزيادات في رأس المال"[182].

– الإمتيازات الممنوحة في مرحلة الإستغلال:

بعد معاينة المشروع من طرف المصالح الجبائية بطلب من المستثمر يستفيد هذا الأخير ولمدة ثلاث(3) سنوات من الإمتيازات التالية:

_ الإعفاء من الضريبة على أرباح الشركات،

_ الإعفاء من الرسم على النشاط المهني،

_ تخفيض بنسبة 50% من مبلغ الأتاوة الإيجارية السنوية المحددة من قبل مصالح أملاك الدولة"[183].

أما بالنسبة للإستثمارات المنجزة في المناطق التابعة لمناطق الجنوب والهضاب العليا وكل منطقة تتطلب تنميتها فتستفيد من:

- **إمتيازات ممنوحة أثناء مرحلة الإنجاز:**

زيادة على الإمتيازات المذكورة في إطار مرحلة الإنجاز سابقة الذكر تستفيد هذه الإستثمارات أيضا من الإمتيازات الآتية:

- "تتكفل الدولة كليا أو جزئيا، بنفقات الأشغال المتعلقة بالمنشآت الأساسية الضرورية لإنجاز الإستثمار، وذلك بعد تقييمها من قبل الوكالة،

---

[182]أنظر المادة 12، القانون رقم 16-09، مصدر سابق.

[183]أنظر المادة 12، المصدر نفسه.

- التخفيض من مبلغ الأتاوة الإيجارية السنوية المحددة من قبل مصالح أملاك الدولة، بعنوان منح الأراضي عن طريق الإمتياز من أجل إنجاز مشاريع إستثمارية:
- بالدينار الرمزي للمتر المربع (م^2) خلال فترة عشر(10) سنوات، وترتفع بعد هذه الفترة إلى 50% من مبلغ أتاوة أملاك الدولة بالنسبة للمشاريع الإستثمارية المقامة في المناطق التابعة للهضاب العليا، وكذا المناطق الأخرى التي تتطلب تنميتها مساهمة خاصة من قبل الدولة،
- بالدينار الرمزي للمتر المربع(م^2) لفترة خمسة عشر(15) سنة وترتفع بعد هذه الفترة إلى 50% من مبلغ أتاوة أملاك الدولة بالنسبة للمشاريع الإستثمارية المقامة في ولايات الجنوب الكبير"[184].
- **إمتيازات ممنوحة في مرحلة الإستغلال:**
- "الإعفاء من الضريبة على أرباح الشركات،
- الإعفاء من الرسم على النشاط المهني.

وتحدد هذه الإعفاءات بعشر(10) سنوات، إبتداء من تاريخ الشروع في مرحلة الإستغلال والمحددة في محضر المعاينة الذي تعده المصالح الجبائية بناء على طلب المستثمر"[185].

–المزايا الإضافية لفائدة النشاطات ذات الإمتياز و/ أو المنشئة لمناصب الشغل:

لا تلغى الإمتيازات السابق ذكرها التحفيزات الجبائية والمالية الخاصة المنشأة بموجب التشريع المعمول به لفائدة النشاطات السياحية والنشاطات الصناعية والنشاطات الفلاحية، كما لا يؤدي وجود عدة إمتيازات من نفس الطبيعة، سواء تلك المنشأة بموجب التشريع المعمول به أو تلك المنصوص عليها في هذا القانون إلى تطبيقها معا، وفي هذه الحالة يستفيد المستثمر من التحفيز الأفضل[186].

ترتفع مدة مزايا الإستغلال الممنوحة لفائدة الإستثمارات المنجزة خارج المناطق التابعة لمناطق الجنوب والهضاب العليا والمناطق المراد تنميتها من ثلاث(3) سنوات إلى خمسة(5) سنوات عندما تنشئ أكثر من مائة(100) منصب شغل دائم خلال الفترة المحددة من تاريخ تسجيل الإستثمار إلى غاية نهاية السنة الأولى من مرحلة الإستغلال على الأكثر[187].

- **الإمتيازات الإستثنائية لفائدة الإستثمارات ذات الأهمية الخاصة للإقتصاد الوطني:**

---

[184] أنظر المادة 13، القانون رقم 16-09، مصدر سابق.

[185] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[186] أنظر المادة 15، ، المصدر نفسه.

[187] أنظر المادة 16، المصدر نفسه.

تستفيد من الإمتيازات الإستثنائية الإستثمارات التي تمثل أهمية خاصة للإقتصاد الوطني، والمعدة على أساس إتفاقية يتفاوض عليها بين المستثمر والوكالة التي تتصرف باسم الدولة، وتبرم الوكالة هذه الإتفاقية بعد موافقة المجلس الوطني للإستثمار[188].

يمكن أن تتضمن الإمتيازات الإستثنائية المذكورة أعلاه، ما يلي:

- "تحدد مدة إمتيازات الإستغلال المذكورة في إطار الإمتيازات المشتركة لكل الإستثمارات القابلة للإستفادة لفترة يمكن أن تصل إلى عشر(10) سنوات .
- منح إعفاء أو تخفيض طبقا للتشريع المعمول به للحقوق الجمركية والجبائية و الرسوم وغيرها من الإقتطاعات الأخرى ذات الطابع الجبائي والمساعدات أو الدعم المالي، وكذا كل التسهيلات التي قد تمنح بعنوان مرحلة الإنجاز للمدة المتفق عليها حسب أحكام المادة 20 من نفس القانون و يؤهل المجلس الوطني للإستثمار لمنح إعفاءات أو تخفيضات للحقوق أو الضرائب أو الرسوم بما في ذلك الرسم على القيمة المضافة المطبق على أسعار السلع المنتجة التي تدخل في إطار الأنشطة الصناعية الناشئة حسب الكيفيات المحددة عن طريق التنظيم ولمدة لا تتجاوز خمس(5) سنوات.

وتستفيد من نظام الشراء بالإعفاء من الرسوم المواد والمكونات التي تدخل في إنتاج السلع المستفيدة من الإعفاء من الرسم على القيمة المضافة، حسب أحكام الفقرة أعلاه وذلك وفق الكيفيات المحددة في المادة(43) وما يليها من قانون الرسم على رقم الأعمال"[189].

"يمكن أن تكون إمتيازات الإنجاز المقررة وفقا لما سبق ذكره بعد موافقة المجلس الوطني للإستثمار، محل تحويل للمتعاقدين مع المستثمر المستفيد والمكلفين بإنجاز الإستثمار لحساب هذا الأخير، حسب الكيفيات والشروط المحددة عن طريق التنظيم.

وتضاف الإمتيازات المذكورة أعلاه إلى تلك التي يمكن الحصول عليها في إطار الإمتيازات المشتركة لكل الإستثمارات القابلة للإستفادة وكذلك تلك الإمتيازات الممنوحة للإستثمارت المنجزة في المناطق التابعة لمناطق الجنوب والهضاب العليا وكل منطقة تتطلب تنميتها بالإضافة إلى الإمتيازات الإضافية لفائدة النشاطات ذات الإمتياز و/أو المنشئة لمناصب شغل"[190].

المبحث الثاني

الإطار المؤسساتي للإمتيازات الجبائية و فعاليتها في تدعيم الإستثمار

رغبة منه في جذب الإستثمار الأجنبي و تحفيز الوطني و تطوير الإستثمار الغير مباشر أرسى المشرع الجزائري ترسانة قانونية احتوت تحفيزات جبائية متعددة الأشكال و لكن هذا غير كاف فكل قانون يحتاج لمن ينفذه و على

[188] أنظر المادة 17، المصدر نفسه.

[189] أنظر المادة 18، القانون رقم 16-09، المصدر السابق.

[190] أنظر المادة 19،المصدر نفسه.

هذا الأساس تم إستحداث هيئات تسهر على منح هذه التحفيزات و التأكد من إستفادة المستثمرين منها، و لعل أحسن دليل على فعالية هذه الإمتيازات الجبائية سيكون من خلال إحصائيات نشرت على مواقع رسمية أو بث على محطات تلفزيونية أو أذيعت على ذبذبات أثيرية للإذاعة الجزائرية من قبل مسؤولين سامين لهيئات سهرت على تقديم هذه الإمتيازات.

المطلب الأول

الهيئات المانحة للإمتيازات الجبائية

قررت الجزائر تجديد وتحديث أجهزة دعم الإستثمار وتشجيع دخول الإستثمارات الأجنبية وإعطاء دفع قوي لتلك الوطنية، وعلى هذا الأساس تم إنشاء مؤسسات إدارية تكلف بمهمة تقييم المشاريع وإتخاذ قرار منح الإمتيازات ومتابعة الإستثمارات، فنص قانون الإستثمار على مجموعة من الهيئات المانحة للإمتيازات الجبائية والتي سيتم تفصيلها كما يلي:

الفرع الأول

المجلس الوطني للإستثمار (CNI)

لقد حدد المرسوم التنفيذي رقم 06-355 تشكيلة وصلاحيات المجلس الوطني للإستثمار، حيث يتشكل هذا الأخير من عدة وزراء ينشط كل واحد منهم في قطاع معين ولكن ما يجمعهم واحد وهو ترقية الإستثمار في الجزائر، كما بين المهام التي يقوم بها الوزير المكلف بترقية الإستثمارات باعتباره المسؤول عن أمانة المجلس، أما بالنسبة للمشاريع التي تستفيد من الإمتيازات الجبائية فقد حددها آخر تعديل لقانون الإستثمار (القانون رقم 16-09)[191].

وبالنسبة للإمتيازات الجبائية فتحصل عليها المشاريع التي تتطلب دراسة من قبل المجلس الوطني للإستثمار وهي:

- المشاريع الإستثمارية التي تتجاوز قيمتها خمس ملايير (5.000.000.000دج) وفقا لها نصت عليه المادة الرابعة عشر(14) من القانون رقم 16-09.
- المشاريع ذات الأهمية الوطنية التي قد تؤدي إلى عقد اتفاقية استثمار.

وبعد دراسة الملف من قبل المجلس الوطني للإستثمار تستفيد هذه المشاريع من امتيازات جبائية"[192].

الفرع الثاني

الوكالة الوطنية لتطوير الإستثمار (ANDI)

تعد الوكالة الوطنية لتطوير الإستثمار أبرز الهيئات الداعمة لهذا الأخير حيث تتولى الإشراف وتقييم المشاريع والحرص على إستفادتها من الإمتيازات الجبائية، فهي المرافق للمستثمرين الوطنيين والأجانب، وقد تم إنشاء فروع لهذه الوكالة في جميع ولايات الوطن لتقريب هذه الهيئة من المستثمر و هذه الأجزاء من الوكالة تعرف "بالشبابيك الوحيدة

[191] سمية كمال، "النظام القانوني للإستثمار الأجنبي في الجزائر"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم الحقوق، كلية الحقوق، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2002-2003، ص103.

[192] تصفح الموقع: www.andi.dz

اللامركزية"، و فيما يتعلق بـشروط الإستفادة من الامتيازات الجبائية فيقتضي أن يتضمن قانون الاستثمار تحديد شروط الإستفادة من المزايا بموجبه بشكل لا يشوبه به أي غموض، فيسهل بذلك عمل الجهة المانحة للامتيازات، ويكون للمستثمر إطار قانوني شفاف يتحدد فيه ماله وما عليه،هذا و تجدر الإشارة إلى أن هناك بعض المشاريع المستفيدة من منح المزايا والتي تم تحديدها بالمرسوم التنفيذي رقم 17-101[193]، وقد تتم إستبدال التصريح بالإستثمار و كذا طلب منح المزايا بوثيقة تسجيل الإستثمار و قد تم تنظيم هذا الأخير بموجب المرسوم التنفيذي رقم 17-102[194].

الفرع الثالث

الأجهزة الداعمة للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة

منحت الأجهزة الداعمة للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة مجموعة من الإمتيازات الجبائية للمستفيدين من خدماتها في مرحلة إنجاز المشروع وفي مرحلة الإستغلال و أبرز هذه الهيئات:

- **الوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب(ANSEJ):**

الوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب هي هيئة تأسست بهدف دعم المشاريع التي يقوم بها الشباب المستثمر، وتتكون من مجموعة من الأجهزة التي تسهر على ضمان القيام بالمهام الموكلة لهذا الهيئة ولعل أبرز دور سنركز عليه في دراستنا هو منح الإمتيازات الجبائية لهؤلاء المستثمرين و هو ما سيتم التعرض له من خلال مايلي:

بعد التسجيل في موقع الوكالة: WWW.ANSEJ.ORG.DZ يتم إستخراج الإستمارة و تدرس هذه الأخيرة ليتم بعد ذلك التقدم للبنك من أجل الحصول على التمويل ، ليمنح بعد ذلك للمستثمر قرار منح الإمتيازات الجبائية في مرحلة الانجاز و بعد التأكد من شروعه في الإنجاز يمنح قرار منح الإمتيازات الجبائية لمرحلة الإستغلال[195].

- **الوكالة الوطنية لتسيير القرض المصغر(ANGEM):**

الوكالة الوطنية لتسيير القرض المصغر هي هيئة تأسست بهدف تدعيم المشاريع التي يقوم بها البطالون والحرفيون وكذا النسوة الماكثات بالبيوت حيث لا تكون هذه المشاريع بحاجة لتمويل كبير وإنما فقط لمبلغ صغير لمباشرة النشاط والذي يكون غالبا في نطاق ضيق و حتى يتم الإستفادة من الدعم يجب إيداع الملف على مستوى الوكالة لدراسته و في حال الموافقة يقوم المستثمر بإيداع ملفه على مستوى البنك، و بعد الحصول على الموافقة البنكية يسلم له قرار منح الإمتيازات

---

[193] المرسوم التنفيذي رقم 17-101 المؤرخ في 6 جمادى الثانية عام 1438 هـ الموافق 5 مارس سنة 2017 م، يحدد القوائم السلبية و المبالغ الدنيا للإستفادة من المزايا و كيفيات تطبيق المزايا على مختلف أنواع الإستثمارات، ج ر ج ج العدد 16، المؤرخة في 9 جمادى الثانية عام 1438 هـ الموافق 8 مارس سنة 2017 م، ص 7 و ما بعدها.

[194] المرسوم التنفيذي رقم 17-102 المؤرخ في في 6 جمادى الثانية عام 1438 هـ الموافق 5 مارس سنة 2017 م، يحدد كيفيات تسجيل الإستثمارات و كذا شكل و نتائج الشهادة المتعلقة به، ج ر ج ج العدد العدد 16، المؤرخة في 9 جمادى الثانية عام 1438 هـ الموافق 8 مارس سنة 2017 م، ص 20 و ما بعدها.

[195] تصفح موقع الوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب: www.ansej.org.dz

الجبائية لمرحلة الإنجاز، و بعد التأكد من شروعه في الإنجاز يحصل على قرار منح الإمتيازات الجبائية لمرحلة الإستغلال[196].

– **الصندوق الوطني للتأمين على البطالة (CNAC):**

الصندوق الوطني للتأمين على البطالة هو هيئة تأسست بهدف تقديم الدعم للمشاريع التي يقوم بها البطالون، يتكون هذا الأخير من مجموعة أجهزة تسهر على القيام بالمهام الموكلة لهذه الهيئة ولعل أبرز دور سنركز عليه في دراستنا هو منح الإمتيازات الجبائية لهؤلاء المستثمرين، لذلك سنحاول الإحاطة بكل هذا خلال مايلي:
يتم في البداية التسجيل عبر الموقع الإلكتروني للصندوق:WWW.CNAC.DZ، ليتم بعد ذلك إيداع الملف الإداري و بعد إعداد فكرة عن المشروع يدرس هذا الأخير و في حالة الموافقة يحال المستثمر على البنك للحصول على التمويل و بعد حصوله على الدعم المالي يمنح له قرار منح الإمتيازات الجبائية لمرحلة الإنجاز، و بعد إنطلاق المستثمر في إنجاز مشروعه يسلم له قرار منح الإمتيازات الجبائية لمرحلة الإستغلال[197].

المطلب الأول

تأثير الإمتيازات الجبائية على الإستثمار الوطني

عمل المشرع الجزائري على دعم الإستثمار الوطني وذلك بتشجيع المشاريع الإستثمارية الممولة ذاتيا و المؤسسات الصغيرة و المتوسطة المستفيدة من الدعم، حيث قام بمنحها العديد من الإمتيازات الجبائية في مرحلة الإنجاز وحتى في مرحلة الإستغلال، وفيما يلي سنوضح تأثير الإمتيازات الجبائية على حجم هذه الإستثمارات.

الفرع الأول

تأثير الإمتيازات الجبائية على حجم الإستثمار الوطني

إستفاد الإستثمار الوطني أو ما يعرف بالإستثمار المحليمن عدة إمتيازات جبائية منحت له من طرف الوكالة الوطنية لتطوير الإستثمار (ANDI) و هيئات الدعم الثلاثة (Angem و Cnac, Ansej) وفيما يلي إحصائيات هذه الإستثمارات:

أولا: حجم المشاريع المودعة لدى الوكالة الوطنية لتطوير الإستثمار (ANDI):

أوضحت إحصائيات الإستثمار المنجزة من قبل الوكالة الوطنية لتطوير الإستثمار خلال الفترة الممتدة من سنة 2002 إلى غاية 2017 أن عدد المشاريع الإستثمارية الوطنية قد بلغ62334 مشروع أي بنسبة 98.58% توزعت كما يلي[198]:

_ **القطاع الخاص**: 61926 مشروع أي بنسبة 98.8%.

_ **القطاع العمومي**: 1197مشروع أي بنسبة 1.1%.

---

[196] تصفح موقع الوكالة الوطنية لتسيير القرض المصغر: www.angem.dz

[197] تصفح موقع الصندوق الوطني للتأمين على البطالة: www.cnac.dz

[198] تصفح موقع الوكالة الوطنية لتطوير الإستثمار: www.andi.dz

_ **القطاع المختلط**: 112 مشروع أي بنسبة 0.1%.

بالنسبة لآخر الإحصائيات المنشورة على موقع الوكالة الوطنية لتطوير الإستثمار لسنة 2018 و ذلك وفقا لتحديث فبراير 2019 فإنها تشير إلى أن عدد المشاريع الإستثمارية المصرح بها خلال سنة 2018 قد بلغ 4102 مشروع للقطاع الخاص، و 14 مشروع للقطاع العام و 9 مشاريع مختلطة.

الحالة القانونية	عدد المشاريع	%	القيمة بمليون دينار جزائري	%	مناصب الشغل	%
الخاص	4 102	99,44%	1 540 373	91,90%	137 877	96,20%
العمومي	14	0,34%	105 703	6,31%	3 912	2,73%
المختلط	9	0,22%	30 073	1,79%	1 531	1,07%
المجموع	**4 125**	**100%**	**1 676 149**	**100%**	**143 320**	**100%**

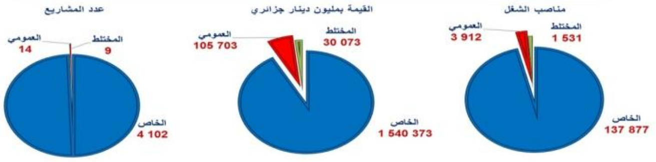

المصدر: موقع الوكالة الوطنية لتطوير الإستثمار : www.andi.dz

ثانيا: حجم المشاريع المودعة لدى أجهزة دعم المؤسسات الصغيرة و المتوسطة (ANGEM, CNAC, ANSEJ):

- **حجم المشاريع المودعة لدى الوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب (ANSEJ):**

حسب آخر إحصائيات عرضت من طرف السيد مراد زمالي المدير العام للوكالة الوطنية لتشغيل الشباب (ANSEJ) تبين أن عدد مشاريع لونساج منذ إنشاء الوكالة سنة 1996 إلى غاية سنة 2015 هو 356,718 ألف مشروع (مؤسسة)[199].

- **حجم المشاريع المودعة لدى الوكالة الوطنية لتسيير القرض المصغر (ANGEM):**

حسب آخر إحصائيات للوكالة منذ إنشائها إلى غاية 2016/11/30 تبين أن عدد المشاريع الممولة من طرف هذه الوكالة هو 779025 مشروع[200].

- **حجم المشاريع المودعة لدى الصندوق الوطني للتأمين على البطالة (CNAC):**

حسب آخر إحصائيات عرضت من طرف السيد أحمد شوقي طالب المدير العام للصندوق الوطني للتأمين على البطالة (CNAC) تبين أن عدد مشاريع هذه الوكالة خلال الفترة الممتدة من سنة 2004إلى غاية 29 فبراير2016 هو130ألف مشروع مع توفير مناصب عمل بلغت 200 ألف منصب[201].

الفرع الثاني

تأثير الإمتيازات الجبائية على الإستثمار الأجنبي المباشر

[199] حصة بدون تحفظ، قناة النهار، يوم 21 مارس2016، 21:00، السيد مراد زمالي المدير العام للوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب (ANSEJ).

[200] تصفح الموقع: www.angem.dz

[201] الإذاعة الجزائرية، القناة الأولى، 13 أفريل2016، السيد أحمد شوقي طالب المدير العام للصندوق الوطني للتأمين على البطالة (CNAC).

كفل المشرع الجزائري للإستثمار الأجنبي المباشر عدة إمتيازات جبائية في إطار مرحلتي الإنجاز والإستغلال فساوى بين المستثمر الوطني و المستثمر الأجنبي في هذا الإطار، وفيما يلي سنوضح تأثير التحفيزات الجبائية على حجم هذه الإستثمارات:

- **تأثير الإمتيازات الجبائية على حجم الإستثمار الأجنبي المباشر:**

يمكن تصنيف أشكال الإستثمار الأجنبي المباشر طبقا لملكية النشاط إلى إستثمارات مملوكة بالكامل للمستثمر الأجنبي و إستثمارات مشتركة، وسنتعرض لتأثير الإمتيازات الجبائية على حجم هذه الإستثمارات من خلال مايلي:

-حجم المشاريع المملوكة بالكامل للمستثمر الأجنبي المودعة لدى الوكالة الوطنية لتطوير الإستثمار (ANDI):

أوضحت إحصائيات الإستثمار المنجزة من قبل الوكالة الوطنية لتطوير الإستثمار خلال الفترة الممتدة من سنة 2002 إلى غاية 2017 أن عدد المشاريع المملوكة بالكامل للمستثمر الأجنبي قد بلغ 901 مشروع، أي بنسبة 61.42.

-حجم المشاريع المشتركة المودعة لدى الوكالة الوطنية لتطوير الإستثمار (ANDI):

أوضحت إحصائيات الإستثمار المنجزة من قبل الوكالة الوطنية لتطوير الإستثمار خلال الفترة الممتدة من 2002 إلى2017 أن عدد المشاريع المشتركة قد بلغ1233 مشروع.

الفرع الثالث

تأثير الإمتيازات الجبائية على الإستثمار غير المباشر

من أجل تشجيع الإكتتاب في الأوراق المالية و تنشيط التعامل في البورصة قامت الجزائر بمنح حوافز جبائية للتعامل في هذه الأوراق، ولعل هذه التحفيزات هي التي جعلت العديد من الشركات تقبل على هذا النوع من الإستثمار في بورصة الجزائر.

- **الإمتيازات الجبائية الممنوحة في بورصة الجزائر:**

إختلفت الإمتيازات الجبائية الممنوحة للشركات المدرجة في بورصة الجزائر بين قانون مالية و آخر ولكن دراستنا ستقتصر فقط على التعديل الأخير لقانون المالية لسنة 2017 [202] حيث تم النص على هذه التحفيزات الجبائية من خلال نص المادة 83 المعدلة والمتممة لأحكام المادة 63 من القانون رقم 02-11 و قد تم تحرير هذه المادة كما يلي: " تعفى من الضريبة على الدخل الإجمالي والضريبة على أرباح المؤسسات لمدة خمس (5) سنوات إبتداء من أول يناير سنة 2014 مداخيل الأسهم و الأوراق المماثلة لها المسجلة في التسعيرة الرسمية للبورصة أو مداخيل

[202] قانون المالية لسنة 2017، مصدر سابق.

السندات و الأوراق المماثلة لها ذات أقدمية تساوي أو تفوق خمس (5) سنوات مسجلة في التسعيرة الرسمية للبورصة أو المتداولة في سوق منظم وكذا نواتج الأسهم أو حصص هيئات التوظيف الجماعية للقيم المنقولة .

تعفى كذلك من الضريبة على الدخل الإجمالي أو الضريبة على أرباح الشركات لمدة خمس (5) سنوات إبتداء من أول يناير سنة 2014 فوائض القيم الناتجة عن عمليات التنازل بمقابل عن السندات و الأوراق المماثلة لها ذات أقدمية تساوي أو تفوق خمس (5) سنوات مسجلة في التسعيرة الرسمية للبورصة أو تم تداولها في سوق منظم.

تعفى من حقوق التسجيل لمدة خمس (5) سنوات إبتداء من أول يناير سنة 2014 العمليات المتعلقة بالقيم المنقولة المسجلة في التسعيرة الرسمية للبورصة أو المتداولة في سوق منظم.

كما تستفيد مداخيل السندات المالية التي تستحق خلال ثلاث (3) إلى خمس (5) سنوات والتي تندرج في إطار القروض الوطنية الصادرة من طرف الخزينة العمومية من إعفاء من الضريبة على أرباح الشركات و الضريبة على الدخل الإجمالي لمدة خمس (5) سنوات".

- **حجم الإستثمار في بورصة الجزائر:**

يتضح من خلال الإحصائيات التي نشرت في التقاريرالسنوية للجنة تنظيم ومراقبة عمليات البورصة عبر الموقع:WWW.COSOB.ORGأن حجم الإستثمار في بورصة الجزائر متذبذب ولكنه تحسن مقارنة بسنوات 2002، 2003، 2004، والتي كان فيها العدد قليلا جدا ونفس الشيء بالنسبة لسنوات 2012، 2013، 2014 والتي بلغ فيها عدد الإستثمارات حده الأدنى بوجود شركتين فقط، ليتحسن الوضع إبتداء من سنة 2015 ولعل الإمتيازات التي أضافها قانون المالية لسنة 2017 والممنوحة لسندات الخزينة العمومية والتي يبلغ عددها 25 سند هو ما حفز الدولة على الإستثمار في هذا النوع من الأوراق المالية.

خاتمة:

سعت الدولة الجزائرية كغيرها من الدول الأخرى و خاصة الجوارية إلى جذب الإستثمارات الأجنبية و تدعيم الوطنية و تنشيط الإستثمار في البورصة ما أدى إلى خلق التنافسية، و هذا ما دفع بالدولة لمنح العديد من الإمتيازات الجبائية من خلال قوانينها الداخلية و التي تتمثل في قانون الإستثمار بمختلف تعديلاته و القوانين الجبائية و كذا قانون المالية، أما على المستوى الخارجي فقد أبرمت العديد من الإتفاقيات الجبائية الدولية كما عملت أيضا على إنشاء هيئات تكلف بمنح هذه الإمتيازات و التي تتمثل في المجلس الوطني للإستثمار (CNI)و الوكالة الوطنية لتطوير الإستثمار (ANDI) و أجهزة دعم المؤسسات الصغيرة و المتوسطة (ANSEJ, CNAC, ANGEM).

ومن خلال هذه الدراسة تم التوصل إلى **النتائج** الآتية:

1- أن تطور التشريعات المانحة للإمتيازات الجبائية على المستويين الداخلي و الدولي ساهم في تطور حجم الإستثمار في الجزائر.

2-أن الهيئات المستحدثة من قبل الدولة الجزائرية نجحت في تقديم الإمتيازات الجبائية و التعريف بها على الرغم من غياب ثقافة جبائية لدى معظم المستثمرين خاصة الوطنيين منهم فمن يحصل على الدعم المالي لا تكون لديه أدنى فكرة عن إستفادته من الإمتيازات الجبائية.

و لنجاح و ضمان فعالية التحفيزات الجبائية سيتم إقتراح مجموعة من **الإقتراحات** التي من شأنها أن تسهم في تفعيل دور الإمتيازات الجبائية في تدعيم الإستثمار والتي يمكن إيجازها في النقاط الآتية:

- **على المستوى الداخلي:**

1-على الدولة أن تقوم بوضع أنظمة إلكترونية تربط بين مختلف الإدارات المانحة للإمتيازات الجبائية والإدارة الجبائية باعتبارها الهيئة التنفيذية و هذا لتسهيل المعاملات و القضاء على مشكلة التعامل الورقي الذي يحتاج وقتا كبيرا يكون المستثمر في غنى عنه.

2-على المشرع أيضا أن يقوم بمنح تحفيزات جبائية للمستثمرين في مجال الطاقة البديلة خاصة في ظل تراجع مخزون النفط.

3-يجب أيضا منح إمتيازات جبائية أكبر للمشاريع الإستثمارية في القطاع السياحي باعتبار أن الجزائر تزخر بموقع جغرافي إستراتيجي و صحراء ليست فقط موردا طاقويا يكاد أن يكون منتهيا بل قطبا سياحيا مهما.

- **على المستوى الدولي:**

1-يستحسن أن يتم توحيد تسمية الضرائب على المستوى الدولي حتى لا يكون للضريبة الواحدة عدة مسميات و يكون بذلك المستثمر أمام إزدواج ضريبي دولي أو على الأقل توحيد ضوابط الإخضاع الضريبي.

2-تجديد الإتفاقيات الجبائية الدولية التي صادقت عليها الجزائر ويتعلق الأمر بالإتفاقيات التي أبرمت منذ سنوات عديدة خاصة تلك التي أبرمت في سنوات التسعينات.

قائمة المصادر و المراجع

المعاهدات الدولية:

1- الإتفاقية المبرمة بين دول المغرب العربي الموقعة في الجزائر بتاريخ 23 جويلية 1990 لتفادي الإزدواج الضريبي وإرساء قواعد التعاون المتبادل في ميدان الضرائب على الدخل بين دول الإتحاد.

2- الإتفاقية المبرمة بين الجزائر و إيطاليا صادقت عليها الجزائر بموجب المرسوم الرئاسي رقم91-231 المؤرخ في20 يوليو1991(ج ر ج العدد35 المؤرخة في 12 محرم 1412).

3- الإتفاقية المبرمة بين الجزائر والأردن الموقعة بعمان في16 سبتمبر1997 المتعلقة بتجنب الإزدواج الضريبي وتفادي التهرب والغش ووضع قواعد المساعدة المتبادلة في ميدان الضريبة على الدخل والثروة، صادقت عليها الجزائر بموجب المرسوم الرئاسي رقم2000-427 المؤرخ في 17 ديسمبر2000.

النصوص التشريعية:

- **القوانين:**

1- القانون رقم 16-09 المؤرخ في 29 شوال1437 الموافق3 غشت2016 المتعلق بترقية الإستثمار، ج رج ج العدد6 المؤرخة في 3 غشت 2016.

2- القانون رقم 16-14المتضمن قانون المالية لسنة 2017 المؤرخ في 28 ديسمبر 2016، ج ر ج ج العدد 77 المؤرخة في 29 ديسمبر 2016.

- **الأوامر:**

1- الأمر رقم 76-101 الصادرة بتاريخ 1976/12/09 المتضمن قانون الضرائب المباشرة و الرسوم المماثلة المعدل والمتمم، جر ج ج رقم 102 المؤرخة في 1976./12/22

2-الأمر رقم 76-102 المؤرخ في1976/12/09 المتضمن قانون الرسم على رقم الأعمال المعدل والمتمم، ج ر ج ج رقم 103 المؤرخة في 1976/12/26.

4- الأمر رقم76-105 المؤرخ في 1976/12/09 المتضمن قانون التسجيل، ج رج ج رقم 81 المؤرخة في1977/12/18.

5- الأمر رقم 01-03 المؤرخ في 20 غشت 2001 المتعلق بتطوير الإستثمار، ج ر ج ج العدد 47 المؤرخة في 22 غشت 2001.

6- الأمر رقم06-08 المؤرخ في 15 يوليو2006 يعدل ويتمم الأمر رقم01-03 المؤرخ في 20 غشت 2001 المتعلق بتطوير الاستثمار، ج رج ج العدد47 المؤرخة في 19 مايو 2006.

-النصوص التنظيمية:

- **المراسيم التنفيذية:**

1- المرسوم التنفيذي رقم 17-101 المؤرخ في 5 مارس2017 المحدد للقوائم السلبية والمبالغ الدنيا للإستفادة من المزايا وكيفيات تطبيق المزايا على مختلف أنواع الإستثمارات، ج ر ج ج العدد 16 المؤرخة في 8 مارس.2017

2-لمرسوم التنفيذي رقم 17-102 المؤرخ في 5 مارس 2017 المحدد لكيفيات تسجيل الإستثمارات و كذا شكل و نتائج الشهادة المتعلقة به، ج ر ج ج العدد 16 المؤرخة في 8 مارس 2017.

1-عبد الله عبد الكريم عبد الله، *ضمانات الإستثمار في الدول العربية*، ط1، دار الثقافة، عمان، الأردن، 2008.

2-عمار السيد عبد الباسط نصر، *الإصلاح الضريبي ودوره في مكافحة الإقتصاد غير المنظم*، ط1، مكتبة الوفاء القانونية، القاهرة، مصر، 2013.

3-فليح حسن خلف، *المالية العامة*، ط1، عالم الكتب الحديث، داراالكتاب العالمي،عمان، الأردن، 2008.

4- قاسم نايف علوان، *نجية ميلاد الزياني*، ضريبة القيمة المضافة، ط1، دار الثقافة، عمان، الأردن، 2008.

5- محفوظ برحماني، *الضريبة العقارية في القانون الجزائري*، د.ط، دار الجامعة الجديدة، مصر، 2009.

6- محمد عباس محرزي، *إقتصاديات الجباية والضرائب*، ط4، دار هومه، الجزائر، 2008.

7- حيدر عبد المطلب البكاء، "الحوافز الضريبية وأثرها على الإستثمار والتنمية الإقتصادية في الفكر الإسلامي"، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد27، بغداد، العراق، 2012.

8- نعيم عاشوري، "الإتفاقيات الجبائية كوسيلة لمعالجة الإزدواج الضريبي الدولي"، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 41، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2014.

9- محمود جمام، "النظام الضريبي وآثاره على التنمية الاقتصادية"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الإقتصادية وعلوم التسيير، جامعة منتوري، قسنطينة،2009-2010.

10- إيمان بوقروة، "كيفية تفادي الإزدواج الضريبي الدولي في إطار الإتفاقيات الجبائية الدولية"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإقتصادية وعلوم التسيير، جامعة 20 أوت1955، سكيكدة، 2009-.2010

11- إيمان لعميري، "الوكالة الوطنية لتطوير الإستثمار"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم القانون الخاص، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-.2006

12- خديجة ثابتي، "دراسة تحليلية حول الضريبة و القطاع الخاص"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم المالية، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية والتسيير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2011-.2012

13- وليد لعماري، "الحوافز والحواجز القانونية للإستثمار الأجنبي في الجزائر"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم الحقوق، كلية الحقوق، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2010-2011.

-المواقع الإلكترونية:

1-الموقع الرسمي لوزارة الصناعة: www.mdipi.gov.dz -

2- الموقع الرسمي للمديرية العامة للضرائب: www.mfdgi.gov.dz-

3- الموقع الرسمي للوكالة الوطنية لتطوير الإستثمار: www.andi.dz-

4-الموقع الرسمي للوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب: www.ansej.dz-

5-الموقع الرسمي للوكالة الوطنية للقرض المصغر: www.angem.dz-

6- الموقع الرسمي للصندوق الوطني للتأمين على البطالة: www.cnac.dz-

7-الموقعالرسمي لبورصة الجزائر: www.sgbv.dz-

8-الموقع الرسمي للجنة تنظيم و مراقبة عمليات البورصة: www.cosob.org-

-المنشورات:

1- المديرية العامة للضرائب، الدليل التطبيقي للمكلف بالضريبة، مديرية العلاقات العمومية والاتصال، الجزائر، 2017.

2- المديرية العامة للضرائب، الدليل التطبيقي للرسم على القيمة المضافة، مديرية العلاقات العمومية والاتصال، الجزائر، 2017.

-التقارير:

1- التقارير السنوية و الشهرية للجنة تنظيم ومراقبة عمليات البورصة.

-الحصص الإذاعية و التلفزيونية:

1- الإذاعة الجزائرية، القناة الأولى، 13 أفريل2016، السيد أحمد شوقي طالب المدير العام للصندوق الوطني للتأمين على البطالة .(CNAC)

2- حصة بدون تحفظ، قناة النهار، يوم 21 مارس2016، السيد مراد زمالي المدير العام للوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب (ANSEJ).

محمد بن عبد الكبير الكتاني (أبو الفيض)

- بين المحن والآراء الاصلاحية -

د.البشير البونوحي

لقد كانت ولادة محمد بن عبد الكبير الكتاني (أبو الفيض) في منتصف ربيع الأول عام 1290 هـ بمدينة فاس، تربى في حجر والده، قرأ القرآن وتعلمه منذ صغره في الكتاب فحفظه في سن مبكرة، التحق ببعض المدارس والزوايا بفاس قبل أن يتم تعليمه بالقرويين، لازم الصلاة منذ صغره وكان يصليها مع الجماعة في وقتها مع أبيه، حفظ أمهات المتون، وأول ما حفظه الحكم العطائية، زوجه أبوه قبل البلوغ صيانة له[203].

203- من رسالة والده إلى الصدر الأعظم في عهد السلطان مولاي عبد العزيز، ابن العباس أحمد بن موسى السوسي، أنظر ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد المسماة: أشرف الأماني بترجمة الشيخ سيدي محمد الكتاني، محمد الباقر الكتاني، تقديم: محمد بن عبد الكريم الخطابي، تحقيق: نور الهدى عبد الرحمن الكتاني، ص: 71.

تتلمذ أبي الفيض على يد كبار علماء عصره بالعاصمة العلمية للمغرب، كان يتنقل بين المدن المغربية طلبا للعلم، خصوصا بالرباط وسلا ومكناس، ظهر نبوغه مبكرا، حتى أنه كان ينعزل عن الناس انعزالا كليا لطلب العلم، وكان من شدة اعتنائه بالعلم يقرأ مختلف العلوم، نبغ في كثير من الفنون المنطوق منها والمفهوم، وتبحر في علم التفسير وأدواته وعلم السنة، واصطلاحاته، والأصول والكلام، والفقه حتى بلغ فيه درجة الاجتهاد، وفلسفة التشريع، والتاريخ والسيرة، والأنساب واللغة، وعلمي المعاني والبيان، وعلم الحكمة والمنطق، والعلم الالهي، وعلم الهندسة، والعلم الأرتماطيقي، وعلم الموسيقى، وعلم الهيئة، وعلم التصوف، وعلم الرقائق، وعلم الحقائق، وعلوم الحروف، وعلم سر الحروف، وعلم المناسبات، وعلم المفردات... وغير ذلك[204]، وكان عمدته في ذلك الشيخ أحمد بن محمد العلمي الحراقي[205].

يعتبر الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني مؤسس الطريقة الأحمدية الكتانية، وينحدر من السلالة النبوية وهو من أحفاد الأدارسة، أمه فضيلة بنت ادريس المتوفاة بفاس سنة 1334 هـ، نشأ في أسرة اتسمت بالحشمة والوقار، وفي بيئة عالمة صوفية، اشتهرت بالدين والتقوى والصلاح، كان كثير التردد والزيارة لأهل العلم والخير والفضل، ميالا للتصوف والصوفية منذ صغره، قليل الاختلاط بالناس[206]، توفي الشيخ الكتاني عام 1327 هـ[207].

204– الكتاني محمد بن عبد الكبير الحسني، (أبو الفيض)، الذب عن التصوف المسمى لسان الحجة البرهانية في الذب عن شعائر الطريف الأحمدية الكتانية، مراجعة وتقديم محمد حمزة بن علي الكتاني، تحقيق عدنان بن عبد الله زهار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، ص: 18.

205– أنظر ترجمته في المظاهر السامية، ومعجم الشيوخ، والشيخ محمد الكتاني الشهيد، ومدرسة الإمام البخاري في المغرب، والأعلام للزركلي، معجم المطبوعات المغربية لإدريس الماحي، وروض الجنان لمحمد بن المعطي العمراني، وموسوعة أعلام المغرب تنسيق محمد حجي وغيره.

206– الكتاني يوسف، الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني الإمام المجدد، مجلة السنة النبوية، العدد 11، طبعة مارس 2015، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ص: 13.

207– أنظر ترجمته عند كل من:

- الكتاني عبد الحي (شقيقه)، المظاهر السامية، مخ، خ.ع، الجزء الأول، ص: 109.
- الكتاني محمد الباقر (ابنه)، ترجمة الشهيد، م.س..
- الفاسي عبد الحفيظ: "معجم الشيوخ"، 45/1.
- القيطوني ادريس، "معجم المطبوعات المغربية"، تقديم الشيخ عبد الله كنون، مطابع سلا، 1988، ص: 303.
- " الإعلام" للمراكشي. 155/7.
- " الأعلام، للزركلي، 214/6.
- موسوعة أعلام المغرب، تنسيق محمد حجي، 285/8.
- حمزة بن علي الكتاني " من رسائل الإمام محمد بن عبد الكبير الكتاني، ص: 11.
- الموسوي اسماعيل ، "الديوانة"، ص: 26

الشيخ أبي الفيض الكتاني قام بصحبة علماء كبار من أتباع طريقته[208] لأداء مناسك الحج سنة 1321 هـ، فتوجه إلى مصر مارا بالجزائر ومرسيليا، حيث استقبل فيها من طرف أميرها والولاة وعلماء الأزهر، فكان لقاؤه بخديوي مصر عباس حلمي باشا، وبعدها توجه إلى مكة والمدينة التي استقبله فيها شريف مكة الأمير عون، وبعد إقامته لشعائر الحج كان يلقي دروسا يحضرها العلماء والطلبة، وبعد عودته إلى المغرب عرج إلى الجزائر والتقى واليها وعلمائها، ولما وصل إلى طنجة نزل بقصر السلطان[209] ثم دخل فاس في ربيع الثاني من عام 1322 هـ.

وكان قبل ذلك سنة 1320 هـ قد اعتبره المولى عبد العزيز مستشارا له، لعلمه وذكائه وسيرته الحسنة بين القبائل وفي المدن[210]، وبعد عودته إلى المغرب كان قد ترسخت في ذهنه افكارا اصلاحية، سعى إلى تطبيقها في البلاد من أجل تحصينها ضد التكالب الاستعماري، مستعينا بثلة من المفكرين الاصلاحيين العرب الذين زاروا المغرب أمثال عبد الكريم مراد، وخير الدين التونسي.

أساتذته:

تتلمذ محمد بن عبد الكبير الكتاني على يد شيوخ عصره، وكان شيخه الأول هو والده عبد الكبير الكتاني[211] الذي اخذ عنه بصحيح البخاري وصحيح مسلم، والتفسير والحديث بصحيح الترمذي، والفقه والصفا، والشمائل وغيرها، كما أخذ عنه ودرس على يده كتب أئمة التصوف وأمهاته الشهيرة كالإحياء للإمام الغزالي، والعوارف، والحكم العطائية، وعهود الشعراني، وكتب لشيخ الأكبر الحاتمي والجيلي، والابريز للدباغ وغيرها من مصنفات الأحكام[212].

208– وعلى رأسهم أبي الحسن علي بن عبد القادر العدلوني الدمناتي، وأبي بكر بن محمد التطواني، ومحمد الصالح العمراني، وعبد السلام بن محمد بن المعطي العمراني، الذي دون رحلته في كتابه "اللؤلؤة الفاشية في الرحلة الحجازية".

209– الكتاني يوسف، الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني الإمام المجدد، مجلة السنة النبوية، عدد11، طبعة مارس 2015، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ص: 18.

210– الكتاني محمد حمزة بن علي ، في الذكرى المائوية لاستشهاد زعيم الحركة الدستورية في المغرب الإمام محمد بن عبد الكبير الكتاني، مجلة منتدى الحوار، عدد 28 فبراير 2006، ص: 5.

211– عبد الكبير الكتاني (حبل السنة والدين)، ولد بفاس سنة 1268 هـ، زار تونس وطرابلس وحج سنة 1286 هـ، التقى بالكثير من العلماء له عدة مؤلفات وحواشي على "الصحيح" و "الشمائل" وكتاب في الحديث.... ترجم له النبهاني في "جامع كرامات الأولياء" وابن جعفر في "النبذة"، كما ترجم له ابنه الشيخ عبد الحي الكتاني في كتابه "المظاهر السامية"، توفي عام 1333 هـ، ودفن بفاس في الزاوية الكتانية... أنظر ترجمته في: ترجمة الشيخ لمحمد الباقر الكتاني، م س، ص: 71.

212– الكتاني يوسف، الشيخ محمد بن عبد الكبير الإمام المجدد، مجلة السنة النبوية، ع 11، طبعة مارس 2015، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ص: 12.

أخذ كذلك عن خاله أبي المواهب جعفر بن إدريس الكتاني[213] الذي أخذ عنه الحديث بصحيح البخاري بجامع الأقواس، والفقه بالمختصر بالقرويين، وعلمي الكلام والسير.... كما أخذ عن ابن خاله أبو الفضل محمد بن جعفر الكتاني[214]، والشيخ محمد بن حمدون بناني (فرعون)[215]، والشيخ أبي عبد الله محمد بن التهامي الوزاني[216]، والشيخ أبي عبد الله محمد (فتحا) بن قاسم القادري الحسني[217]، وأحمد بن خالد الناصري السلاوي[218]، الذي أخذ عنه الفقه بعبادات (المختصر) والشيخ أبي العباس أحمد بن محمد ابن الخياط الزكاري الحسني[219]، والشيخ حبيب الرحمن الهندي الكاظمي الردلوي[220]، والشيخ أحمد بن اسماعيل الحسيني البرزنجي[221]، والشيخ أحمد بن صالح العباسي السويدي[222]، والشيخ ماء العينين[223].

ودرس كذلك على يد العلامة أبو محمد التهامي بن المدني كنون، والعلامة الحافظ أبو محمد عبد الهادي بن أحمد الصقلي... وغيرهم كثير[224].

لقد كانت للشيخ الكتاني اتصالات بكبار العلماء كالشيخ محمد الغياثي الفاسي الذي أخذ عنه الطريقة القادرية، كما أخذ عن الشيخ علي المستاري الطريقة الشاذلية الدرقاوية، وعندما قام بالحج إلى بيت الله الحرام التقى فيها بكبار العلماء، فأخذ عنهم فكان من كبار من لقيهم حبيب الرحمان الهندي، والشيخ حميد العمري، والشهاب أحمد بن صالح السويدي وغيرهم. لكن يبقى والده عبد الكبير الكتاني موجهه ومعلمه الأول، قال هو عن نفسه

213– الكتاني جعفر بن إدريس (شيخ الإسلام)، كان بصيرا بالمذهب وفروعه، ولد سنة 1246 هـ، له أكثر من مائة تأليف، منها "الرياض الربانية في الشعبة الكتانية" و "الشرب المختصر في رجال القرن 13"، توفي سنة 1323 ودفن بضريح سيدي الدراس بن اسماعيل بالقباب خارج باب الفتوح بفاس، أنظر ترجمته في: "شجرة النور الزكية"، 433/1، اتحاف المطالع: 365/1، رياض الجنة 173/1، وترجمة موسعة في مقدمة كتابية "الدواهي المذهبية للفرق المحمية"، وأحكام أهل الذمة" بقلم حمزة بنعلي الكتاني، طبعة دار البيارق.

214– هو مؤلف "سلوة الأنفاس"، أنظر ترجمته في الأعلام: 72/6 و"شجرة النور الزكية"، 432/1.

215– الكتاني يوسف، م س، ص: 12.

216– أنظر ترجمته في اتحاف المطالع، 321/1.

217– ولد سنة 1259 هـ توفي في 1331 هـ، أنظر شجرة النور الزكية، 435/1.

218– له عدة تآليف أبرزها "الاستقصا في أخبار المغرب الأقصا" توفي سنة 1311 هـ، أنظر ترجمته في: "سلوة الأنفاس" 35/3، "الأعلام" للزركلي 120/1، شجرة النور الزكية 432/1.

219– له أكثر من مائة تأليف، توفي سنة 1343 هـ، أنظر: "سل النصال" ص: 32، "شجرة النور"، 436/1.

220– من أعلام الحجاز، توفي بعد سنة 1324هـ بالمدينة المنورة، أنظر فهرس الفهارس، 8/1.

221– مفتي الشافعية بالمدينة المنورة له عدة مؤلفات توفي 1337 هـ/1919 م، أنظر: "رياض الجنة"، للفاسي، 106/1، والأعلام للزركلي 99/1.

222–توفي بالمدينة المنورة سنة 1324 هـ، أنظر فهرس الفهارس 202/2 – 328.

223– هو الشيخ ماء العينين الحسني الشنجيطي، من أبرز علماء عصره، توفي بتزنيت سنة 1328هـ، أنظر رياض الجنة للفاسي 37/2.

224– الكتاني محمد بن عبد الكبير، "الذب عن التصوف..." م.س، ص:18-19.

فيما حكاه والده "إن كل ما أنا فيه ببركة بثها إلي مولانا الوالد، وهي أنه ذكر لي الفرق بين الصرف والمزج، وأوصاني بالمحافظة عليه، فكل ما أنا فيه ببركة تلك الكلمة والعلوم المستخرجة منها"[225].

تلامذته.

لقد كان أبي الفيض يلقي بدروسه يومي الإثنين والخميس بعد العصر إلى المغرب لأنه كان يصومهما، يحفظ السنة ويستحضر أحاديث الكتب الستة المتعلقة بالترغيب والترهيب وصالح الأعمال غالبا.

الشيخ الكتاني قام بإنشاء مدرسة صوفية[226] كان لها صيت داخل المغرب وخارجه تخرج فيها فحول العلماء وكبار المربين ورواد الصوفية، درس على يديه فقهاء كبار أمثال أبو بكر التطواني الذي "وضع له نقطة البدء على كتاب فارغ، وأمر بالانطلاق في التأليف والكتابة في موضوع وحدة الوجود"[227].

تتلمذ على يده العديد من طلاب العلم الذين انتشروا بعد ذلك ونشروا أفكاره داخل المغرب وخارجه، قال فيه شيخ الإسلام في الأستانة الشيخ محمد المكي ابن عزوز "إن في الزوايا خفايا وفي الرجال بقايا، وإن أولائك السادات الكتانيين هم الطائفة القائمة بأمر الله ورسوله، هم العلماء بالله وبرسوله وبالدين، هم المعانون من الله في أوقاتهم وكتبهم"[228].

ومن أبرز تلاميذه:

- أحمد بن جعفر الكتاني الإدريسي الحسني.
- أحمد بن الطيب الجاوزي.
- أحمد بن محمد الزعيمي الرباطي.
- بناصر بن محمد عبد الحفيظ الكتاني.
- بنعلي بن الجيلاني الزموري.
- التهامي بن سعيد الزموري.

---

[225]–الكتاني يوسف، م. س. ص: 14.

[226]–التصوف عند الشيخ الكتاني هو زبدة الكتاب والسنة، وأنه مستقل بنفسه مرجعه الكتاب والسنة كما جاء صراحة في كتابه، "مدارج الاسعاد الروحاني"، والتصوف عنده هو الوقوف عند حدود الاسلام، ويستشهد لمعرفة مقام التصوف في الإسلام بالحديث الشريف "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

– أنظر أكثر يوسف الكتاني، حقيقة التصوف وأهدافه عند الشيخ محمد بن عبد الكتاني الشهيد، مجلة أنوار التصوف المغربية، ع 1، الرباط المغرب، ص: 60.

[227]–، الكتاني يوسف، حقيقة التصوف، م. س، ص: 59.

[228]– الذب عن التصوف، م. س، ص: 24.

- جعفر الجاوي.
- الحسن بن الشريف الاسماعيلي العلوي.
- خليل حماد.
- خير الدين التونسي.
- محمد المنوني الحسني المكناسي.
- محمد بن حدو المراكشي.
- محمد المهدي العلوي...[229].

أهم المحطات النضالية / الإصلاحية للشيخ الكتاني

المحطة الأولى: الفترة العزيزية والمحنة الأولى

لقد شهد المغرب أواخر القرن 19م ومطلع القرن العشرين مشاكل عدة خصوصا فترة حكم المولى عبد العزيز والتي قال عنها الحجوي "كل من ينظر في التاريخ لا يجد سببا للاحتلال والاستعمار في سائر الأقطار، سوى ظلم الولاة وارتشاء القضاة وضياع الحقوق بين عامل جاهل وقاضي متجاهل، وعن اهتضام الحقوق تنشأ الثورات والفوضى والفتن"[230]. تمخض عن هذه الوضعية ثورات وفتن واستدانة المخزن من الدول الأوربية... كل ذلك شجع القوى الإمبريالية المتكالبة على المغرب الدخول إليه ومحاولة السيطرة عليه، خصوصا بعد وفاة الصدر الاعظم باحماد الذي ركز على عودة الأمن إلى البلاد وأهمل الإصلاحات التي كانت تشهد بداية وانتعاشا في عهد المولى الحسن في جميع الميادين[231]، وكان همه هو إحكام قبضته على البلاء بشتى السبل لكن بعد وفاته اختلت أمور البلاد رغم مبادرات المولى عبد العزيز الإصلاحية والتي فشلت في جميع الميادين بسبب رغبة بعض الوزراء في الاعتماد على الخارج وتشجيع قوى دون أخرى في تنفيذ تلك الإصلاحات[232].

ولكل ما ذكر وفي رغبته إلى الإصلاح توجه محمد بن عبد الكبير الكتاني نحو الدعوة إلى الهداية والإرشاد في محاولة منه إلى نشر دعوته وطريقته الأحمدية الكتانية، في مجتمع كثر فيه الظلم، والحروب بين القبائل والجهل والخرافات.... ليتوجه إلى القبائل والجبال لإرشاد الناس إلى دينهم وتصحيحه لهم، وعدم ولوج المعاصي، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...[233].

229– أنظرهم في ترجمته الشيخ الكتاني، م س.

230– بنعدادة آسية، "الفكر الاصلاحي في عهد الحماية"، ص: 125 وكتاب الحجوي "الفرصة الثمينة"، مخطوط بالخزانة العامة 114، الورقة 303.

231– أنظر: سلسلة تلك الاصلاحات في مظاهر يقظة المغرب الحديث، 135/1 وما بعدها.

232– مظاهر يقظة المغرب الحديث، 41/2 وما بعدها.

233– ترجمة الشيخ الشهيد، م س، ص: 84، وكذا خبيئة الكون، م س، ص: 29، أنظر كذلك: مدرسة الامام البخاري في المغرب، 524/2 و532.

وكان الشيخ يتخذ من كل جهة شخصا ذو مواصفات أخلاقية يسند له الرئاسة عليهم، ويسميه "المقدم " كما كان ينتخب من كل قبيلة زارها امرأة بمواصفات خاصة، تهتم بالنساء وتعلمهم دينهم لأنهن شقائق الرجال في الأحكام، وسماها "المقدمة"[234].

وقد كانت لأعماله الدعوية نتائج ايجابية، وهو الذي سعى إلى تأسيس زوايا عديدة في مختلف مناطق المغرب، وكانت همته في ذلك تتجلى في ترقي الإسلام وإصلاحه مما أحاط به، فالمسلم في نظره لا يصلح نفسه إلا بالتمسك بتعاليم القرآن الكريم والسنة المطهرة، من التقوى والمجاهدة والذكر، والنوافل... لذلك كان يوصي بالعلم ومعرفة الله وإتباع الشريعة[235].

كان الشيخ الكتاني عاملا عل إحياء السنة، ونصرة مذهب أهل الحديث، ألف في ذلك الجهر بالبسملة في الصلاة وفي القبض بها.... ويشيد بعلماء الحديث والسنة أمثال الأندلسي بقي بن مخلد، والأندلسي والشوكاني.

أثار المصلح الكتاني كذلك مأساة نبذ بعض المواطنين للعادات الإسلامية واستبدالها بالتقاليد الأجنبية، بما في ذلك إهمالهم للمصنوعات الوطنية، وتهافتهم على البضائع المستوردة، "فإنا له على ضعف ايماننا، حتى تركنا الشعائر الإسلامية، وأقمنا الوظائف الرومية، فكيف لا يغلبون علينا وقد هجرنا سنن نبينا، وعمرنا أوقاتنا بسننه والاتهم وبضائعهم وزخارفهم ومحدثاتهم التي تشغل القلوب والأبصار ... وتقسي قلوبنا، وتزهدنا في الحرف الإسلامية التي يتمعش بها المساكين والدراويش الذين غلب عليهم طيب الأكلة"[236].

جاء في ترجمته ب "المظاهر السامية": "... همته الكبرى في ترقي الاسلام واصلاحه مما أحاط به، يهتم – كثيرا – بحالة المغرب وجهله وتأخره، ولا حديث له الا في ذلك ... يهتم كثيرا بمحادثات أوربا واتفاقاتها ومقاصدها نحو الاسلام ... يتكدر لتفرقات تركيا وكثرة الأحزاب بها. ويجهل أمم المغرب الفظيع أكثر وأكثر كما سعى في تعليم أمم البربر وهدايتهم، وكان يوفد الى كل جهة وفدا لتعليم الدين وآدابه"[237].

234– خبيئة الكون، م .س، ص: 29، وترجمة الشيخ، م س، ص: 86.

235– مدارج الاسعاد الروحاني للشيخ محمد الكتاني، أنظر مجموعة رسائل الكتاني – طبع مشيخة الطريقة الكتانية– سلا، أنظر كذلك يوسف الكتاني، حقيقة التصوف وأهدافه عند الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني، مجلة التصوف المغربية، عدد 2014/1، الرباط المغرب، ص: 60.

236– ألف في ذلك كتاب "بيان الآفات في حكم اللعبات المسماة بالكرطة والضامة"، وهو مخطوط منه نسختان في خزانة حفذة المؤلف. أنظر: المظاهر، م. س، ص: 374، أنظر كذلك: ترجمة الشيخ الشهيد م س، ص: 115.

237– الفاسي عبد الحفيظ الفهري، معجم الشيوخ، المطبعة الجديدة بفاس، ج1، ص: 45.

كما كان الشيخ يحارب أصحاب الامتيازات الأجنبية، والموالين للكفار، ويصرح لهم بأنهم نذر الشر على المغرب ويقاطعهم، ويدعو الناس لمقاطعتهم ويتجنب المرور على الأحياء التي يسكنوها[238].

وينتقد الاحتماء بالأجانب حيث يقول: "وعلى كل فالاحتماء بهم ومصادقتهم واتخاذهم أصدقاء: جرحة في الدين"، وكان ينزعج مما تكتبه الصحف الأجنبية من تطاول على الاسلام، وينذب علماء المسلمين للتصدي والرد عليها بقوله، "وكان ينبغي لعلماء الملة لما رأوا هذه الجرائد العجمية انتشرت أن يفهموا أن ظهورها حرب بالأقلام -في الحقيقة- لأهل الملة فكان ينبغي لهم أن يضعوا تأليفا ولو أن تشترك فيه جمعية دينية، ويكلف كل واحد بتحرير كتاب فيه..."[239]، ورغم ذلك كان محمد الكتاني يستحسن الاقتباس من الحضارة الغربية ما نحن في حاجة إليه من مزايا مثل الحرية وفوائدها والتي قال عنها في رسالة المؤاخاة.

"وقد علمتم ما وصل إليه الأجانب – اليوم – من النفوذ في العالم، فإنما وصلوا لذلك بأمور، ومنها الحرية التي عبر عنها الشرع الكريم بالقسط والعدل والنصح وعدم المحاباة، والقيام في كل موطن وما يقتضيه، ومعرفة كل منصب وما يطلبه، وعدم إهمال بعضهم بعضا، ومعرفتهم بحق من ظهر فيه أدنى نبوع وتيقظ، وعدم إهماله حقه، وعدم رفضه، بخلاف غيرهم"[240]، كما نادى بعدم الفرقة والاختلاف في العهود الكتانية[241].

كان محمد بن عبد الكبير الكتاني يحارب أعدائه ويحاول إصلاح أحوال الدعاة الحاقدين عليه، فقد كن يتعرض لمضايقات من طرف خصومه الذين اتهموه بالعمل والتحضير للانقلاب على السلطان عبد العزيز، وكان اتهام أبي الفيض من طرف علماء عصره بعد مخاطبته أتباعه وأنصاره في الرسالة المسماة برسالة المؤاخاة، بقوله "وقد علمتم إخواني أن شمس الدين اليوم كورت ونجومه انكدرت وجباله سيرت وعشاره عطلت" هذا الموقف من الدين في عصره جر عليه ويلات ومصائب من لدن "حراس العقيدة"[242].

عندما داع صيت الشيخ الكتاني ونبوغه السريع وعلمه الغزير، سعت الأطراف المعادية له إلى تأليب المخزن عليه، خصوصا بعد سرقته الأضواء منهم، لكنه أنكر هذه الاتهامات ليتجه إلى مراكش بطلب من الصدر الأعظم

238– ترجمة الشيخ الشهيد، م س، ص: 335، تحدث كذلك عن أصحاب الامتيازات في ختمته "الأجرومية"، التي أملاها بالزاوية الكتانية بفاس سنة 1309هـ أمام جمهور غفير من مختلف طبقات الشعب وتوجد نسخة منها في مكتبة علي الكتاني، أنظر ترجمة الشيخ، ص: 106-107. أنظر كذلك: رسائل الشيخ محمد الكتاني، ص: 61.

239– المظاهرات، م س، ص: 374.

240– نفسه، ص: 374 – 375.

241– العهود الكتانية، هي المسماة ب "سفن النجاة وكهوف العباد"، وهي مطبوعة ضمن "رسائل الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني"، من الصفحة 267 إلى 279، تحقيق حمزة الكتاني وغسان أبوصوفة، 2017، دار الكتب العلمية.

242– الطيب بياض، محمد الكتاني الشيخ ذو المحنتين، مجلة زمان كما كان، عدد 15 أبريل /15 ماي 2014 ص: 34.

لإثبات ذلك عن طريق التناظر مع كبار العلماء المنكرين عليه[243]. ليكون توجهه في الخامس من محرم عام 1314 هـ، فاستقبل من طرف السلطان الذي أكرم وفادته.

جرت المناظرة بقصر الباهية، وشملت علوم متعددة مركزة على القضايا الخلافية في العلوم الدينية والتصوف، وبحضور الوزير أحمد بن موسى، وتضمن النقاش جميع المسائل التي اعترض عليها الفقهاء وكانت سببا في طعنهم في أهليته للمشيخة، بل طال الأمر حتى مظهره وشكله ولباسه، إذ عرف الرجل باعتنائه الكبير بمظهره.

استمرت المناظرة ما يقارب الشهرين استطاع فيها الشيخ الكتاني إثبات وجهة نظره بالدليل والحجة وفي رسالة له لتلامذته يقول: "وتبرأنا من كل شيء يخالف ظاهر الشرع لا في الماضي ولا في المستقبل، وأما في كتبنا فليس بمخالف لظاهر الشرع، وألزمتهم على ذلك إلزاما، فأبدوا من عورات الجهل ما يطوى ولا يحكى ومن وجد خيرا فليحمد الله"[244].

غير أن الطرفان لم يتوصلا إلى إزالة الخلاف بينهما بعد اشتداد النزاع بين المتناظرين واستحالة الوصول إلى وفاق، وشاءت الصدق أن يكون الشيخ ماء العينين الشنقيطي متواجدا في مراكش، رأى فيه السلطان حكما للفصل في المسألة، فكان اللقاء مع أبي الفيض الذي ألف كتابه في شرح "الصلاة الأنموذجية" فقرضها الشيخ ماء العينين وأثنى على الشيخ الكتاني، ليصدر السلطان عبد العزيز ظهيره بتبرئة الشيخ ومما جاء فيه: "قد أطلعنا الشيخ البركة السني الأفضل الأجل، سيدي ماء العينين على صلاته المعلومة، فسلمها له، حيث لم يجد فيها ما ينكر، وكتب له عليها ما نصه، " الحمد لله وحده والسلام على أفضل من عبده، وهذا، وليعلم الواقف هنا من جميع أهل العلم، ... غفر الله لي وأعاذني من كل خوف، تصفحت كلام هذا السيد الجليل فلم أجد ما انقم عليه فيه مما لا يحتمل تأويلا صحيحا وأظن أن أحد ثلاثة لا ينقم عليه شيئا مما قال..." والأصوب عندي أن لا يتعرض له من لم يفهم كلامه، ولأجل هذا آذنا له في قراءة الصلاة المذكورة، لتكونوا من الإذن له على بال، وقد أجبنا ابن عمنا مولاي عرفة بمثله والسلام"[245].

ليكون ابتلاء مراكش قد انتهى وأسقط عنه جميع التهم والأوهام والشكوك ليعود إلى مدينة فاس صحبة السلطان، فاستمر الشيخ في دعوته وارشاده. وقد شبه الباحثين محنة الشيخ بقصص أخرى حدثت مع الإمام البخاري مع أمير بخارى الذهلي، وما وقع للإمام الجنيد والحاتمي، والإمام الشاذلي وأبي المحاسن الفاسي، والشيخ أبي مدين، وابن العربي المعافري[246].

---

[243]- خبيئة الكون، م.س، ص: 30.

[244]- نفسها، ص: 31.

[245]- خبيئة الكون، م. س، ص: 32-33، أنظر كذلك: ترجمة الشيخ الشهيد م. س، ص: 186.

[246]- الكتاني يوسف، مجلة السنة، م س، ص: 16.

انتصاره على علماء مراكش ودعم الشيخ ماء العينين له ومرافقته للسلطان عبد العزيز إلى مراكش، أكسبه ثقة كبيرة في مراميه الإصلاحية، وسعى أكثر إلى محاولة التغيير، لكن بعد وفاة الوزير القوي "أبا حماد" الذي قبض على مقاليد الأمور بيد حديدية، وعدم تأثير الإغراءات الأجنبية عليه، اختل النظام وفسدت أحوال المغرب، مما اضطر السلطان إلى نقل عاصمة ملكه من مراكش إلى فاس سنة 1319 هـ، وزاد الأمور تعقيدا قيام ثورة الزرهوني الجيلالي (بوحمارة)[247]، الشيء الذي جعل الشيخ الكتاني يدعوا أتباعه إلى محاربته وكان معظمهم مشاركا في الحملة العزيزية على الثائر، كما أصدر مع جماعة من كبار علماء القرويين بيانا طويلا أعلنوا فيه موقف الإسلام من الفتان المذكور[248]، وبدل الكتاني جهدا في تنوير عقول الناس الذين كانوا يعتقدون أن بوحمارة مقدمة من مقدمات المهدي المنتظر، كما أن المترجم له كان على دراية أن الاستعمار الفرنسي هو الذي شجع بوحمارة على القيام بثورته، إضافة إلى أن أبي الفيض تدخل بطلب من السلطان في إرجاع المحلة التي فرت من واد فاس بعد توجهها لمحاربة الثائر بوحمارة والمتكونة من قبيلتي زمور وكروان[249].

حارب أبو الفيض الاطماع الفرنسية في المغرب، فقد كانت محاولة الحكومة الفرنسية احتلال المغرب في صورة إدخال اصلاحات إليه، فتوجه الشيخ لمقابلة السلطان ووزرائه شارحا لهم حقائق الأشياء ومبينا الأخطار المحدقة بالمغرب جراء ذلك، وجاء على لسان جريدة "السعادة" وهي لسان السفارة الفرنسية بطنجة "إن السيد محمد بن عبد الكبير الكتاني قابل جلالة السلطان، وخوفه محذرا إياه من إدخال الإصلاحات بالإيالة، وقيد عقل مولانا بالزهد القولي"[250].

لقد بدأت القوى الشعبية في المغرب توحد صفوفها خصوصا بعد الاتفاق الودي 1904م، الذي كان يهدد استقلال المغرب وسيادته، ليبرز في الميدان علماء وأشراف وزوايا وتجار ... وشباب لإبراز مواقفهم من التدخلات الأجنبية، النابعة من غيرتهم الوطنية حيث حدروا المولى عبد العزيز من المشاريع الإصلاحية التي تعتزم فرنسا تقديمها بين يديه، كما حثوه على عدم قبول التدخل أو الإشراف الأجنبي، وفي نفس الوقت لم يعترضوا على بعض الاصلاحات على أن تكون من مسلمين شرقيين كتركيا ومصر، ممن لهم إلمام بالحضارة الأوربية[251].

247- أنظر حوله: المعسول، المختار السوسي، 20/15 والاتحاف، لابن زيدان 399/1.

248- ترجمة الشيخ الشهيد، م س، ص: 336.

249- نفسه، ص: 344.

250- جريدة السعادة: عدد يوم الإثنين 29 من ذي الحجة 1322 هـ. كذلك الشيخ الكتاني كان من ضمن الأعيان الذين حضروا بين يدي السلطان في مجلس الأعيان لتدارس مطالب فرنسا حول الاصلاحات. وكان رده مطولا على المشاريع الفرنسية المطروحة في الجلسة الثانية، حيث اعترض عليها. انظر الرد وأسماء الحاضرين في المجلس عند المنوني، م.س، ص: 203-204.

251- المنوني محمد ، مظاهر يقظة المغرب الحديث، ط1، 1405 هـ/ 1985 م، دار الغرب الاسلامي، ج 2، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ص: 341، 342.

اعتبر الشيخ الكتاني قيام فرنسا باحتلال مناطق وجهات حدودية بحجة أنها ممدودة تاريخيا من أرض الجزائر، بمثابة فاتحة الشر على المغرب، حيث قابل السلطان مرات عديدة شارحا له الوضعية الحقيقية للحدود، فأمره بالرد على طلبات فرنسا ورغبتها في تطوير المغرب بمعية السلطان، وقد نشرت جريدة السعادة[252] كلمة مطولة تحت عنوان "كل فن يرجع فيه إلى أربابه "كان شطرها الاول تمهيدا للهجوم على المترجم، وشطرها الثاني هجوما عليه[253].

وبعد تزايد الضغوطات على المغرب، دعى هذا الأخير إلى عقد مؤتمر دولي لتطويق التدخلات الأجنبية، واقترح الشيخ محمد الكتاني أن يعقد المؤتمر في المغرب وأن يكون ممثلو المغرب من الناس الذين لهم الغيرة على مصلحة البلاد وأن تكون لهم دراية بميدان السياسة والمعرفة[254]، غير أن مساعيه لم تنجح ووقع الاختيار على أعضاء لم يكن راضيا عن جلهم[255].

عقد المؤثر بالجزيرة الخضراء سنة 1906م وانتهى بإعطاء عدة امتيازات للدول الأوربية خاصة فرنسا واسبانيا، ليطالب الكتاني بعدم الموافقة على ما جاء في مقررات المؤتمر، لكن الدسائس ومواقف حاشية السوء كما يقول المؤلف كانت سببا في اذعان الملك لمقررات الجزيرة الخضراء.

وعندما تم احتلال الدار البيضاء ووجدة، وجه رسائل دعم للمجاهدين بالشاوية، كما حث أتباعه بكل من زمور وزيان للالتحاق بهم ودعمهم، مما جعل نجمه يسطع بين منافسيه من علماء ورجال زوايا، ويظهر بصورة الزعيم القادر بين معاصريه على ضمان عدم قبول وقوع البلد بين براثين الاستعمار، وهو ما أعطى لزاويته امتدادا قويا وسريعا[256]. وقد تحدثت الصحافة الغربية بالمغرب عن ذلك وكان لها مقالات وعلى رأسها جريدة السعادة التي قالت "عندما بلغت حوادث الدار البيضاء جناب المخزن السعيد بفاس، أمرت الحضرة الشريفة، أعزها الله ورعاها، أن تجتمع مع العلماء والأعيان ليشرح وزير الخارجية كيفية وقوع الحادثة، وسبب احتلال الدار البيضاء، فاجتمع الجمع الشريف بدار المخزن، وجاء علماء فاس يتقدمهم الجهبذ العلامة الفقيه السيد محمد بن عبد الكبير الكتاني، المشهور ببلاغته وفصاحته، والفقيه الأمثل ابن القرشي، والفقيه القاضي الهواري... وكلهم من الذين يشار إليهم بالبنان، يوم طورئ الحدثان[257].

---

[252]– في عددها المؤرخ بيوم الإثنين 27 محرم 1323/ الموافق 13 أبريل 1905.

[253]– أنظر ما قالته الجريدة عند محمد الباقر الكتاني في ترجمة الشيخ، م س، ص: 355.

[254]– ذكر شخصيات من بينها، ثلميذه باشا سلا أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد السلاوي.

[255]– الكتاني محمد الباقر، م س، ص: 355.

[256]– بياض الطيب، م س، ص: 35.

[257]– ترجمة الشيخ الشهيد، م س، ص: 357.

كان الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني، من بين الذين حضروا[258] إلى دار المخزن بفاس لحضور اجتماع دعا السلطان إليه بعد احتلال الدار البيضاء ووجدة، وعندما كان وزير الخارجية يلقي كلمته طالبا من العلماء إعلان موقف الإسلام من الأزمة قاطعه الشيخ أبي الفيض، جاهرا بالدعوة إلى الجهاد لاستنقاذ البلدتين من الاحتلال، وأيده في ذلك الفقيه ماني الصنهاجي، دون أن يعلن بمعارضتها بقية الحاضرين من العلماء[259]، وكتبت جريدة السعادة "ولكن للأسف قد كان جواب بعضهم خصوصا سيادة الشيخ الكتاني لا يوافق مصلحة البلاد، ولو كان غير الكتاني المتكلم لعذر على غلطه..."[260]، ليعلن أبي الفيض أن تطبيق مشروع الإصلاحات الفرنسية يتطلب خمسة عشرة سنة من الإعداد[261].

وعندما لم تأتي جهود الشيخ الإصلاحية أكلها في العهد العزيزي بسبب انشغال الوزراء بمصالحهم الخاصة، شارك الكتاني في بيعة المولى عبد الحفيظ، خصوصا وأن السلطان لم يبالي باحتلال فرنسا للدار البيضاء ووجدة 1907 م، بل أرسل جيشا لقمع المجاهدين في الشاوية، بينما كتب الشيخ الكتاني إلى تلامذته بالشاوية يدعوهم للجهاد[262].

وموازاة مع ذلك ظهرت في فاس ومراكش معارضة للسياسة التي ينهجها المولى عبد العزيز والتي تسببت في ضياع عدة أقاليم، ليقرر العلماء والأعيان خلع السلطان[263].

المحطة الثانية: الفترة الحفيظية والمحنة الثانية.

لقد حاول الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني القيام بإصلاح البلاد من نواحي عديدة، وكان يركز في كتاباته على الأخوة والوحدة، والمسائل الفقهية والذكر.... من خلال العديد من الرسائل التي يبعثها إلى مختلف القبائل بحيث يدعوهم إلى الجهاد ضد المستعمر، ولم يستثني حتى السلطان الذي كان يقدم له النصائح ويرشده ... غير أن ما كانت تمر به البلاد من أزمات وكثرة الديون واحتلال بعض المناطق، جعل المترجم يرى وجوب خلع السلطان، لأن حكمه أصبح غير جائز من الناحية الشرعية[264].

---

[258]– حضر كذلك: الشيخ عبد الرحمان ابن القرشي، القاضي عبد السلام بن محمد الهواري، الشيخ أحمد بن محمد ابن الخياط، الشيخ المهدي ابن محمد الوزاني، الشيخ محمد ماني الصنهاجي، الشيخ العباس بن احمد التازي.

[259]– جريدة السعادة، 8 رجب 17/1325 غشت 1907، أوردها المنوني في المظاهر، ص: 342.

[260]– ترجمة الشيخ الشهيد، م س، ص 358.

[261]– بياض الطيب، م س، ص: 35.

[262]– ترجمة الشيخ الشهيد، م س، ص: 16.

[263]– المظاهر، م س، ج 2، ص: 343.

[264]– خبيئة الكون، م س، ص: 35، ترجمة الشيخ الشهيد، ص: 359 وما تلاها.

لذلك وبعد إعلانه لأهل مراكش استعداده للدفاع عن البلاد، وإنقاذها من الاستعمار، راسل المولى عبد الحفيظ أبي الفيض يخاطب وده، لخلع أخيه مولاي عبد العزيز وتوليته مكانه[265]. وكان يخاطبه ب "والدنا"، ونظرا للظروف التي يمر منها المغرب وافق الشيخ الكتاني التخلي عن السلطان عبد العزيز ومبايعة المولى عبد الحفيظ لكن بشروط لا تصح بيعته إلا بتنفيذها والوفاء بها[266]، مطالبا تطهير المغرب من دنس الحمايات، كما دعا الى اقامة العدل، والاخلاص في العمل[267].

واستغل الكتاني توجه المولى عبد العزيز لمحاربة أخيه في مراكش، ليعلن خلع السلطان بمعية مختلف طبقات أهل فاس، ونصرة عبد الحفيظ كسلطان جديد للبلاد وكان ذلك يوم الجمعة 23 ذي القعدة سنة 1325 هـ، مغلبا بذلك مصلحة البلاد على مصلحته الشخصية.

بيعة المولى عبد الحفيظ حررها العلامة أبو العباس أحمد بن عبد الواحد ابن المواز[268]. وقد شملت 16 شرطا، وحول ذلك تحدث محمد بن جعفر الكتاني في " النبذة" بقوله ثم إنه وقع ما وقع مما هو مشهور من بيعته للجانب الحفيظي، بفاس بعد خلع أخيه المولى عبد العزيز، واشتراطه عليه في أصل البيعة شروطا وافقه عليها الكل فيقال أنه حنق عليه بسببها"[269]. وكان الذي أملى الشروط في الضريح الإدريسي هو الخطيب أبو محمد العابد بن أحمد ابن سودة[270].

وجاء في كتاب " تاريخ تطوان" لمحمد داود: "وقد وقفت على كتاب أرسله الشيخ سيدي محمد الكتاني، شيخ الطريقة الكتانية، إلى أهل تطوان يدعوهم فيه لعزل المولى عبد العزيز، وبيعة أخيه المولى عبد الحفيظ، وأرسل صحبة ذلك الكتاب نسخة أصلية من نص الاستفتاء الذي رفع لعلماء فاس ومعه شهادة عبد الكبير من اهل فاس

265– أنظر نص الرسالة في ترجمة الشيخ الشهيد، ص: 274-275-381.

266– نص البيعة ورد عند محمد التهامي بن عبد القادر السوسي المكناسي في رسالته، "غنية الأنجاد في مسائل الجهاد"، مخطوط، خ م 12313، ص: 92-99، وعند ابن زيدان في الإتحاف، ج 1، ص: 449-453.

267– اجتمع أشراف فاس وعلماؤها برئاسة الشيخ محمد الكتاني في فاتح ذي الحجة 1325هـ الموافق 3 يناير 1908، ووضعوا ستة عشر شرطا لهذه البيعة من أهمها: الحكم بالعدل، ورفع ما أضر بالأمة من الشروط الحادثة بالجزيرة الخضراء (الخزيرات)، تقييد سلطة السلطان وخضوعه لمبدأ الشورى، تطهير المغرب من الحماية، عدم استشارة الأجانب في أمور الأمة، ارجاع الجهات المأخوذة من الحدود المغربية، رفع ضرر المكوس، وغيرها من الشروط التي كانت سببا في ايغار صدور السلطان عبد الحفيظ على الشيخ الكتاني، انظر هذه الشروط بتفصيل في الصفحة 199 من كتاب ترجمة الشيخ...، واتحاف أعلام الناس، لابن زيدان، ج1، ص: 449.

268– أنظر شروط البيعة عند المنوني في المظاهر، وترجمة الشيخ الشهيد، وعند محمد حمزة الكتاني، مجلة منتدى الحوار، م س، ص: 18.

269– المنوني محمد، المصادر العربية لتاريخ المغرب، ج 1، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر 1983، ص: 48.

270– مذكرات محمد عبد الحي الكتاني، بخطه، خ. م، 13096، أوردها المنوني في اليقظة.

بما كانوا ينكرونه على السلطان عبد العزيز مع جواب العلماء وافتائهم بخلع السلطان المذكور وتولية أخيه المولى عبد الحفيظ[271].

أما محمد بن الحسن الحجوي، فقال في "الحق المبين"، فالشريف سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني رحمه الله، لا يشك أحد أنه ممن لهم اليد الحركة للثورة الفاسية الحفيظية الواقعة في 11 ذي القعدة عام 1325، ضد مولاي عبد العزيز، ولكن بعدما تم خلع المذكور وتولية أخيه مولاي عبد الحفيظ، وجهت إلى الشريف الكتاني تهمة أنه يريد الملك لنفسه، وشاع عنه ذلك لأسباب أوغرت صدر مولاي عبد الحفيظ وكثرت الوشاية به، كاشتراطه في عقد البيعة إلغاء مؤتمر الجزيرة الخضراء الشهير في تاريخ المغرب مع أنه باتفاق دول أوربا[272].

بعد البيعة، حاول أعداء الشيخ القيام بأدوار للإيقاع بينه وبين السلطان الجديد لكنه فطن لذلك وراسل عبد الحفيظ، فرد عليه هذا الأخير مؤكدا على وطنيته وعدم الشك فيها[273].

عند توجه السلطان إلى فاس قادما من مراكش توجه أبي الفيض للقائه، فكان اللقاء بمنطقة زيان وابن مجيلد، وفيه كان الاختلاف في وجهات النظر بين الطرفين، حيث أمر عبد الحفيظ الشيخ بالتوجه لمحاربة المحلة العزيزية، غير أن الشيخ أبى ذلك، وعند وصول السلطان مكناس أمر بالقبض على مجموعة من أعيان المدينة من أصحاب الشيخ والاستيلاء على أموالهم، الشيء الذي كان يخالف مبدأ الشيخ أبي الفيض ولم يغني تشفعه وتوسطه لهم شيئا[274]، ينضاف إلى ذلك تنكر وتبرؤ علماء فاس من شروط البيعة ونسبوها للكتاني، خوفا من بطش السلطان بهم.

لقد لاحظ الكتاني تغييرا في رأي عبد الحفيظ في تنفيذ البرنامج الإصلاحي الذي بايعته الأمة من أجله، مما جعله يتوجه إليه بالنصح، ودعى الناس إلى الجهاد في مختلف المناطق والقبائل، وجميع أعيان القبائل في مكناس، ومعهم علماء المدينة وقائدها، عاقدا بذلك مؤتمرا كبيرا فيها، واتفق في هذا المؤتمر على عقد الصلح بين قبائل البربر، وإلغاء عادة المطالب بالدم، والائتلاف والإتحاد...[275].

الشيخ الكتاني لم يتلقى إلا الوعود من طرف السلطان على مطالبه بتنفيذ شروط البيعة، مما جعله يعلن في مجالسه أن البلاد على وشك الاستعمار، إن لم تفكر في مصيرها، فواصل دعوة القبائل المغربية للجهاد ضد الفرنسيين، وهي حلقة أخرى من حلقات الصراع الخفي بين المترجم والسلطان، وزاد من حدة ذلك النقاش الحاد الذي كان

271– ورد في ترجمة الشيخ، م س، ص: 397.

272– الحجوي محمد بن الحسن، "الحق المبين" طبعة تونس، 1339 ه أورده محمد الباقر الكتاني في الترجمة.

273– أنظر رد السلطان عبد الحفيظ عليه في ترجمة الشيخ، ص: 403.

274– الكادلي محمد، محمد بن عبد الكبير الكتاني، الشهادة والشهيد، مجلة منتدى الحوار م س، ص: 145، أنظر كذلك: المظاهر المخطوطة، ورقم 107 (محققة).

275– خبيئة الكون، م س، ص: 35-36.

يدور بين الطرفين في مجالس الحديث الذي كانت تعقد بالقصر السلطاني (مثل الخلاف حول الزيادة على الأربع في التزوج، ومسألة حياة الأنبياء والطعن في التصوف والصوفية..."[276].

المولى عبد الحفيظ كان يعتبر شروط الشيخ بمثابة تحجيرا لسلطته وتطاولا عليه، الشيء الذي أدى إلى أن ساءت العلاقة بين الطرفين، زاد من ذلك استغلال الموفق من طرف أنصار فرنسا للإيقاع بين السلطان وشيخ الطريقة الكتانية.

أعلن السلطان عبد الحفيظ في يناير م1908 تنكره لمقررات الجزيرة الخضراء، لكن الدول الكبرى رفضت الاعتراف به إلى أن يوافق على مقررات المؤتمر، وأثناء اجتماع عقد بتاريخ 18 أكتوبر 1908م بقصر السلطان، حاول الكتاني تفسير ذلك معلنا ان السلطان ما دام يحضى بدعم شعبي فهو غني عن أي اعتراف دولي، وإن كان لابد من تطبيق الإصلاحات المقترحة بالخزيرات فلتكن بدعم الماني[277].

ولما أعلن المولى عبد الحفيظ قبول شروط الدول الأوربية في 7 دجنبر 1908م، أدرك الشيخ أبي الفيض تنكر السلطان لشروط البيعة، فقرر الخروج من فاس إلى قبيلة ايت بوسي في جبال الأطلس، الشيء الذي استغله خصومه، وعلى رأسهم القنصل الفرنسي والوزراء المساندين له، الذين أقنعوا السلطان أن الشيخ يحضر لانقلاب جديد، فتم القبض عليه يوم 17 مارس 1909، وتوجه له تهمة عصيان السلطان.

بعد إحضار الشيخ إلى فاس قابله السلطان عبد الحفيظ بحضور العلماء والأعيان، فكانت مناظرة بينهم وبين الشيخ، ليصدر الأمر باعتقال أبي الفيض، رفقة أفراد من عائلته، وتم جلده حتى وفاته يوم 13 من ربيع الثاني لعام 1327هـ.

الآراء الفكرية والإصلاحية للشيخ أبي الفيض

محمد بن عبد الكبير الكتاني كان يؤمن ككل مسلم، بانه مكلف بمهمة في حياته، ولم يكن يعيش لنفسه، ومن أجل مصالحه الشخصية، بل كان مستميتا في الدفاع عن الدين، والوطن والقيم الإنسانية العليا، وإصلاح وتهذيب النفس، كونه شخصية صوفية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فقد كان مؤسسا لطريقة صوفية ربانية، ومرشدا وداعيا ومربيا.

---

[276]– ترجمة الشيخ الشهيد، م س، ص: 417 – 418.

[277]– بياض الطيب، مجلة زمان، م س، ص: 35.

الشيخ الكتاني تصدر للتدريس والدعوة لله بروح الصوفي الفاني في حب الله ورسوله، وناشرا مبادئ الأخلاق والفضيلة وواجب المسلم إزاء وطنه بالوقوف في وجه الفتن الداخلية (بوحمارة والريسوني)، وجاهد وقام كل أنواع التدخلات الأجنبية.

انصبت أفكاره وآرائه الفكرية والإصلاحية حول كشف معوقات الإسلام وانحطاط الامة بقوله: "إن من أسباب انحطاط الأمة الإسلامية في كل صقع: إهمال من نبغ فيهم كاتبا أو شاعرا، أو مشيرا أو صانعا يحسن صنعة التجبيص أو البناء، أو الأواني أو الثياب أو صاحب صوت حسن، أو تنحاش إليه الخلق، يرمونه رمية واحدة، عن قوس واحد، ولم يكن صدر الإسلام كذلك"[278]. وكذلك الصدع بالحق كسبب من أسباب انحطاط الأمة في رده على من يزعم من خصومه أن الأمر بالمعروف ونهيهم عن المنكر، يسقطهم من قلوب الخلق: "ليتوهم أهل الحجاب أن أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، يسقطهم من قلوب الخلق، وهو وهم كاذب"[279].

ومن أسباب انحطاط الأمة أيضا: ذكر الأحكام مجردة عن أسرارها، وقول أهل الفروع: هذا تعبيدي، هو عجز منهم عن بيان الحكمة والسر، والشرع كله مكشوف لأهل العلم بالله ليس عندهم فيه شيء غير معقول المعنى (ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)"[280]. وكذا في عدم العمل على كتب الحديث في باب التأديب والتهذيب، والأخلاق والآداب والمعاشرة[281].

آراؤه شملة تأنيبه من يهمل الجانب الإنساني بقوله " لم تبق إلا الأغراض والشوائب، والحظوظ والرياسات التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ولا يحصد منها الإنسان ثمرة... وكل من يقوم مع حظوظ نفسه وشهواته وأغراضه، فقد أهمل الإنسانية وأوضاعها. وكل من لا إقدام له على المعالي والمعاني، والتجرد عن الأحوال الشخصية، فلم يظهر شرف الإنسانية، إذ من خاصة الإنسانية: الشهامة والاقدام بل من خواص الحيوانية أيضا"[282].

الشيخ أبي الفيض كان متشبعا بأفكار رائدة، في جميع الميادين، جسدها في رسائله (الرسائل الكتانية)، التي كان يهدف من خلالها تحقيق أهداف تربوية ودينية، ففي ثورته على المجتمع يقول: "نجد المسلمين كأنهم ملل لا يتوارثون، يعرض هذا بوجه ويعرض هذا بوجه، وفي الحديث: "لا تدخلوا الجنة حتى تومنوا، ولا تومنوا حتى تحاربوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم"[283]. وفي رسالة بعثها إلى اتباعه بفاس سنة 1314

---

[278]- رسالة المؤاخاة، ص: 48.

[279]- رسالة المؤاخاة، ص 44-45، أنظر كذلك ترجمة الشيخ، م س، ص: 111.

[280]- ترجمة الشيخ، ص: 112.

[281]- الرسائل، ص: 61.

[282]- ترجمة الشيخ، ص: 111.

[283]- الرسائل، ص: 58.

ه دعى إلى الثبات على المبادئ: "اعلموا اخواني أن عنوان المجد، والشرف وترجمان السعادة الابدية، والقرب المعنوي من رب الأرباب، وبرنامج رضا الله الأكبر هو: الثبات في باب الله تعالى وعدم التزلزل عن بابه إذا بدت النكبات والنزلات"[284].

اهتم في آرائه الفكرية والإصلاحية بالمجتمع بحيث دعا القبائل المتصارعة فيما بينها الى التصالح ونسيان العداوة، لأن المرحلة دعت إلى التكتل ضد الأجنبي ومحاربته لا التقاتل بين أفراد المجتمع المغربي الذين تجمعهم وحدة الدين واللغة والتراث، فكانت دعوته إلى مؤتمر وحدوي في مكناس بتاريخ 12 صفر 1326 ه / 1908 م، يقول في إحدى رسائله: "الى الاخ ... سيدي عبد الحفيظ الفاسي ... وبعد فغير خاف عنك ان موجب نهضتنا من طرفكم السعيد الميمون إلى حضرة مكناسة الزيتون وهو ما ثبت لدينا من اضطراب وتفاهم قبائل حوزة ... وأزعجنا الأمر إلى تدارك استصلاحه انتهازا للفرصة في نجاحه.... استدعينا القبائل المذكورة... ولم يتخلف منهم أحد ولله حمدي وثنائي وشكري...."[285]، علاجه لداء الفرقة والاختلاف نجده في "العهود الكتانية" المسماة ب "سفن النجاة وكهوف العباد"[286].

أشارت جريدة "لسان المغرب" إلى مؤتمر مكناس بقولها "انعقد الجمع بمكناس يوم الأحد بدلا من يوم السبت فاجتمع، في ذلك اليوم في جامع القصبة – رؤساء قبائل زمور ومجاط وجروان وبنو مطير وزعير، وحضر معهم سيادة الشيخ الكتاني، والشريف سيدي محمد الأمراني، والباشا ابن عيسى حاكم مكناس، فأول شيء فعلوه أنهم عقدوا الإخاء والاتحاد بين القبائل المذكورة، تاركين جميع ما كان بينهم من الحقوق والدماء، تأمينا للطرف وحفاظا للنظام ثم تعاهدوا على أن من خرج عن الدين والجادة واستبدل الإيمان بالكفر، فليس هو منهم في شيء..."[287].

وذكر المنوني قولا عن أحمد سكيرج "وكانت إقامته بمكناس الزيتون لإتمام النصر للحضرة الحفيظية، ذا جد واجتهاد في ذلك يحض القبائل على الجهاد، وحفظ جميع المسالك مما عسى أن يقع من التعدي والفساد، في الأرض والبلاد"[288].

---

[284]– رسالة بعثها الشيخ سنة 1314 ه إلى أتباعه بمدينة فاس.

[285]– المظاهر، 506/2 والملحق 78، حضر هذا المؤتمر إلى جانب الاعيان وسكان القبائل باشا مدينة مكناس الحاج بنعيسى بن حم السرغيني ثم البخاري، فخطب فيهم الشيخ الكتاني، وحضهم على نسيان الخصومات بينهم، وندبهم الى جمع كلمتهم، حتى يكونوا على أهبة الاستعداد للدفاع عن الوطن ضد المد الأجنبي. انظر معطيات هذا المؤتمر عند المنوني "المظاهر"، ص: 363 وفي الملحق 66، ص: 367.

[286]– مطبوعة ضمن رسائل الشيخ الكتاني، تحقيق: حمزة الكتاني، من الصفحة 267 إلى 279.

[287]– جريدة " لسان المغرب"، العدد 31، الصادر يوم الجمعة 1 ربيع الاول 1326 / 3 أبريل 1908، الصفحة 2 منه، أنظر كذلك الذب عن التصوف، م س، ص: 24.

[288]– المظاهر، م س، ص: 364.

كانت له آراء في المجال التعليمي والتربوي، بحيث كان يدعوا إلى وجوب التعلم وتحصيل العلوم الدينية والصوفية والاطلاع عل مصادرها وشروحها، بقوله في إحدى الرسائل: "إياك أن يفوتك وقت الزاوية، فإن الصلاة فيها مقبولة، وإياك أن يفوتك أول الوقت فإن فضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة عل الدنيا... وللاماكن سرعة من سرعة الفتح وبطئه كما يعلمه أهل فتح الجوارح." [289] يضيف، "ولا نعذر أحدا من أهل العلم بالزاوية أن يكثر سواد العلم وسواد الدين وسواد النسبة، فإن من فيه أهلية للتدريس يدرس، ونعزم عليه ذلك، من ليس فيه أهلية، فيلزم القراءات بالجد والحزم، ويحفظ المتن ويكثر من المطالعات والمراجعات والمذاكرات، فإن لك لذة الدنيا قبل لذة المعرفة بالله تعالى، وقد كادت البلاد أن تشغر من العلم، ويجب أن يجتمعوا كلهم ويحضروا النسخ، ويفتحوا "جمع الجوامع" في وقت و"التلخيص" في وقت والشيخ الطيب في وقت، ويتعاهدوا جميعا، ولا يراعوا رئيسا ولا مرؤوسا، فإن الله لا يعبد ولا يتقرب إليه إلا بالعلم، وتفقدوا المتكاسل منهم والمتقاعد"[290].

شملت دعوته كذلك تعليم المرأة رغم أن المجتمع المغربي في ذلك الوقت كان منغلقا على نفسه، لذلك اهتم ابو الفيض بتعليم المرأة وتوعيتها، ويعطي أمثلة بذلك في كتابه "أشرف الأماني" كون أمه كانت امرأة عارفة بالله[291]، وزوجته كانت فقيهة وحافظة لكتاب الله يقول: "وكان ينبغي أن يجعل الولاة للنساء فقهاء، أولياء يؤمنون عل النفوس، والأعراض والعورات، ويقومون بتعليم النسوة، فالمرأة لا تحضر مجالس التعليم والتأديب، والولاة لا يلتفتون لذلك، والزوج لا يعتني بما يصلح، فمن يعلمها؟ ولذلك ورد: "يلقى الله عبد يذنب أعظم من جهالة أهله"[292].

أما رأيه في الحرية فيقول: "وقد علمتم ما وصل إليه الأجانب اليوم من النفوذ في العالم، فإنما وصلوا لذلك بأمور منها، الحرية التي عبر عنها الشرع الكريم بالقسط، والعدل والنصح، وعدم المحاباة والقيام في كل موطن وما يقتضيه، ومعرفة كل منصب وما يطلبه، وعدم إهمال بعضها، ومعرفتهم بحق من ظهر فيه أدنى نبوغ وتيقظ، وعدم إهماله حقه، وعدم رفضه... بخلاف غيرهم"[293]. علل الشيخ ما وصل إليه الأجانب من تقدم ونفوذ في العالم بإعطاء الحرية وتطبيق العدل...

لذلك نجد الشيخ الكتاني يبدي آراءه الإصلاحية للسلطان عبد العزيز ووزراءه، وعلى رأسها إحداث جيش عسكري مغربي منظم على شاكلة الجيوش الأوربية، كما نادى بجلب خبراء عسكريين من البلاد الإسلامية المستقلة كالدولة العثمانية لتدريب العناصر المغربية وتنظيمها وتزويدها بأحدث الأسلحة، وطالب بفرض التجنيد الاجباري

---

[289]- جريدة "لسان المغرب"، العدد 31، الصادر يوم الجمعة 1 ربيع الأول 1326هـ/ 3 افريل 1908، الصفحة 2 منه. انظر: الذب عن التصوف، م. س، ص: 24.

[290]- الكتاني محمد الباقر، ترجمة الشهيد، م س، ص 30.

[291]- لابنها الشيخ عبد الحيي الكتاني " ترقية المريدين بما تضمنته السيدة الوالدة من أحوال العارفين"، وهو موجود بمكتبة علي الكتاني.

[292]- أشرف الاماني، م س، ص: 121، أنظر كذلك: رسائل الشيخ الكتاني، ص: 37-61.

[293]- ترجمة الشيخ، م س، ص: 111، انظر كذلك: المصادر، ص: 48.

على كل مسلم، عارضا طريقته الكتانية وهو على رأسها للانخراط في الجيش المغربي[294]، إضافة إلى انه كان يعلم أتباعه الرماية، وأعلن استعداد الأمة المغربية للتبرع بالمال الكافي لذلك، غير أن بعض الوزراء كانوا دائما حجر عثرة في سبيل دعواته الإصلاحية.

عمله الوطني وآراؤه الإصلاحية واصلها الشيخ في فترة الدعوة الحفيظية التي فجرت شعورا وطنيا في كل من مراكش وفاس، حيث خرجت أصوات علنية تدعوا إلى الإطاحة بالمولى عبد العزيز، والتنديد بسياسته التي أضاعت منطقتي توات وفكيك واحتلال عيون بني مطهر ووجدة والدار البيضاء، لتتكلل هذه الثورة ببيعة المولى عبد الحفيظ بشروط كانت من اقتراح الشيخ الكتاني[295]. ووافق عليها العلماء، كما أن هذه الشروط تعتبر أن الأمة مصدرا للسلطة في السياسة الداخلية والخارجية[296]، وهي فقرة تشير لمطالبة بالملكية الدستورية.

الشيخ الكتاني يعتبر أول من دعى إلى ملكية دستورية فهو واضع شروط البيعة الحفيظية، وذلك عبر دعوته إلى نظام الشورى بقوله: "وإذا أردتم إبرام أمر، فليكن شورى بينكم، وليس أحد منكم أحق بالإيثار بالحق من الآخر، فمن لاح على لسانه الحق، فليتبع"[297]. يقول كذلك: "إذا عرض ما يوجب مفاوضته مع الأجانب في أمور سلمية أو تجارية، فلا يبرم أمرا منها إلا بعد الصدع به للأمة، حتى يقع الرضى منها بما لا يقدح في دينها، ولا في عوائدها، ولا في استقلال سلطانها..."[298].

مطالب أبي الفيض الإصلاحية كانت في مجملها تتمحور حول إرجاع السيادة المغربية للمغاربة وتطهير المغرب من دنس الحمايات، واستشارة الأمة والرجوع إليها، وأخذ رأيها في كل الأمور.

لائحة شروط البيعة الحفيظية يمكن القول عنها أنها تتماشى وتطلعات النخبة المثقفة الوطنية في تلك الفترة والتي كانت تهدف إلى المحافظة على استقلال البلاد وحمايتها من التكالب الأوربي.

لذلك وفي فترة انتقال الحكم من المولى عبد العزيز إلى المولى عبد الحفيظ قام الشيخ الكتاني بمراسلة السفارات والبعثات الأجنبية المتواجدة بطنجة بإمضاء كبار العلماء، يطلب منهم الوقوف بحياد تجاه ما يشهده المغرب من أحداث، وعدم التدخل في سياسته الداخلية، وكذلك مطالبة فرنسا بإخراج جيوشها من البلاد، ذاكرا أن الأعمال

---

[294]– نفسه ص: 371.

[295]– وردت هذه الشروط كذلك هند محمد التهامي بن عبد القادر السوسي المكناسي في رسالته "غنية الأنجاد في مسائل الجهاد" مخطوط خ م، 12313، ص: 92-99.

[296]– المنوني، م س، ص: 344.

[297]– الرسائل، ص: 55-56.

ترجمة الشيخ، ص: 113.

[298]– ترجمة الشيخ، ص: 113.

التي قامت بها في البلاد مخالفة للمواثيق والعهود الدولية "لأن بقاء الدولة الفرنسية على تقدمها في الحدود، وإقراض المال لمن ذكر، ونجدته تعده الأمة المغربية فتحا لأرضها، وإخلال بالمعاهدات الدولية، وقطعا لفتح أبواب التجارة بالمغرب وزيادة للثورات والهجومات، والترامي من الطرفين... وتعد (الأمة المغربية) التقدم في الحدود إظهارا للعداء وإخلالا بالمعاهدات والحقوق الدولية.."[299].

هذه الرسائل السياسية هي وسيلة لكشف نوايا الدول الأجنبية من طرف أبي الفيض من جهة، والجهاد ضدها من جهة ثانية عبر تحريض القبائل على محاربة تدخلات فرنسا في الأراضي المغربية، وتهنئتها كلما انتصرت، كقبائل الشاوية. وهو ما كانت تعيبه عليه جريدة "السعادة" بقولها: "الكتاني لم يتعود أن يحجم أمام كبار الأفعال، فجمع جمعه في القرويين وعددهم ما يقارب الخمسة آلاف، وخطب فيهم قائلا: "يجب أن نرسل ما هو مجموع في فاس باسم الجهاد إلى مولاي الحفيد، وأن احمله معكم اليه، غير انه من الواجب علينا الاحتياطات قبل السفر، حتى لا ينقلب علينا الحال، فالحالة تقضي أن نقبض على الجزائريين والحمايات الأجنبية، ونودعهم السجن، حتى ينجلي الفرنسيون عن وجدة، وان نجبر اليهود على دفع ما عندهم من مال ليستعين الإمام به على صوائر القتال حيث إنهم كانوا وما زالوا السبب في ادخال الأجانب إلينا في كل زمن وحال... " فأمن القوم كلهم لكلام الشيخ الخطيب، وخرج الكتاني وأتباعه يعربد في الأسواق، ويهدد، ويتوعد، فانزوت اليهود في الملاح وشدت أبوابه..."[300].

لم تقف آراء الكتاني عند ذلك، فقد كان شيخ الزاوية الكتانية يجاهد ويقاوم كل أنواع التدخلات الأجنبية، وكان له دور فعال ضد الحملة الإعلامية الفرنسية، التي جاءت باسم جريدة "السعادة" التي كانت تعادي السلطان عبد الحفيظ ولا تعتبره سلطانا شرعيا على المغرب، حيث نشرت مقالا بعنوان "الطاعن في الدعوة الحفيظية والداعي إلى إبطالها ومناصرة المولى عبد العزيز الملك الشرعي"[301].

لذلك نجد المترجم يحض العلماء على التصدي لتلك الكتابات "وكان ينبغي لعلماء الملة لما رأوا هذه الجرائد العجمية انتشرت، أن يفهموا أن ظهورها حرب بالأقلام في الحقيقة لأهل الملة، فكان ينبغي لهم ان يضعوا تأليفا – ولو أن تشترك فيه جمعية دينية– ويكلف كل واحد بتحرير كتاب فيه، وينسب الكتاب لجمعيتهم، في أسرار الشريعة المطهرة... ويطبعوا هذا التأليف مجانا لله ولرسوله وشكرا للأمانة، وحفظا للإيمان في قلوب الأمة، ورعيا للوطن ومقابلة للحرب بالسلم، وادحاضا للأباطيل وعرقلة لمساعيها بالحجج الدامغة، ويطبعوا منه الآلاف من النسخ، ويفرقونه في

[299]– ترجمة الشيخ، م س، ص: 396-397.

[300]– جريدة "السعادة" مقال بعنوان: "اتقوا الله في الأعناق والارزاق"، مؤرخ بيوم الأحد 14 محرم 1326 هـ / 16 فبراير 1907.

[301]– كتب هذا المقال رئيس تحرير المجلة وديع كرم الماروني في عددها : 11-12-1908.

الدنيا لله، ولو وقع مثل ها ، لحدثت أمور في العالم خيرية وسماوية، ولكن إهمال القرائح وعقمها أنتج نتائج وخيمة لا تحمد، فأنيبوا إخواني، وأحبابي وتداركوا ما أمكن تداركه"[302].

دعوته غلى إصدار جريدة وطنية تشترك فيها جمعية دينية لمواجهة الجرائد الأجنبية، كانت تنم عن وعيه وتفطنه لنوايا فرنسا، وعلى إثرها أصدر أول صحيفة مطبوعة على الحجر وهي جريدة "الطاعون" سنة 1906م[303]، في شكل مجلة مختصرة، وزعت بانتظام على السفارات الأجنبية وعلماء المغرب بالمجان، داعيا إياهم إلى قراءة الصحف الأجنبية والدفاع عن حقوق المغاربة، والوقوف في وجه كل الفسدة سواء مغاربة أو أجانب.

جردة الطاعون الصادرة بمدينة فاس كان يعبر فيها الشيخ أبي الفيض عن آرائه وأفكاره الإصلاحية، ويرد فيها على الصحف الصادرة في طنجة خاصة جريدة "السعادة"، التي تدافع عن عبد العزيز وتعتمد على القرآن والحديث لتبين أن الجهاد غير مناسب في الظروف الحاضرة، ولترد فيه على فتاوى علماء فاس، وكانت هذه الصحف تنتقل إلى المناطق المؤدية لعبد الحفيظ بواسطة البريد الأوربي وخاصة البريد الفرنسي[304].

كان الكتاني في طباعته للجريدة يجمع عددا من الفقهاء، ويعطي كلا منهم أوراقا بحجم جريدة صغيرة ليملي عليهم رده على صاحب "السعادة"، مستعرضا أخطاء عبد العزيز وفشله في إدارة شؤون البلاد، وفي القضاء على ثورة بوحمارة والريسوني، وبعلاقته مع الأجانب[305].

كما كان الشيخ الكتاني يكتب آرائه في جريدة " لسان العرب" ويقدم لها الدعم المادي والمعنوي، لكن هذه الأخيرة اشتراها عبد الحفيظ أواسط عام 1327ه / 1909م، وأمر بتوجيهها إلى مدينة مراكش حيث تفككت أجزاؤها[306].

تقويم حول موقع أبي الفيض ومكانته في الساحة الفكرية والنضالية

لقد برز مطلع القرن العشرين نخبة وطنية مغربية من علماء وشيوخ وشباب، وطبقات شعبية يؤلف بينهم جميعا الشعور بواجب الدفاع عن البلاد، والعمل لتحسين ظروفها، شعور اتسم بطابع إسلامي وطني كان عنوانه

[302]– الرسائل، ص: 66 أنظر كذلك، ترجمة الشيخ ص: 114، أنظر كذلك محمد خير فارس، المسألة المغربية، ص: 177.

[303]– تعد جريدة "الطاعون" أول جريدة وطنية صدرت بالمغرب، وإذا كانت أول نشرتها مخطوطة فإنها أصبحت – فيما بعد– تنشر بالمطبعة الحجرية بفاس، وكان عدد صفحاتها 4 صفحات ومقاسها 24–8 سنتيم، وأما المطبعة الحجرية التي تسهر على عملية الطبع فهي مطبعة الذويب. أنظر: زين العابدين الكتاني، رسائل الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني، ص: 58، ورسالة فتح الجوارح، محمد بن عبد الكبير الكتاني، (مخ)، ص:1.

[304]– الكتاني زين العابدين، الصحافة المغربية، ج 1/ 181.

[305]– نفسه ص: 181.

[306]– المظاهر م س، ص: 462.

الجهاد – بالقلم أو السلاح – ضد المطامع الأجنبية، ومن أجل العمل لرقي البلاد، وهي ظاهرة استمرت حتى بعد فقدان المغرب لاستقلاله.

الشيخ الكتاني كان ضمن النخبة العالمة في ذلك الوقت، تميز بقوة اليقين والصبر، وتبحره في المعارف وعوالم الصوفية، مدركا لمتطلبات تطوير الحكم في البلاد وفي مقدمتها وضع دستور والتصدي للتكالب الاستعماري عبر حرصه على إحياء سنة الجهاد.

يعتبر ابي الفيض، من الأسماء التي أوقظت الذاكرة الدينية والوطنية نظرا لما قدمه للبلاد، فهو يعتبر إلى جانب العديد من المفكرين والاصلاحيين على رأس أول جيل رافض لانهيار الدولة المغربية، ورافض للاستعمار الفرنسي.

دعوة الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني الإصلاحية، كانت امتدادا للاتجاهات الإصلاحية بالمغرب الحديث التي تزعمها الحاج محمد بن المدني كنون شيخ القرويين والحاج علي بن سليمان الدمناتي في مراكش، والشيخ عبد الله بن إدريس السوسي في طنجة، والشيخ المفضل بن الهادي ابن عزوز في مكناس وغيرهم من الذين يعتبرون امتدادا للنهضة الاصلاحية التي بدأت من المشرق والتي تدعوا إلى الرجوع للسلفية الأولى.

لذلك يعتبره العديد من الباحثين، زعيما للحركة الدستورية في المغرب، والداعية الأولى للملكية الدستورية، وواضع أسس أول دستور مغربي سنة 1906م، وفي حقه قال المجاهد الكبير محمد بن عبد الكريم الخطابي: "اقترن استشهاد هذا العالم الجليل باستشهاد أمة كاملة، وهي أمة المغرب، كما هو معلوم عند كل أحد من المغاربة المعاصرين مثلي للشيخ الشهيد وللقضية بكاملها"[307].

لقد دفعت ظروف البلاد والأزمات التي مر منها المغرب إلى قيام الشيخ الكتاني بالمزج بين كل التخصصات سلوكا وعلما وعملا، وهنا كانت أدواره الإصلاحية، مجسدة في وقوفه ضد الاحتلال الفرنسي لسنوات، وقيامه برسم خريطة حدودية بين المغرب والجزائر، وانتفاضه لاحتلال وجدة والدار البيضاء، ودعوته للجهاد ... وكشفه لأسباب انحطاط الأمة الإسلامية، وسبل النجاة عبر رسائل عديدة كان القصد منها تحقيق أهداف تربوية ودينية وسياسية.

لكن مسألة اتهامه بمحاولة إرجاع الحكم للأدارسة بسبب الثورة على المولى عبد العزيز، وفرضه لشروط مقابل الموافقة على بيعة المولى عبد الحفيظ أجج عليه الحاقدين والرافضين لأفكاره وتدخلاته الإصلاحية، ومن أبرزهم فرنسا وأتباعها وجريدة " السعادة"[308].

---

[307]– أنظر مقدمة، ترجمة الشيخ الشهيد، لابنه محمد الباقر الكتاني.

[308]– أنظر حول ذلك، أحمد بن خالد الناصري، "الاستقصا..." ج 4، طبعة الدار البيضاء، ص: 144.

وفي هذا الصدد استبعد عبد الله العروي زعم محاولة إرجاع الحكم من طرف الشيخ محمد الكتاني للأدارسة[309]، كونها روايات أجنبية مشبوهة جاءت لتشويه تاريخ المغرب خدمة للمصالح الاستعمارية، واساءة لتاريخ المجاهدين والوطنيين الذين ضحوا بالغالي والنفيس من اجل تجنيب المغرب ويلات الامبريالية الأوربية، لذلك فنحن مطالبين ببذل جهود مضاعفة لكشف النقاب وازالة الغبار عن المخطوطات والوثائق المتضمنة للتاريخ الوطني في سبيل تكذيب الكتابات الأجنبية وإظهار الحقيقة.

مؤلفاته:للمترجم مؤلفات كثيرة لم يطبع منها الشيء الكثير (حوالي 27 مؤلفا)، وفي اتصال مع أحد حفدة المؤلف (الدكتور حمزة الكتاني) أخبرني أنهم بصدد طبع عشرة أعداد في الأشهر القادمة. وتجدر الإشارة إلى أن للشيخ أبي الفيض أزيد من ثلاثمائة كتاب أوردها نجله محمد الباقر الكتاني[310].

ومن المؤلفات المطبوعة نجد:

- الإجازة الطرقية وشروط وأركان الطريق، تحقيق حمزة بن علي الكتاني، ضمن سلسلة من رسائل الإمام محمد بن عبد الكبير الكتاني، طبع بمصر 1321 هـ، و بالأردن – دار الرازي عام 1420هـ.
- البحر المسجور في الرد على من أنكر فضل الله المأثور، طبع بدار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق اسماعيل مساوي، 2006.
- الأمالي في علم الأمهات، تحقيق حمزة بن علي الكتاني ضمن سلسلة: من رسائل الإمام محمد بن عبد الكبير الكتاني، ط 1، دار الرازي.
- ختمة البخاري، طبعة حجرية، 1324، بفاس.
- رسالة المؤاخاة، تحقيق حمزة الكتاني، ضمن سلسلة من رسائل الإمام.
- سلم الارتقاء، في نشأة التصوف ووجوب شيخ التربية، طبع بدار الكتب العلمية، بيروت 2006، ذيلا للبحر المسجور، تحقيق اسماعيل مساوي.
- خبيئة الكون في شرح الصلاة الأنموذجية، ط فاس، (د.ت).
- اللؤلؤة الاستعطافية بالأعتاب المحمدية، ط، حج، فاس، 1323 هـ.
- الاستيذان في تفسير قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا"، طبعة فاس (د.ت).

309– أنظر حول ذلك رسالة مرقونة عن الزاوية الكتانية والمجتمع والمخزن 1855 – 1912، لعبد الاله جريد، جامعة محمد بن عبد الله، فاس 1997 – 1998، ص: 481، وما يليها.

_310

- أدل الخيرات في الصلاة على سيد الكائنات، طبعت بفاس، (د.ت)، ثم طبعت بمصر.
– أسرار الاستعادة، طبعت بفاس، سنة 1325 هـ، طبعت في أوائل "السر الحقي الامتناني"، في شرح ود المترجم.
- حزب البسط، ط حج، فاس، 1313 هـ.
- الحكم الإلهية والمحمدية، ط حج، طبعت بفاس سنة 1323 هـ.
- الورد الكتاني، مطبوعات مشيخة الطريقة الكتانية، بسلا 1404 هـ / 1954 م.
- الوصايا الكتانية، تحقيق حمزة بن علي الكتاني.
- المولد النبوي، مطبوعات مشيخة الطريقة الكتانية بسلا 1402هـ.
- مزج الصلاة الانموذجية، طبعة حجرية، فاس (د.ت).
- الديوانة في وقت ثبوت الفتح للذات المحمدية، طبعت بدار الكتب العلمية بلبنان، تحقيق اسماعيل الموسوي.
- لقطة عجلان، شرح الصلاة الأنموذجية، طبعت بفاس سنة 1314هـ.

المخطوطات:

- البحر المسحور، مخ، ضمن، مجموع، خ ع، بالرباط 2804.
- حديقة الجنان، مخطوط، ضمن مجموع، خ.ع بالرباط، رقم: ك 2405.
- الحزب السيغي، مخ ضمن، خ ع، بالرباط، ك 2808 ود 6151.
- الديوانة، مخ، ضمن مخ، خ.ع بالرباط، تحت رقم: ك 2804، ود 1736، ومخ ضمن مجموع، خ.ح، بالرباط رقم 10327، وبخزانات أخرى خاصة.
- سلم الارتقاء، مخ، ضمن مج، خ.ع، الرباط، تحت رقم: ك 2804.
- الاستباقات إلى حضور صلة الحق سبحانه للموجودات، مخ ضمن مج، خ ع بالرباط، رقم: ط 10327.
- شرح الصلاة الأنموذجية المسمى "روح القدس"، مخ ضمن مج، خ.ع، بالرباط، رقم: ط 2732.
- شروط الورد، مخ، ضمن، مج، خ.ع، بالرباط، رقم: ك 2804.
- كتاب في التصوف، مخ، خ.ع، بالرباط، ك، ك: 3213.
- الياقوت والمرجان في العلم المحمدي، مخ، ضمن مج، خ.ع بالرباط، رقم: ك 2804.
- البيان المسدد لمن أنكر التعبير بأحمد بدل محمد، مخ، بخزانة الشيخ محمد الباقر الكتاني بسلا.
- القول الشافي والبيان الكافي في أن فاعل القبض في الفريضة غير جافي توجد نسخة منه بخط المؤلف، في خزانة الشيخ محمد الباقر الكتاني.
- مجموعة الرسائل الى الافاق، توجد مجموعة منها بخط الفقيه العارف، سيدي مصطفى الزاودي، في أحد عشر مجلدا، بخزانة الاستاذ زين العابدين الكتاني.

- النهر المزبد، في شرح خطبة "ميارة" على المرشد، توجد منه عدة نسخ، بخزانة الدكتور علي بن المنتصر الكتاني.
- الولاية الذاتية، توجد منه عدة نسخ بخزانة الدكتور علي بن المنتصر الكتاني.
- رسالة في ضبط الحدود بين المغرب والجزائر.
- مجموعة الرسائل الآفاق، توجد مجموعة منها بخط الفقيه مصطفى الزاودي، في أحد عشر مجلدا، بخزانة الأستاذ زين العابدين الكتاني.
- كشف اللثام في سر الصيام، توجد نسخة بخزانة الشيخ محمد الباقير الكتاني.
- بيان الأفات في حكم تضييع الأوقات، باللعبات المسماة بالكارطة والضامة، وما شاكلها مما ينطبق عليه اسم الميسر، مخطوط في خزانة حفدة المؤلف.
- تأليف رفع اليدين في الصلاة، توجد نسخة مصورة بخط يد الشيخ محمد الكتاني في الخزانة العامة.
- الرسالة الملاخية، مخطوط في خزانة حفدة المؤلف.
- الطلاسم في الكمالات المحمدية، مخطوط عند حفدة المؤلف.
- اللمحات القدسية في متعلقات الروح بالكلية. مخ.
- إزاحة الأتراح، عما يختلج وهم المبسمل جهرا من إيهام خلاف النجاح من الآي القرآنية والأحاديث الصحاح"، مخطوط في خزانة حفدة المؤلف.
- الجوابات العظيمة عما أشكل في القرآن في حق المقام المحمدي.
- التيسير والظفر في التفضيل بين الملك والبشر، توجد نسخة منه بخزانة محمد الباقر الكتاني.

أراء العلماء في الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني

كتب العديد من العلماء ونوهوا بمكانة وأهمية الزاوية الكتانية وشيخها محمد الكتاني، ومن أهمهم الشيخ ماء العينين الذي كتب كتابا في الثناء عليها وعلى صاحبها، والمؤرخ الحسن بوعشرين الخزرجي المكناسي ثم المراكشي في كتابه " التنبيه المغرب عما عليه الآن حال المغرب" بقوله: "لهم تلك التصلية، فإن طائفتهم لا بأس بها، وشيخهم هذا له تآليف عديدة كثيرة وهو حافظ منور مفتوح عليه بلا شك، مع اقتبال سنه، وفتوة عمره، تعرفه بالاسم والعين وهو شريف كتاني ووالده سيدي عبد الكبير بن محمد لا زال في قيد الحياة بفاس، وهو من الخيرة والتودد للناس بمكان، وعليه رونق وطلاقة، ولهم تلامذة كثيرون بفاس وغره"[311].

[311]– بوعشرين الحسن الخزرجي المكناسي، "التنبيه المغرب عما عليه الآن حال المغرب"، تقديم وتصحيح العلامة الفقيه محمد المنوني، نشر الرباط، ص: 158-159.

قال عنه الشيخ النبهاني في "جامع كرامات الأولياء"[312]، "أبو الفيض الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني الفاسي، السيد الشريف، العلامة الإمام الولي الكبير، أحد أفراد العصر ونوابغ الدهر. وقد بلغني من الثقات الصادقين أنه من أولياء الزمان، وأوعية العلم والعرفان، وأن له كرامات وخوارق عادات، أعظمها: اجتماعه بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة، وظاهر حاله يدل على صدقه في ذلك، فإنه بعد أن أدعى هذه الدعوى الصادقة تفجرت من صدره ينابيع العلوم الشرعية والمعارف الإلاهية، فقررها في الدوس في الملأ العام، وأطاب بها النفوس بحضرة العلماء الأعلام، فسلم له صحة دعواه الولاية الكبرى الخاص والعام، سوى من غلب عليهم الحسد لعدم بلوغهم هذا المقام، ومن دأبهم الاعتراض على أولياء الله الكرام، وأنا أصدقه وأومن بولايته، وأسأل الله تعالى ألا يحرمني من بركاته...".

أما عبد الحفيظ الفاسي الفهري فقال عنه في "معجم الشيوخ"، "صدر من صدور عصره، عالم متبحر، حافظ من حفاظ الحديث، بصير بمعانيه وفقهه، متمكن في علم التفسير والأصلين والكلام متبحر في التصوف، غواص على دقائقه ... مثابر على نشر العلم ذؤوب على تقريره وتدريسه، لا يخلوا وقت من أوقاته من الخوض في مسائله، حر الفكر والضمير، يجاهر بأفكاره ومبادئه في مؤلفاته ودروسه مقتدر على إقامة الحجة وإقناع الخصم والاستيلاء على أفكاره، بما أوتي من قوة العارضة، والقدرة على البيان، والبراعة في الاستدلال، وفصاحة اللسان، وثبات الجنان، لم يبلغ أحد من أهل عصره، بعد الشيخ ماء العينين، مبلغه في إقبال الخلق وبعد الصيت وشهرة الذكر في المشرق والمغرب"[313].

بينما قال عنه محمد بن عبد الكريم الخطابي: "اقترن استشهاد هذا العالم الجليل باستشهاد أمة كاملة، هي: أمة المغرب، كما هو معلوم عند كل أحد من المغاربة المعاصرين مثلي للشيخ الشهيد وللقضية بأكملها ... ليس من الغريب في حق مثل هذا الشيخ الشهيد، بأن يقف مثل هذا الموقف من الفرنسيين ومن السلطان عبد الحفيظ، من العلماء الذين كانوا يقفون في وجهه ويعاكسونه في دعواه للكفاح على الرغم من الخطر الذي كان يهدد بلادهم ... أما موقف شيخنا الشهيد الكتاني، فكان هو القيام بالواجب وتأييد المكافحين والمناضلين، فلو توقف السلطان عبد الحفيظ، ولو اهتدى علماء المغرب الذين كانوا يخاصمون الشيخ ويخالفونه، لو كان هؤلاء اهتدوا لما كان يدعوا إليه الشيخ، لكانت الأمة المغربية كلها من ورائهم بلا شك ولا جدال."[314]

أما شهادة الفقيه محمد الحجوي فجاءت في مؤلفه "الحق المبين والخبر اليقين بما في قراطيس حجة المنذرين بما يخالف الدين"، أن الشيخ لم يكن يطلب الملك، وإنما هي تهمة ملفقة، وهناك شهادة دونها الكاتب الانجليزي walter B. Harris- le maroc au temps des sultans، جاء في (ص: 289) والتي تحدث فيها

[312]- النبهاني يوسف بن اسماعيل، جامع كرامات الأولياء، مركز أهل سنة بركات رضا فوربندرغجرات (الهند)، ط 2001، ج 1، ص: 377.

[313]- الفاسي عبد الحفيظ الفهري، معجم الشيوخ، المطبعة الجديدة بفاس، ج 1، ص: 45.

[314]- أنظر تقديم محمد بن عبد الكريم الخطابي في كتاب ترجمة الشيخ، م س، ص: 52-53.

كشاهد في حادثة ارجاع محمد بن عبد الكبير الكتاني إلى فاس، وعاين فيها بنفسه ظروف اعتقاله ومن معه من أهله واتباعه من الزاوية الكتانية ومأساة اعتقاله واغتياله، ويؤكد أن أطروحة طلبه للعرش، مجرد ذريعة لقتله، ويحكي تاريخ استشهاد محمد بن عبد الكبير الكتاني في 20 مايو 1909 هـ (13 ربيع الثاني 1387 هـ)[315].

قال عنه مفتي الشافعية بمكة أبو علي حسين بن محمد الحبشي اليمني الباعلوى في آخر إجازته لنجله الشيخ محمد المهدي الكتاني "أنه من ذوي العلوم الواسعة والحقائق الجامعة، الذين علت همتهم، وتسامت في العلوم الظاهرة والباطنة رتبتهم، الواصل الموصل إلى طريق الحق والصدق واليقين، البدر السامي المقدار الظاهر كالشمس في رابعة النهار، العارف بربه، المستغرق فيه بقلبه، من ارجو باتصالي به الخير، وزيادة النور والبركة ودفع الضمير سيدي محمد..."[316].

أما أبو شعيب الدكالي فقال عنه: " الشريف الأصل، العالم الأمثل، الحافظ اللافظ، الذي كرع من بحري الشريعة والحقيقة حتى ارتوى، سيدي ومولاي عبد الكبير الكتاني الحسني، رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم آمين"[317].

محمد المنوني اعتبره داعية للسلفية الأولى في المغرب، ومصلحا اسلاميا بالمغرب وعلى مستوى العالم الاسلامي[318]. بينما عبد الله العروي، تحدث عن مبادراته الإصلاحية وعن دوره في البيعة الحفيظية، وأثنى على مواقفه المتجلية في تشجيع مريديه من قبائل زمور وزيان، على محاربة الاستعمار رغم مناوئة بعض شيوخ الطرق له، وبذلك كان الوحيد من بين معاصريه –يقول العروي– الذي وحد بين المعارضين بالبادية والمدينة، وهذا هو السبب في الانتشار السريع لطريقته[319].

تحدث عنه كذلك أبي العباس أحمد بن الطيب الجاوزي القاسمي في "الغنيمة الفريدة، ذات البها والحلل الجديدة"[320]. وأبي عبد الله محمد بن أحمد ابن الحاج السلمي المرداسي في طبقات الكتانيين طريقة: قسم أعيان

315– أوردها الوالي محمد العلمي، خطاب الإصلاح الديني السياسي الصحفي للزاوية الكتانية، مجلة منتدى الحوار، م س، ص: 17.

316– الذب عن التصوف، م س، ص: 22–23.

317– أورده الكتاني محمد الباقر في "ترجمة الشهيد"، ص: 244.

318– المنوني محمد، مظاهر يقظة المغرب الحديث ج 2 / ص: 375، الباب: 5و 7 و8.

319– أنظر العروي عبد الله في كتابه:

– Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain 1830-1912. P 388.

320– ترجم المؤلف في أرجوزته " الألفية" للشيخ محمد الكتاني، واستهلها بذكر زمرة من عيون الشعبة الكتانية، ليعقب بنسب المترجم وسيرته وطريقته، ومؤلفاته، وأوضاعه الصوفية، والأرجوزة تقع في 42 ورقة من حجم متوسط بخط ناظمها، وهي مخطوطة توجد نسخة منها عند حفدة المؤلف، أنظر المصادر العربية لتاريخ المغرب 108/2، ودليل مؤرخ المغرب الاقصى: 294، وقد خرجها وحققها أخيرا حمزة بن علي الكتاني.

المريدين بفاس للمؤلف[321]. وأبي عبد الله محمد بن محمد بن المعطي العمراني في روضة الجنان، ومسامرة أهل الإيمان، فيما لشيخنا الإمام أبي الفيض من الخصوصية وكمال العرفان[322].

شهادة العلماء والوطنين في حقه تبين مدى تفاني الشيخ في حبه لوطنه، ومنافحته عن استقلاله وتماسكه، الشيء الذي جعله يدفع حياته ثمنا لهذا الإخلاص والوفاء.

لائحة المصادر والمراجع

- اتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، ابن زيدان، مطابع اديال، الدار البيضاء، ط 2، 1990.
- اتحاف المطالع، عبد السلام بن سودة، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1419 هـ 1979 م.
- أحكام أهل الذمة، محمد بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق حمزة بن علي الكتاني، طبعة دار البيارق.
- أحكام أهل السنة، حمزة بن علي الكتاني، طبعة دار البيارق.
- الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، أحمد بن خالد الناصري، طبعة الدار البيضاء، دار الكتاب 1418 هـ / 1997 م.
- الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر الهجرية، زكي مجاهد، دار الغرب الاسلامي، ط2، 1994.
- الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، عباس بن ابراهيم، تحقيق عند الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط 1980.
- الإعلام للزركلي، دار العلم الملايين، ط 7، 1986.
- بيان الآفات في حكم اللعبات المسماة بالكرطة والضامة، مخطوط في خزانة حفدة المؤلف.
- ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد المسماة: أشرف الأماني بترجمة الشيخ سيدي محمد الكتاني، أبي الهدى محمد الباقر الكتاني، تقديم محمد بن عبد الكريم الخطابي، تحقيق نور الهدى عبد الرحمان الكتاني، ط 1، 1426 هـ / 2005 م، دار ابن حرم للطباعة بيروت، لبنان.
- التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب، الحسن بوعشرين الخزرجي المكناسي، تقديم وتصحيح العلامة الفقهية محمد المنوني، نشر بالرباط.
- جامع كرامات الأولياء، النبهاني يوسف بن إسماعيل، تحقيق ومراجعة إبراهيم عطوة عوض، ط 1، 2001 مركز أهل سنت بركات رضا فوربندر غجرات (الهند).

[321]– للعلامة ابن الحاج تأليف في مجلدين، خصص الجزء الاول منه لترجمة الشيخ محمد الكتاني، والجزء الثاني منه في شرح الورد الكتاني (طبقات الكتانيين، طريقة: قسم أعيان المريدين بفاس للمؤلف مسودة المخطوط).

[322]– هذا المؤلف للعمراني عبارة عن ترجمة للشيخ محمد الكتاني، توفي صاحبها دون إكمالها وهي مخطوطة في خ. ع،تحت رقم: ك 1012 ضمن مجموع من ص: 282 إلى 308، أنظر المصادر العربية لتاريخ المغرب للمنوني 109/2.

- جريدة السعادة، مجموعة من الأعداد.
- الحق المبين، محمد بن الحسن الحجوي، طبعة تونس 1339 هـ.
- حقيقة التصوف وأهدافه عند الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني الشهيد، مجلة أنوار التصوف المغربية، عدد 12014، الرباط، المغرب.
- خبيئة الكون: شرح الصلاة الأنموذجية في المعارف الإلهية والأحمدية، أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني الحسني، تحقيق: الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- خطاب الإصلاح الديني السياسي الصحفي للزاوية الكتانية، محمد العلمي الوالي، مجلة منتدى الحوار، عدد 28 فبراير 2006.
- دليل مؤرخ المغرب الأقصى، عبد السلام ابن سودة، دار الفكر 1997.
- الزاوية الكتانية والمجتمع والمخزن 1855 – 1912، عبد الاله جريد، رسالة مرقونة جامعة محمد بن عبد الله فاس 1997 – 1998.
- زهر الآس في بيوتات فاس، عبد الكبير بن هاشم الكتاني، تحقيق علي الكتاني، منشورات مطبعة النجاح الجديدة 2002.
- سلوة الانفاس، محمد بن جعفر الكتاني، طبعة حجرية بفاس.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، ط 1، 1424 – 2003.
- الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني الامام المجدد، يوسف الكتاني، مجلة السنة النبوية، عدد 11، طبعة مارس، 2015، دار أبي رقراق للطباعة والنشر.
- الصحافة المغربية نشأتها وتطورها، زين العابدين الكتاني، ج 1، مطابع فضالة المحمدية.
- غنية الأمجاد في مسائل الجهاد (رسالة)، محمد التهامي بن عبد القادر السوسي المكناسي، مخطوط خ. م. 12313.
- الفرصة الثمينة، محمد بن الحسن الحجوي، مخطوط بالخزانة العامة رقم: 114.
- الفكر الإصلاحي في عهد الحماية، آسية بنعدادة، المركز الثقافي العربي 2003.
- فهرس الفهارس، عبد الحي الكتاني، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الاسلامي، ط 2 1982.
- في الذكرى المائوية لاستشهاد زعيم الحركة الدستورية في المغرب "الإمام محمد بن عبد الكبير الكتاني"، محمد حمزة بن علي الكتاني، مجلة منتدى الحوار، عدد 28 فبراير 2006.
- كمال العرفان (عبارة عن ترجمة للشيخ محمد الكتاني)، ابي عبد الله محمد بن محمد بن المعطي العمراني، مخطوط في الخزانة العامة رقم ك 1012 ضمن مجموع.

- محمد الكادلي، محمد بن عبد الكبير الكتاني الشهادة والشهيد، مجلة منتدى الحوار، عدد 28 فبراير 2006.
- محمد الكتاني الشيخ ذو المحنتين، الطيب بياض، مجلة زمان المغرب كما كان، عدد 15 أبريل – 15 ماي 2014.
- مدرسة الإمام البخاري في المغرب، محمد بن عبد الكبير الكتاني، ج 2، ط 1، دار لسان العرب بيروت.
- المصادر العربية لتاريخ المغرب، محمد المنوني، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر 1983.
- المظاهر السامية في السنة الشريفة الكتانية، عبد الحي الكتاني، مخطوط.
- مظاهر يقظة المغرب الحديث، محمد المنوني، ط 1، 1405 هـ – 1985 هـ، الجزء 2، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر دار الغرب الإسلامية، بيروت لبنان 1971.
- معجم الشيوخ، (أو ما يسمى رياض الجنة)، عبد الحفيظ الفاسي الفهري، المطبعة الجديدة بفاس ج1.
- المعسول، محمد المختار السوسي، مطبعة النجاح، البيضاء 1982.
- من رسائل الإمام محمد بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق حمزة الكتاني وغسان أبو صوفة دار الرازي، الأردن 2002.
- النبذة اليسيرة النافعة، محمد بن جعفر الكتاني، تحقيق محمد الفاتح الكتاني وعصام عرار، طبع بلبنان سنة 1989.
- Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain 1830, abdellah laroui, casablanca centre culturel orale 1993.

قراءة تحليلية في خطاب تنصيب دونالد ترامب رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية

An analytical reading in Donald Trump's inauguration speech

as president of the United States of America

الأستاذ الدكتورأسامة محمد أبو نحل

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

جامعة الأزهر – غزة

الملخص

يتباين فن الإلقاء الخطابي من متحدّثٍ لآخر، فهذا الفن يُعتبر مَلَكَةً لُغويةً حابى الله بها بعض المتحدّثين دون غيرهم، وهذا ما لاحظناه من تمتّع الزعيمين الألماني "أدولف هتلر"، والمصري "جمال عبد الناصر" من قدرةٍ فائقةٍ على إقناع مستمعيهم بما يريدان توصيله لهم من رسائلٍ وطنيةٍ.

وفي هذا السياق يأتي خطاب الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب" في حفل تنصيبه رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية، حيث أجاد كثيراً ولم يحالفه الصواب أحياناً في تكراره لبعض المفردات والضمائر وتراكيب الجمل بأسلوبٍ عاطفيٍّ انفعالي.

كما أنه استخدم جملاً عاطفيةً ذات بُعدٍ اجتماعيٍّ خطير للغاية لم يسبقه فيها أيُّ رئيسٍ أمريكي، وكأنه يقود ثورةً تصحيحيةً في السياسة الأمريكية بعد "مارتن لوثر كنج" الذي قاد ثورة ضد التمييز العنصري ضد الزنوج في الولايات المتحدة عام 1964.

Abstract

The art of rhetoric varies from one speaker to another. This art is considered a linguistic ability by which some speakers exclusively favored it. This is what we have observed from the German leaders Adolf Hitler and Egyptian Jamal Abdul Nasser, who have a great ability to convince their listeners of national messages.

In this context comes the speech of the US President, "Donald Trump" in his inauguration as President of the United States of America, where he is very good and sometimes unsuccessful in repeating some vocabulary, pronouns and sentence structures in an emotional style.

He also used emotional sentences with a very serious social dimension that no American president had ever preceded, as if he were leading a corrective revolution in American politics after Martin Luther King, who led a revolt against racial discrimination against Negroes in the United States in 1964.

المقدمة

إنَّ فنَ إلقاء الخُطبُ السياسيةُ بالنسبة لرؤساء وزعماء الدول المختلفة يتباين من زعيمٍ لآخر، فهذا الفن يُعتبر ملكةً لُغويةً حابى الله بها بعض الزعماء دون غيرهم. فنجد على سبيل المثال زعماء مثل: المستشار الألماني "أدولف هتلر A. Hitler"، والزعيم المصري الرئيس "جمال عبد الناصر" قد تميّزا بقدرةٍ فائقةٍ على إقناع شعوبهم إمّا بصواب مواقفهم السياسية، أو بعدالة قضاياهم الوطنية. ولا غرابةَ في ذلك فالخطاب السياسي يُعتبر من أهم مقوّمات الزعامة. ومع ذلك نجح "هتلر" في جَمْعِ شمل الشعب الألماني كافة حوله، مع إن خُطبه كان فيها نوعٌ من الغرور والاستعلاء تجاه شعبه. وكذلك الأمر نجح الرئيس عبد الناصر في أن يُلهب الشعب المصري بخطبه النارية، فالتفوا حوله على اختلاف مشاربهم الدينية.

وخلال هذه الدراسة سنتناول بالتحليل خطاب الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب D. Trump" الذي ألقاه خلال حفل تنصيبه رئيسًا للولايات المتحدة في 20 كانون الثاني (يناير) 2017.

وسوف نحلّل الأسلوب اللُغوي، واللغةُ الجسديةُ التي استخدمها، وأهم المفردات والضمائر وتراكيب الجمل التي استخدمها وبيان مدلولاتُها، ومدى القوة فيها وعناصر الضعف التي لا تليق بخطاب رئيسٍ لأكبرِ دولةٍ في العا لم، كما سنحلّل أهم الجمل التي توقّف عندها.

أهمية الدراســة:تنبعُ أهمية الدراســة من أهمية خطاب الرئيس "ترامب" على الســاحة المحلية الأمريكية، في محاولته إقناع مســتمعيه وذلك بإيراده لبعض المفردات والضــمائر وتراكيب الجمل المكررة، اعتقادًا منه بأن هذا التكرار قد يبدو مفيدًا لجذب المســتمعين له. وكذلك الأمر فإننا نأمل بأن تقدّم هذه الدراســة جديدًا للمكتبات، وللمهتمّين بفن الخطاب السياسي.

وعليه: فالدراسة التي بين أيدينا سوف تخدم المهتمّين في الشأن الأمريكي، وتحديدًا في مسألة مهمة للباحثين تتعلّق بتحليل خُطب الزعماء الدوليين، كما ستخدم الباحثين في حقلي (العلوم السياسية، والعلاقات الدولية) في القيام بإجراء دراساتٍ مستقبليةٍ تخصُّ هذه المسألة المهمّة.

مشكلة الدراسة:

حسب علمنُا لا توجد دراساتٌ أكاديميةٌ تناولت موضوع تحليل خطاب الرئيس الأمريكي "ترامب" عند توليه الحكم في البيت الأبيض، وإن كان ثمة مقالات نُشرت عبر المواقع الإلكترونية؛ لذلك ارتأينا أنْ نتناول هذا الموضوع بالشرح والتحليل.

وتتمحور مشكلة الدراسة حول سؤالٍ رئيس مفاده: **ما القيمة التحليلية لخطاب تنصيب "دونالد ترامب" كرئيسٍ للولايات المتحدة؟**

أهداف الدراسة:

سوف تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1- تعريف الخطاب السياسي.
2- تحليل ومناقشة خطاب الرئيس "ترامب" من حيث الأسلوب اللُغوي واللُغة الجسدية، والتكرار في استخدام بعض المفردات والضمائر وتراكيب الجمل.
3- تحليل بعض الجمل الواردة في الخطاب.

مناهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على منهجين رئيسيين، هما: **المنهج الوصفي التحليلي**، وذلك لتفسير وتحليل خطاب الرئيس "ترامب" عند تنصيبه رئيسًا للولايات المتحدة، وبيان أهميته وقيمته العلمية. **ومنهج تحليل الخطاب، أو دراسات الخطاب**، وذلك من خلال قراءة ودراسة خطاب الرئيس "ترامب"، ونقله من المجهول إلى المعلوم، إذ سيتم فحص المفردات والضمائر والجمل التي تمَّ الحصول عليها من الخطاب المذكور عن كثبٍ، وذلك لمراقبة استخدام المصطلحات الانفعالية والعاطفية في خطابه، والتكرار العاطفي لبعض المفردات والضمائر وتراكيب الجمل، مع بيان كيف يمكن أن يكون لهذا الاستخدام من تأثيرٍ معينٍ على الجمهور المتلّقي.

أولاً: تعريف الخطاب السياسي :منذ قِدم الإنسان وبعد أن باتت اللغة منطوقة وليست تصويرية، اهتم الإنسانُ بالبلاغةِ التي تُعتبر جزءاً لا يتجزّأ من حديثِه العاديّ، أو أثناء إلقاءه خُطبةً مهمةً في جموعٍ من الجماهير. ولقد حابى

الله بعض البشر ومنهم بعض الزعماء دون غيرهم بتلك الملكة اللُغوية، فنجد بعض هؤلاء الزعماء بِما لديهم من بلاغةٍ لغويةٍ قد أسروا ألباب مستمعيهم، بينما على النقيض نجد زعماءَ دول أخرى لا يملكون الحد الأدنى من المقوّمات اللُغوية التي تؤهلّهم لجذب آذان شعوبهم، والأمثلة على ذلك كثيرة، لكننا سنكتفي بذكر مثالين حييّن لزعيمين تمكّنا من جذب آذان شعوبهم وأسر قلوبهم، هما: المستشار الألماني "هتلر"، والرئيس المصري "جمال عبد الناصر".

وإجمالاً، تقوم الخطابة في مظهرين غير منفصلين هما: المظهر اللُغوي والمظهر الاجتماعي؛ ولأن الطابع اللُغوي للكائن البشري يرتبط في النهاية وبقوة بخاصيته الاجتماعية، فإن الخطابة تعود من جديد لربط الخُطب بواقعها الاجتماعي، عبر اللغة ووساطتها الإقناعية التي تبحث عن التأييد والإجماع العقلي بدل الإقناع البرهاني السلطوي. ويشكّل هذا الطابع جوهر الخطابة التي تحدّدت معالمها لدى القدماء كفن الحديث إلى الجمهور بطريقةٍ إقناعيةٍ، حيث يتم استخدام اللُغة المنطوقة والخطاب أمام جمهور مجتمعٍ في مكانٍ عام، من أجل الحصول على تأييده لقضيةٍ مطروحةٍ عليه. فهدف فن الخطابة هو طلب تأييد العقول، غير أن هذا الطلب من خلال الخطابة بدأ لدى السفسطائيين، باضطّراب الخطاب وانحرافه عبر توجيهٍ مغلوطٍ للحوارات الجدلية، وهذا يمثّل في الحقيقة بدايات الكشف عن الإمكانات المتاحة داخل نسيج اللغة وحركة الخطاب[323].

ولما كان الجمهور هو الفئة المستهدفة من الخطاب السياسي، فبالإمكان تعريف مصطلح الجمهور كالتالي:

الجمهور لغةً: جمهور كلَّ شيءٍ معظمه، وجمهور الناس: جلّهم، وجماهير القوم: أشرافهم، وجمهرت القوم إذا جمعتهم، وجمهرت الشيء إذا جمعته[324].

واصطلاحاً: ظهر مصطلح الجمهور لأول مرةٍ في اللغة الإنجليزية، ويشير استخدامه إلى تجمعٍ ماديٍّ يوجد في مكانٍ محدّد، ومرتبط بالمستمعين الذين يشهدون حدثاً أو مناسبةً خطابيةً في سياقات تواصل وجهاً لوجه[325].

والخطابُ السياسي يُعتبر وسيلةً مهمّةً لمواصلة السيطرة على السلطة وتملُّكها في الصراع السياسي؛ فهو خطابٌ مرتبطٌ بالسلطة على الدوام تلجأ إليه القوى السياسية للوصولِ إلى مراكز القرار. وليحقّق غايتَه يجب أن يكون الخطاب السياسي إقناعيّاً بامتياز؛ ليوصل المخاطب إلى برِ القبول والتسليم بالصدقية، والإيمان بالشرعية، فتتعاون الوسائل اللُغوية والمنطقية جنباً إلى جنب مع مكوّناتٍ تعبيريةٍ أخرى كالصورة والموسيقى ولغة الجسد[326].

323– عمارة ناصر، **الفلسفة والبلاغة**، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2009، ص19–20.

324– ابن منظور، **لسان العرب**، مج 4، دار صادر، بيروت، د.ت، ص149.

325– توماس أ. سلوان، **موسوعة البلاغة**، ترجمة: عماد عبد اللطيف؛ مصطفى لبيب، ط1، ج1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016، ص216.

326– هديل شقير، "**درس في الخطاب السياسي**"، مدونات الجزيرة، 2016/8/20؛

وهناك العديد من الخصائص التي يتحلّى بها الخطاب السياسي، وهي أن يقوم على المدح والثناء على سياسيةٍ معينةٍ ومتبعةٍ في المجتمع، أو المعارضة والاحتجاج والانتقاد لهذه السياسة، والدفاع عن البرامج والاختبارات ذات الطابع السياسي التي يتمُ وضعها من قِبَلِ جهةٍ معينةٍ، أو إيجادِ برامجَ وطرق بديلة عن البرامج الموجودة والمتّبعة. وقد يكون هدفه بث التفاؤل والأمل بالمستقبل، أو أن يعمل على إيجادِ رؤيةٍ سياسيةٍ مختلفةٍ برؤية الخطاب من قِبَلِ الأغلبية. وأن تتصف بنيته بالتماسك والترابط والتي تستند على أيديولوجيا محدّدة، واللُغة المتّبعة به لغةٌ مائلةٌ إلى صيغة الأمر. واعتماده بشكلٍ أساسيٍّ على البلاغة؛ لأنّ الهدف الأساسي منه التأثير العاطفي على المستمعين، ويتّصف بطوله وبتكراره للعديد من الكلمات والجمل، من أجل وصول الفكرة التي يهدف إلى إيصالها للجمهور[327].

ويمكن كذلك تعريف الخطاب السياسي بأنه شكلٌ معقّد من النشاط الاجتماعي، حيث يتفاعل المتحدّث في الغالب مع الجمهور، ويحاول أن يُصبح أقرب إليهم بصرف النظر عن فئاتهم الاجتماعية المختلفة، والخلفيات الثقافية، والأعراق، والأجناس، والأديان ... الخ. وبالتالي: لا يُتوقّع من السياسي فقط أن يلقي خطاباً يُجيبُ على الأسئلة التي يوجّهها الناس، ويتعهّدُ بوعودٍ تلبّي احتياجاتهم، ولكن من المتوقّع أن يتفاعل مع الأشخاص أيضاً. ومع ذلك فإن كل سياسي لديه طريقته الخاصة في التفاعل مع الناس وقد يقتصر هذا التفاعل على فئاتٍ اجتماعيةٍ معينة، أو مجموعاتٍ معينةٍ في المجتمع[328].

ويمكن تعريف الخطاب السياسي بمعناه الواسع كلغةٍ من وسائل الإعلام، أو غيرها من المؤسّسات التي تُستخدم عادة في مجالات التواصل الاجتماعي والسياسي. ويجب أن نعطي الأفضلية للتفسير الضيّق للخطاب السياسي، والذي يُعرّف على أنه نوعٌ مقيّدٌ سياسياً له قاموساً خاصاً به ووظائف محدّدة. والخطاب السياسي هو خطاب سياسي، وإذا نظرنا إليه في الإطار المهني يمكن اعتباره شكلًا مؤسّسيًا للخطاب. وهذا يعني أنه لا يمكن اعتبار هذه الخُطب، هي السياسة فقط التي تحدث في مثل هذه الحالات المؤسّسية، حيث يعبّر المتحدّث عن رأيه كسياسيٍّ مثل: الجلسات الحكومية، والمناقشات البرلمانية، والحملات الانتخابية، والمناقشات السياسية ... الخ[329].

ولقد كشفت المراجعة النقدية للأبحاث الخاصة المكرّسة لدراسة الخطاب السياسي، أنه يمكن تحليلها من أربع وجهات نظر على الأقل[330]:

327– شيرين طقاطقة، "**الخطاب السياسي**"، موقع موضوع، 2019/1/19؛
https://mawdoo3.com/تعريف_الخطاب_السياسي
https://blogs.aljazeera.net/blogs/2016/8/20/درس-في-الخطاب-السياسي

328- Chilton (Paul), & Schaffner (Christina), Discourse and Politics. In Tuen Van Dijk (Ed.), Discourse Studies: A Multidisciplinary Introduction: Vol. 2. Discourse as Social Interaction, Sage, London, 1997, p. 207.

329- Kirvalidze (Nino) & Samnidze (Nino), "Political Discourse as A Subject of Interdisciplinary Studies", Journal of Teaching and Education, 05 (01), 2016, p. 164.

330- op.cit. p. 161-162.

1. من وجهة النظر السياسية التي تستند إلى استنتاجاتٍ ذات طابعٍ سياسيٍّ.
2. من وجهة النظر اللُغوية المناسبة عندما يحلل الباحث الجانب النصّي للخطاب السياسي، معتبرًا إياه بمثابة علامة شفهية لفظية كبرى في سياقه الاجتماعي والثقافي والسياسي، والكلمات الدالة أو الأساسية.
3. من وجهة النظر النفسية التي تهدف إلى كشف وتحديد تلك الاستراتيجيات التي يستخدمها سياسي خفي أو علني في خطابه، لاكتساب النفوذ السياسي على المستمع إليه.
4. من وجهة النظر الفردية التأويلية التي يتم خلالها الكشف عن المواقف الشخصية للمتكلّم تجاه الوضع السياسي المستهدف.

وبِما أن موضوع دراستنا سيكون عن خطاب الرئيس "ترامب" خلال حفل تنصيبه رئيساً للولايات المتحدة، فإننا سنلقي الضوء باختصار عن فن الخطابة لاثنين من زعماء القرن العشرين لنتبيّن من خلالهما مقدرتهما الخطابية، وهما المستشار الألماني "هتلر"، والرئيس المصري "جمال عبد الناصر".

عرف "هتلر" كيف يستخدم موهبة الخطابة لاستمالة الشعب الألماني بأكمله، وجعله يسير وراءه. فقد كان واحداً من أكثر الخطباء تأثيراً في الجموع، وألقى خلال فترة حياته السياسية أكثر من خمسة آلاف خُطبة مكّنته من السيطرة على آلاف الأشخاص، لذلك فإن نجاحه الخطابي جاء بفضل سحر شخصيته. فقد كان يعرف كيف يستخدم فن الخطابة وسحرها للسيطرة على الآخرين، وسرعان ما تحوّل هؤلاء إلى أشخاصٍ متيّمين به، وراغبين في السير وراءه، لاعتقادهم أنه كان يملك الأجوبة الصحيحة واللازمة في فترة أزمةٍ اقتصاديةٍ ضخمة. وكان "هتلر" معروفاً بأنه يكتب خُطبه بنفسه، ثمَّ يصحّحها ويعيد كتابتها خمس مرات أحياناً. والشيء المذهل هو أن المرء كان يشعر أن جسم "هتلر" يكاد يخرج له من المذياع، فيكاد المرء يشعر أنه قادر على متابعة حركات جسمه المرافقة لكلماته. كما تمكّن من صناعة نوع من السلطة الخطابية باللغة الألمانية، وهي تجمع بين مفاهيمٍ مجرّدة جداً، والسياسة، والعنف الجسدي بطريقةٍ غير مألوفة تماماً[331].

وعن محاولته إقناع مستمعيه يقول في كتابه (كفاحي): "كانت مهمّتنا صعبة جداً فقد كنّا نعلم أننا نتوجّه إلى أناسٍ تشبّعت عقولهم بأفكارٍ وآراءٍ مناقضةٍ لآرائنا. وكان عليَّ أن أقف أمام الجماهير وأُلقي بهم خطاباً لمدة ساعة أو ساعتين، محاولاً نسف الأسس التي قامت عليها أفكارهم، ومن ثمَّ أحاول إقناعهم بصحة مبادئنا وأدعوهم إلى اعتناقها"[332].

---

[331]– "**هتلر استغل فن الخطابة للتأثير على مريديه**"، موقع إيلاف، 2015/10/26؛ https://elaph.com/Web/News/2015/10/1050518.html

[332]– أدولف هتلر، **كفاحي**، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت، د. ت، ص161.

ومن أشهر أقواله في إحدى خُطبه حيث وجّه كلامه إلى الشعب الألماني وسط هتافاتٍ مدوّية: "يجب أن تتحضّروا وأن تطيعوا، وعليكم أن تحقّقوا ذلك الهدف. نريد أن يكون الناس مسالمين وشجعان، ولكي تكونوا شجعان يجب أن تكونوا مسالمين"[333]. وكذلك قوله في خطابٍ آخر: "عاش النظام العظيم: الآن بدأ الوقت العظيم فقط وقد استيقظت ألمانيا؛ ولأننا فزنا وصرنا على رأس السلطة في ألمانيا، الآن يجب أن نكسب الشعب الألماني، وأنا أعرفهم رفاقي إنهم يواجهون صعوباتٍ في بعض الأحيان. عندما كنت أنت طوال عمرك ترغب في التغيير الذي أتى الآن، لذلك مراراً وتكراراً فإن النداء قادم لمواصلة الكفاح. يجب ألّا تتصرّف نفسك، يجب عليك الطاعة، كما يجب أن تعطي، وعليك تقديم هذه الحاجة العارمة للطاعة"[334].

أمّا الرئيس المصري "عبد الناصر" فقد استطاع أن يجذب آذان مستمعيه، ويُلهب أفئدتهم، ومن الأمثلة على ذلك كلمته فى أكثر من عشرين ألفٍ من الفلّاحين فى الاحتفال بإعلان دستور الشعب فى القاهرة في 17 كانون الثاني (يناير) 1956، إذ قال: "أيها المواطنون: يحق لكم أن تشعروا بالسعادة، وأن تشعروا بالعزّة، وأن تشعروا بالكرامة بعد انتصاركم فى كفاحكم الطويل من أجل الحصول على حقّكم فى الحياة. يحق لكم اليوم أن تشعروا بالسعادة بعد أن استعدتم حقّكم فى الحياة الحرة الكريمة، هذا الحق الذي جاهدتم من أجله طويلاً، هذا الحق الذي جاهد آباؤكم وأجدادكم من أجله آلاف السنين"[335]. وفي خطابٍ آخر وجّهه للشعب المصري قال فيه بلغةٍ صارمة: "إننا اتجهنا قُدمًا نحو الأمام لنبني مصر بناءً قوياً متيناً، نتجه إلى الأمام نحو استقلالٍ سياسي، واستقلالٍ اقتصادي. نتجه إلى الأمام نحو اقتصادٍ قوميٍّ من أجل مجموع هذا الشعب، إننا سنحافظ على هذه الحقوق لأننا نعوّض ما فات، إننا عندما نبني اليوم صرح العزّة والكرامة نشعر أن هذا الصرح لا يمكن أن يُبنى أو يكتمل اكتمالاً، إلاّ إذا قضينا على صروح الاستبداد والذِلة والمسكنة"[336].

ممّا سبق بيانه، يتضح لنا أن خُطب الزعيمين "هتلر" وعبد الناصر كانت قوية، تمكّنا من خلالها من جمع شعوبهم حولهما، وشحذ هممها تجاه القضايا التي واجهتها. وإن كانت خُطب "هتلر" فيها نوعٌ من الغرور والاستعلاء على شعبه، لكنه تمكّن بقوة شخصيته وشكيمته من جذب الألمان نحو الالتفاف حوله. أمّا الرئيس عبد الناصر فقد لعب خلال خُطبه على عاملين مهمين هما: استحضار الوطنية المصرية، والقومية العربية، ممّا دعا الجماهير للالتفاف حوله. وما يميّز خُطب هذان الزعيمان أنهما اجتمعا معاً في مسالكٍ مشتركة، مثل: قدرتهما في فن الخطابة والإلقاء، وإجادتهما استخدام التعبيرات اللغوية القوية، واشتراكهما في استخدام لغة الجسد التي كانت تساعدهما في إيصال

333 – ""**هتلر استغل فن الخطابة للتأثير على مريديه**"، مرجع سابق.

334 – "**هتلر أشهر خطاب مترجم**"، موقع You Tube؛ https://www.youtube.com/watch?v=J541vA42TbU

335 – "**خطب جمال عبد الناصر**"، موقع جمال عبد الناصر؛ http://www.nasser.org/Speeches/SpeechesAll.aspx?CS=0&lang=ar

336 – "**مقتطفات من خطابات جمال عبد الناصر**"، موقع You Tube؛ https://www.youtube.com/watch?v=D0QIX_IEVaE

ما يريدانه لمستمعيهم بسهولة، وكثرة هتاف الجماهير لهما أثناء إلقائهما لخُطبهما، وهي حالة لا تقتصر على شعبٍ بعينه وإنما موجودة بين شعوب العالم قاطبة عندما يدغدغ زعماؤهم مشاعرهم، وهي حالة لا يتمتّع بها جميع الزعماء، وكذلك تمكّنهما من إلقاء خُطبهما ارتجالاً.

ثانيًا: مناقشة خطاب الرئيس "ترامب"[337]

أ. الأسلوب اللغوي واللغة الجسدية

سبق وأن ذكرنا أن كاريزما الملقي للخطاب تختلف من شخصٍ لآخر، فبعض الزعماء كانت خُطبهم قوية من حيث الأسلوب اللغوي تمكّنوا خلالها من لفت أنظار شعوبهم نحوهم، وشحذ هممها تجاه القضايا التي واجهتها. وذكرنا أن بعض الزعماء كانوا يستخدمون لغة الجسد التي كانت تساعدهم على إيصال ما يريدون قوله لمستمعيهم بسهولة، وأخيرًا تمكّنهم من إلقاء خُطبهم ارتجالاً.

وإذا ما أسقطنا ما سبق ذكره على خطاب تنصيب الرئيس "ترامب"، نجد التالي:

1. أنه من الناحية الخطابية الفنية فأسلوبه اللغوي يُعدُّ متوسّطاً، أي ليس قوياً بما فيه الكفاية وذلك بسبب عدم ممارسته العمل السياسي من قبل؛ بل غلب على خُطبه الجانب الاقتصادي. فمن المعروف أن الرئيس "ترامب" لم يكن عليه إجماعاً وطنياً بعد انتخابه، على الرغم من انتخابه بشكلٍ ديموقراطيٍّ، بدليل أنه بعد تولّيه الحكم اندلعت في الولايات المتحدة احتجاجات عارمة ضدّه.
2. أنه ليس من الزعماء الذين يستخدمون لغة الجسد أثناء إلقائه لخُطبه ومنها خُطبة تنصيبه رئيساً، فالملاحظ أنه يستخدم فقط حركة وجهه دون جسده بالكامل، بعكس ما كان عليه الزعيمان "هتلر" و"عبد الناصر" من استخدامهما أجزاء جسدهما كافة. والملاحظ أن "ترامب" وهو يستخدم حركة وجهه؛ فإن التركيز يكون فقط على عينيه التي يفتحهما بصورةٍ غير كاملة، يُظهر من خلالهما نوعٌ من الغرور والصلف السياسي المبالغ فيه، وكذلك فتح فمه بصورةٍ تثير التهكّم نوعاً ما، وذلك بعكس من سبقه في حكم الولايات المتحدة كالرئيس " بارك أوباما B. Obama" الذي كان –وإن لم يكن يستخدم لغة الجسد– وازناً ورصيناً، ومقنعاً لمستمعيه.
3. أنه لا يستخدم الأوراق المكتوبة لخُطبته وعدم مراجعتها من قِبل مساعديه، بالإضافة إلى أنه كان يتكلّم بأسلوبٍ شعبيٍّ جماهيري أكثر منه إلى الخطاب الرسمي، لا يتناسب وخطاب رئيس أكبر دولةٍ في العالم. فقد كان يتميّز بالارتجال أثناء إلقائه لخطابه وهذا أمرٌ جيد بالنسبة له، خصوصاً وأنه ليس سياسياً في

[337]- see: "Read President Trump’s full, blistering inaugural speech, attacking Washington, promising ‘America first’", CNBS, 20/1/2017; https://www.cnbc.com/2017/01/20/transcript-of-president-trumps-inauguration-speech.html

الأساس وإنما رجل أعمال أتى من عالم الاقتصاد، فخبرته السياسية قبل توليه الحكم كانت شبه منعدمة، مع افتقاره للكاريزما التي كان يتمتّع بها رؤساء الولايات المتحدة السابقين.

ب. التكرار العاطفي لبعض المفردات والضمائر وتراكيب الجمل ومدلولاتها

بدايةً نودّ القول: إن التكرار العاطفي في الخطاب السياسي لبعض الزعماء مرتبطٌ بعواملٍ ثلاثة هي: نية المتحدّث في خطابه، وسياق الاستخدام لكلمات الخطاب، والجمهور الذي سوف يتلقّاه. وبالتالي: فإن هذا التكرار عبارة عن رسائلٍ عاطفيةٍ تُستخدم بشكلٍ مناسبٍ وفي سياقٍ معيّن، ويتم توجيهها نحو تحقيق ردود فعلٍ معينةٍ من جانب الجمهور.

وكما ذكر آنفاً، فإن التكرار العاطفي لبعض المفردات أو العبارات يمكن أن يكون لها تأثير كبير على بعض المتلقّين. ومع ذلك كان هناك ثلاث أنواع من التكرار لوحظ في خطاب الرئيس "ترامب": تكرار المفردات، والضمائر، وهياكل أو بنية الجملة، وهو تكرار يثير عاطفة الشعب الأمريكي، على الرغم من أنه مجتمع متعدّد الأعراق والثقافات، وبما أن الخطاب كان ذو بُعدٍ اقتصادي في المقام الأول، فكان الهدف إشغال الأمريكيين بكيفية تحسين مستوى معيشتهم.

أولاً: تكرار المفردات

بعد قراءتنا لخطاب الرئيس "ترامب" فإن الفحص الدقيق لخطابه يدل على ذلك بالتحديد، حيث تكررت المفردات بشكلٍ عاطفيٍّ طوال الخطاب، وربما يعود استخدامها إلى:

1. إثارة القومية الأمريكية بين الشعب الأمريكي، وإعادة إحيائها من جديد.
2. تسليط الضوء على فوزه في الانتخابات الرئاسية؛ كنقطة تحوّل فاصلة في التاريخ الأمريكي.
3. محاولة إقناع الأمريكيين بأنه المخلّص لهم من الظلم الذي وقع عليهم.
4. استحضار الأمريكان معًا.
5. إبراز شخصيته.

كان استخدام الرئيس "ترامب" المتكرر للمفردات واضحاً تماماً في خطابه، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- **"المواطنون الأمريكيون" أو "الأمريكيون" (citizens of America or Americans):**

إذ استخدمها ثمانِ مرات، ويبدو أنه كان يهدف من وراءها إثارة النزعة القومية بين الشعب الأمريكي، والإيحاء من خلال مثل هذا التكرار بأهمية وجود المحبة بين الأمريكيين، وكذلك استحضارهم معاً. وكمثالٍ على ذلك يقول: "نحن المواطنون الأمريكيون ننضم الآن معًا في جهدٍ وطنيٍّ كبير لإعادة بناء بلادنا، واستعادة وعدها لجميع أبناء شعبنا"، وكذلك قوله: "إن القسم الدستوري لمنصب الرئيس الذي أؤديه اليوم هو يمين الولاء لجميع الأمريكيين".

– "بلادنا" أو "بلدكم" (our country or your country):

استُخدمت في الخطاب عشر مرات، ومن خلالها كان يحاول استدرار عطف ومشاعر المواطنين الأمريكيين من ناحية، وأن فوزه في الانتخابات كان نقطة تحوّل فاصلة في التاريخ الأمريكي من ناحيةٍ أخرى؛ وذلك كمنقذٍ ومخلّصٍ للأمريكيين من الظلم الذي وقع عليهم قبل انتخابه، بسبب السياسات الخاطئة التي اتبعها بعض الرؤساء قبله. وكمثالٍ على ذلك يقول: "كانت المؤسّسة السياسية تحمي نفسها ولكنها لم تكن تحمي مواطني بلادنا"، وقوله: "إن الرجال والنساء المنسيين في بلادنا لن يطويهم النسيان مرة أخرى".

– "أمتنا" (our nation):

أُستخدمت في الخطاب أربع مرات، فتكرار كلمة "أمتنا" في الخطاب أمرٌ مثير للاهتمام لأنه يثير مشاعر عميقة لدى الأمريكيين، ممّا يوحي بأنهم كانوا بحاجةٍ إلى من يذكّرهم بالافتخار بأنفسهم كأمّةٍ لمجرد أنهم ينتمون إلى بلدهم (الولايات المتحدة). ومثال ذلك قوله: "نحن أمةٌ واحدة"، وقوله: "على مدى فترة طويلة جداً حصدت مجموعة صغيرة في عاصمة أمتنا مزايا حكومية في حين تحمّل الناس التكلفة"، وقوله: "وبينما كانوا يحتفلون في عاصمة أمتنا".

– "أمريكا" و"الولايات المتحدة الأمريكية" (America or United States of America):

أُستخدمت في الخطاب ست عشرة مرة، وكان في أغلب استخدامه لهذه الكلمة يقصد الحزم والصرامة في سياسات الولايات المتحدة الداخلية والخارجية على حدٍّ سواء من جهة، ووجوب أن تبقى الولايات المتحدة دوماً في المقدمة على حساب غيرها من الدول من جهةٍ أخرى، كقوله: "هذا هو يومكم. هذا هو احتفالكم. وهذا البلد، الولايات المتحدة الأمريكية هو بلدكم"، وقوله: "إننا معًا سوف نحدّد مسار أمريكا والعالم لسنواتٍ عديدةٍ قادمة"، وقوله: "من اليوم فصاعداً فقط سوف تأتي أمريكا أولاً، أمريكا أولاً".

– "سوف" الدالة على المستقبل (will):

أُستخدمت في الخطاب اثنتان وأربعون مرة، منها خمسٍ لا يمكن حسابها عند استعمالها في اللغة العربية، والتي تشير إلى المستقبل، والإجراءات التي سوف يتخذها لتحسين أوضاع المواطن الأمريكي، أو تقوية النفوذ الأمريكي تجاه الخارج، وكأنه يريد أن يقول للأمريكيين بأسلوبٍ عاطفي: إن فوزي في الانتخابات قد جاء لمصلحتكم ولمصلحة الولايات المتحدة. وكمثالٍ على ذلك قوله: "إنني سوف أناضل وأكافح من أجلكم بكل نفسٍ موجود في جسدي"، وقوله: "سوف تُعاود أمريكا الفوز من جديد"، وقوله: "سوف نستعيد وظائفنا"، و"سوف نستعيد ثروتنا، و"سوف نستعيد أحلامنا". وقوله كذلك: "سوف نرفع مواطنينا من قوائم المعونات الاجتماعية، ونعيدهم إلى العمل لإعادة بناء بلادنا بأيدٍ أمريكية وبعمّال أمريكيين".

ثانياً: تكرار الضمائر

يبدو أن الرئيس "ترامب" كان يريد التأكيد لجميع الأمريكيين أنهم بحاجة إلى التجمّع معاً، وذلك من خلال الإفراط باستخدام الضمائر المختلفة، فنراه يستخدم:

أ. ضمير المتكلم

- **الضمير الشخصي "نحن" أو "إننا" (we)**

الذي أُستخدم في الخطاب سبعاً وأربعين مرة، وهو من أكثر الضمائر تداولاً في الخطاب، وحاول "ترامب" من خلاله إبراز شخصيته بقوة، وهو أمرٌ مهم أيضاً كدليلٍ على أنه يودُّ إرسال رسالة إلى الشعب الأمريكي أنه جزءٌ من الأشخاص الذين يخاطبهم. ومثالٍ ذلك قوله: "إننا نحن المجتمعون هنا اليوم نصدر قراراً جديداً ليُسمع في كل مدينة، وفي كل عاصمة أجنبية، وفي كل قاعة من قاعات السلطة"، وأخيرًا قوله: "إننا سوية، سوف نجعل أمريكا قوية مرة أخرى ...".

ب. ضمائر الملكية

استخدم الرئيس "ترامب ضمائر الملكية في خطابه مرات عدّة، منها: ""**لي**" (**my**) الذي أُستخدم في الخطاب مرة واحدة فقط، و"**لك / لكم**" (**your**) الذي أُستخدم إحدى عشرة مرة، و"**لنا**" (**our**) الذي أُستخدم سبعٍ وأربعون مرة:

- استخدم الرئيس "ترامب" ضمير الملكية "**لي**" (**my**)، كقوله: "وإنني سوف أناضل وأكافح من أجلكم بكل نفسٍ موجود في جسدي"، وكان الهدف من وراءها توكيد ما يقوله، ووجوب تنفيذه، وأنه كان يعتبر نفسه جزءًا من المتلقّين.

- كما أن استخدام الضمير الشخصي "**لك / لكم**" (**your**)، يُعتبر أمرٌ عاطفي بطريقة تجعل المتلّقي لكلماته يعرف أنه يخاطبه على وجه الخصوص، وكأنه يلفت انتباهه لقضيةٍ مهمة، ومثالٌ ذلك قوله: "كانت المؤسّسة السياسية تحمي نفسها ... لم تكن انتصاراتهم انتصارات لكم. ولم يكن فوزهم فوزًا لكم". وقوله: "هذا هو يومكم، هذا هو احتفالكم، وهذا البلد، الولايات المتحدة الأمريكية هو بلدكم".

- وفيما يخص الضمير "**لنا**" (**our**)، فإن استخدامه بكثرةٍ مفرطة في الخطاب وبشكلٍ عاطفي كان مبالغاً فيه طغى عليه البُعد الاقتصادي إلى حدٍّ كبير، فمن ناحية فإنه رغِب بإقناع مستمعيه أنه سوف يُحسّن مستوى معيشتهم وارتقاء دولتهم نحو الأفضل، كقوله: "إن الرجال والنساء المنسيين في بلادنا لن يطويهم النسيان مرة أخرى"، وقوله: "ولكن بالنسبة للكثيرين من مواطنينا يوجد واقعٌ مختلف؛ فهناك أمهات وأطفال يحاصرهم الفقر داخل أحياء وسط المدينة المهمّشة في مدننا، ومصانع قديمة وصدئة منتشرة مثل شواهد القبور عبر أراضي أمتنا، ونظام تعليمي يتدفق إليه المال ولكنه يترك طلّابنا الشباب الرائعين محرومين من كل المعارف". ومن ناحيةٍ أخرى رغبته الجامحة بالتأكيد لمواطنيه أنهم أصحاب كل شيء في الولايات المتحدة، ويجب ألاَّ يشاركهم فيها أحد من الأجانب، وذلك كقوله: "لقد جعلنا دولاً أخرى غنية، في حين تبدّدت في الأفق ثروة وقوة وثقة بلادنا". وقوله: "لقد أغلقت المصانع الواحد تلو الآخر أبوابها، وغادرت شواطئنا حتى دون أن تفكّر في ملايين العمّال الأمريكيين الذين تركتهم وراءها"، وقوله: "ابتداءً من هذا اليوم فصاعداً سوف تحكم أراضينا رؤيةٌ جديدة ... ويجب علينا أن نحمي حدودنا من ويلات البلدان الأخرى التي تصنع منتجاتنا، وتسرق منا شركاتنا، وتدمّر وظائفنا".

ثالثًا: تكرار تراكيب الجمل

لوحظ في خطاب الرئيس "ترامب" استخدامه لتراكيب جمل متكررة، مثل:

- "نحن المواطنون الأمريكيون ننضم الآن معاً في جهدٍ وطني كبير لإعادة بناء بلادنا، واستعادة وعدها لجميع أبناء شعبنا ... نحن سوف نواجه تحديات، وسوف نواجه صعوبات ولكننا سوف ننجز المهمة". ففي هذا المثال يختار الرئيس "ترامب" في تسلسلٍ عاطفي تكرار بنية الجملة نفسها، في محاولة للتأكيد على أهمية الحدث الذي يتناوله من جهة، ولتوضيح خطورة الوضع الداخلي الأمريكي من جهةٍ ثانية، ولجمع وصهر الشعب الأمريكي كله في بوتقةٍ واحدة من جهةٍ ثالثة، أي أنه لا تفرقة عنده بين مكوّنات الشعب الأمريكي المتباينة.

- "كل ذلك سيتغيّر بدءًا من هنا وابتداءً من الآن، لأن هذه اللحظة هي لحظتكم أنتم. إنها تنتمي إليكم ... هذا هو يومكم، هذا هو احتفالكم، وهذا البلد، الولايات المتحدة الأمريكية هو بلدكم". ففي هذا المثال يريد "ترامب" أن يؤكد للأمريكيين بشكلٍ عاطفي أنهم ساهموا بشكلٍ كبير في فوزه في الانتخابات الرئاسية، وأنه جزءٌ لا يتجزّأ منهم، وهو بذلك يرغب في ترك أثرٍ عاطفيٍّ على متلقّيه.

- "نحن أمة واحدة، وألمهم هو ألمنا، وأحلامهم هي أحلامنا، وسوف يكون نجاحهم نجاحاً لنا. إننا نتقاسم قلباً واحداً، ووطناً واحداً، ومصيراً واحداً مجيداً متألقاً." وفي هذا المثال كرر "ترامب" تراكيب الجملة التي تبدأ بـ "نحن" و"إننا"، وهي تحمل المعنى نفسه، ممّا يترك أثراً عاطفياً إيجابياً لدى مستمعيه بأنه واحدٌ منهم يقاسي ما يقاسونه، ويتقاسم معاناتهم، أي أنه حاول أن يكون على مسافةٍ واحدة مع جميع أبناء الشعب الأمريكي دون تفرقة بين أحدٍ منهم.

- "إننا سوية، سوف نجعل أمريكا قوية مرة أخرى، وسوف نجعل أمريكا ثرية مرة أخرى، وسوف نجعل أمريكا فخورة مرة أخرى، وسوف نجعل أمريكا آمنة مرة أخرى. ونعم إننا معًا سوف نجعل أمريكا عظيمة مرة أخرى". وفي هذا المثال تكرار عاطفي استفزازي لكنه محموداً، يرغب من خلاله استنهاض همة الأمريكيين لإعادة أمجاد الولايات المتحدة كما كانت سابقًا من جهة، ولحثّهم على العمل الدؤوب لخدمة بلادهم، واستعادة ما فقدته من عناصر القوة بسبب ضعف بعض الرؤساء ممن سبقوه في الحكم، وذلك بصورةٍ مبطّنة دون ذكر أسماؤهم من جهةٍ أخرى.

ج. تحليل الجُمل المهمة في خطاب الرئيس "ترامب"

إن كان إلقاء الضوء على التكرار العاطفي لبعض المفردات والضمائر وتراكيب الجمل ومدلولاتها في خطاب الرئيس "ترامب" تبدو مفيدة، فإن تحليل الفقرات المهمة ومدلولاتها في خطابه كانت أكثر أهمية مثل:

استخدم الرئيس "ترامب" جُملٍ ذات بُعد عاطفي أراد من إيرادها دغدغة مشاعر الأمريكيين، واستقطاب عاطفتهم تجاهه، والإشارة إلى أن الشعب هو مصدر السلطات، وأنه صاحب القول الفصل في حكم البلاد. وهذا يُعتبر أمراً جديداً في المفاهيم السياسية الأمريكية، وكأن الولايات المتحدة لم تعد واحة الديموقراطية في العالم، وهو بذلك ابتغي أن يظهر وكأنه بطلاً قومياً، ومُخلّصاً لأمته من الظلم الواقع عليها، وأنه سيعمل على عدم حدوثها، وأنه سوف يعيد الحكم الديمقراطي من جديد لبلاده بعد أن فقدته قبل عهده، مثل قوله: "إننا اليوم لا نقوم بمجرّد نقل للسلطة من إدارةٍ إلى أخرى أو من طرفٍ إلى آخر، ولكننا ننقل السلطة من واشنطن ونعطيها لكم مرة أخرى، نعطيها للشعب". وقوله: "ازدهرت واشنطن ولكن الناس لم تتقاسم ثروتها، ازدهر السياسيون لكن الوظائف اضمحلّت والمصانع أُغلقت".

وكذلك قوله: "كانت المؤسّسة السياسية تحمي نفسها ولكنها لم تكن تحمي مواطني بلادنا. لم تكن انتصاراتهم انتصارات لكم. ولم يكن فوزهم فوزًا لكم". وقوله: "إن ما يهم حقًّا ليس مَن هو الطرف الذي يسيطر على حكومتنا، ولكن المهم ما إذا كان الشعب يسيطر على حكومتنا". وقوله: "وسوف يُذكر العشرون من كانون الثاني (يناير) 2017، باعتباره اليوم الذي أصبح الناس فيه هم حكّام هذه الأمة مرة أخرى". وقوله: "لن نقبل بعد اليوم بالسياسيين الذين تكون أقوالهم أكثر من أفعالهم، الذين يتذمّرون باستمرار ولكنهم لا يفعلون شيئاً حيال ذلك". لكن على ما يبدو أن القول شيء والتنفيذ شيء آخر؛ فبعد نحو ثلاث سنوات من توليه الحكم لم نسمع البتة عن أي تغييرٍ في سلوكيات الحكم الأمريكي. ولم نسمع أن الرئيس "ترامب" قد احتكم للاستفتاء العام في مسائلٍ جوهرية تهم الداخل الأمريكي.

و"ترامب" بكل ما أوردنا من أمثلة إنما يُشهّر ليس فقط بالساسة الأمريكيين فحسب، وإنما بمن سبقوه في الحكم من رؤساء لتقاعسهم في أداء مهامهم. وذلك بعكس الرئيسِ السابق "أوباما" الذي كان يبدو هادئًا رصينًا وهو يُلقي خُطبه، وكمثالٍ على ذلك هناك لمعةٌ أشعلَت عيونَ الشعبِ الأمريكي الذي استمع إلى خطابِه، وهو يُعلن في مدينة "فيلادلفيا" دعمه المرشّحة للرئاسة الأمريكية "هيلاري كلينتون H. Clinton". وبكلماته المؤثّرة يستذكرُ فترة ولايته فيرفع له الحضور لافتات الشكر؛ بل ويبكون، لأنه ذكَّرهم بأنهم القوة، وأنهم سيصنعون المستقبل، معترفًا بأنه لم يُصلح كل شيء ولكنه سيستمر، وكل هذا يأتي ضمن سياقٍ متماسكٍ مستمدٍ من أيديولوجيةٍ ثابتة، وبلغةٍ آمرةٍ ومذكّرةٍ بالإيجابيات[338].

لقد استخدم "ترامب" جُملًا عاطفية ذات بُعدٍ اجتماعي خطير للغاية لم يسبقه فيها أيُّ رئيس أمريكي، وكأنه يقود ثورةً تصحيحيةً في السياسة الأمريكية بعد الزعيم الزنجي "مارتن لوثر كنج M. L. King" الذي قاد ثورة ضد التمييز العنصري ضد السود في الولايات المتحدة عام 1964، ومثال ذلك قوله: "إن مبعث وجود أي أمة إنما هو لخدمة مواطنيها، فالأمريكيون يريدون مدارس كبيرة لأطفالهم، وأحياءً آمنة لعائلاتهم، ووظائف جيدة لأنفسهم، وهذه مطالب عادلة ومعقولة لشعبٍ طيب وجمهورٍ صالح"، وكذلك قوله: "فهناك أمهات وأطفال يحاصرهم الفقر داخل أحياء وسط المدينة المهمّشة في مدننا، ومصانع قديمة وصدئة منتشرة مثل شواهد القبور عبر أراضي أمتنا، ونظام تعليمي يتدفق إليه المال ولكنه يترك طلّابنا الشباب الرائعين محرومين من كل المعارف. وهناك الجريمة، والعصابات، والمخدّرات التي خطفت الكثير من الأرواح وسلبت من بلادنا كثيراً من إمكانياتها غير المستغلة، فلتتوقّف هذه المذبحة الأمريكية هنا والآن".

وتطرّق "ترامب" إلى قضايا محلية مرتبطة بالسياسة الخارجية الأمريكية، لكنه ألبسها بُعداً عاطفياً لاستقطاب عطف مستمعيه، ودغدغة مشاعرهم الوطنية. ومثال ذلك قوله: "إننا ولعدّة عقود أثرينا قطاعات صناعية أجنبية

338– شقير، "**درس في الخطاب السياسي**"، مرجع سابق.

على حساب الصناعة الأمريكية، ودعمنا جيوش بلدانٍ أخرى في حين سمحنا باستنزاف جيشنا بشكلٍ مُحزن للغاية، ودافعنا عن حدود دولٍ أخرى، بينما رفضنا الدفاع عن حدودنا. وأنفقنا تريليونات الدولارات في الخارج في حين تهرّأت البنية التحتية لأمريكا، وأصبحت في حالة سيئة يرثى لها. لقد جعلنا دولاً أخرى غنية، في حين تبدّدت في الأفق ثروة وقوة وثقة بلادنا".

ومن خلال هذه الجُملة المهمة أراد "ترامب" أن يقول: إن الولايات المتحدة لم تعد قوية كما كانت من قبل، وأن القطاعات الصناعية الأجنبية استفادت على حساب الصناعة الأمريكية، وهو أمرٌ لا ينكره عليه أحد. لكن قوله بأن الجيش الأمريكي دافع عن حدود دولٍ أجنبية، بينما تمَّ التقاعس عن حماية الحدود الأمريكية، فذلك أمرٌ مردودٌ عليه؛ فحماية الولايات المتحدة لبعض الدول الأجنبية ففيه قولان؛ **الأول**: حمايتها لدولٍ فقيرة لكنها ذات موقع استراتيجي بالنسبة للولايات المتحدة مثل بنما، نظراً لوجود قناةٍ بحرية تربط المحيط الأطلسي بالمحيط الهادي، وتتميّز بأهمية خاصة للولايات المتحدة، إذ تسهّل عملية نقل الناقلات التجارية والعسكرية من شواطئها الشرقية إلى شواطئها الغربية والعكس، بدلاً من الدوران حول مضيق ماجلان في أقصى قارة أمريكا الجنوبية. **والثاني**: أن الحماية الأمريكية لدول الخليج العربي على سبيل المثال لم تكن مجانية تماماً، حيث تساهم هذه الدول في نفقات وجود القوات الأمريكية على أراضيها بطريقٍ أو بآخر؛ كإلزام هذه الدول بشراء كميات هائلة من الأسلحة الأمريكية والتي لا تتناسب ومساحاتها الجغرافية وقدراتها الديموغرافية، وآخرها شراء المملكة العربية السعودية أسلحة بقيمة 450 مليار دولار. أمّا قوله: "لقد جعلنا دولاً أخرى غنية، في حين تبدّدت في الأفق ثروة وقوة وثقة بلادنا"؛ فهو أمرٌ غير مفهوم في اللغة السياسية وغير مقبول أيضاً؛ فهل ثمة دولاً تلقّت مساعداتٍ أمريكية وبسببها أصبحت ثرية؟ بالطبع هذا لم يحدث. لكن كان المفترض منه أن يقول: "إنه بسبب مساعدتنا دولاً أخرى، تبدّدت في الأفق ثروة وقوة وثقة بلادنا".

وبمعنى آخر؛ فإن الرئيس "ترامب" فور توليه الحكم استغلّ الضعف العربي والإسلامي مع وجود حكّامٍ شباب صنعتهم الإدارات الأمريكية السابقة لخدمتها في الرياض وأبو ظبي، وأُتيحت له الفرصة لاستثمارها السياسي بالشكل المناسب، وبدعمٍ من كبار مستشاريه اليهود مثل صهره "جاريد كوشنير J. Kouchner".

لقد استخدم "ترامب" في خطابه أسلوبٍ عاطفي أبسط ما يمكن وصفه بأنه يتسم بالغرور والزهو السياسي والثقة الزائدة بالنفس، مع الإصرار على أن تكون الولايات المتحدة في المقدمة؛ كقوله: "من اليوم فصاعداً فقط سوف تأتي أمريكا أولاً، أمريكا أولاً ... وفيما يتعلّق بالشؤون الخارجية، سوف نتخذه بصورة تعود بالخير والفائدة على العمّال الأمريكيين وعلى الأسر الأمريكية". وقوله: "وسوف تعاود أمريكا الفوز من جديد، الفوز بطريقة لم نشهد مثيلاً لها من قبل".

ومن خلال ما سبق، فإن "ترامب" يستشعر صراحة تآكل القوة الأمريكية، وأنه ملتزمٌ باستردادها من جديد، لكنه لم يبيّن في خطابه الآليات التي سيعتمدها لاسترداد هذه القوة، في ظل الاتجاه الدولي لتبديل النظام العالمي – الذي جعل من الولايات المتحدة قطبًا أحادياً –بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية، نحو نظامٍ جديد مفاده عودة النظام الدولي متعدّد الأقطاب بعد استرداد روسيا الاتحادية لسابق قوتها، ومنافستها واشنطن في بقاعٍ جغرافيةٍ عدّة كمنطقة الشرق الأوسط، وبعد التورُّط الأمريكي في المستنقع العراقي ما دعا واشنطن للانسحاب من العراق، وكذلك بروز إيران كقوةٍ إقليميةٍ ذات شأن يُحسب لها حساب سواء من جانب الولايات المتحدة من جهة، وإسرائيل والدول الخليجية من جهةٍ أخرى، علماً بأن تلك الدول تقع تحت الحماية الأمريكية الفعلية.

وخلال تطرّق "ترامب" للسياسة الخارجية الأمريكية استخدم أسلوباً عاطفياً تجاه مستمعيه، إذ لعب على وتر الدين بعدما اختلق عدوًا لبلاده متمثّلاً بالإسلام دون غيره، وذلك من خلال قوله: "سوف نعزّز التحالفات القديمة ونشكّل تحالفات جديدة، ونوحّد العالم المتحضّر ضدَّ إرهاب الإسلام المتطرّف الذي سوف نزيله بشكلٍ كامل من على وجه الأرض". فلماذا اختار "ترامب" النموذج الإسلامي تحديداً ليضرب به مثلاً في الإرهاب؟

يبدو أن "ترامب" كان من الذكاء لاختياره هذا النموذج، نظراً لأهميته على المستويين المحلي الأمريكي والخارجي؛ فهو وكما سابقيه من الرؤساء "جورج بوش الابن G. W. Bush"، و"أوباما" –وفي محاولةٍ منهم – وجدوا ألاَّ مناص من فرض الهيمنة الأمريكية على منطقة الشرق الأوسط من خلال اختلاق عدو جديد لواشنطن، يساعدهم على تحقيق هدفهم هذا كتنظيم (داعش). فبعد هزيمة هذا التنظيم في العراق وسوريا، تكشّفت الحقائق عن المساعدات التي قدّمتها واشنطن لهذا التنظيم وغيره من التنظيمات الإسلامية المتطرّفة كجبهة النصرة. وما رأيناه لاحقاً من محاولات الرئيس "ترامب" الحصول على الأموال العربية الخليجية بطريقٍ أو بآخر من جهة، ومحاولة فرضه صفقة سلمية للصراع الفلسطيني الإسرائيلي تُسمّى بصفقة القرن على حساب الحقوق العادلة للشعب الفلسطيني من جهةٍ أخرى، أي أن واشنطن اصطنعت عدواً افتراضياً لتحقّق من خلاله أهدافها التوسّعية في الشرق الأوسط، ولخدمة مخططات حليفتها (إسرائيل).

كما لعب "ترامب" على وتر الأقليات العرقية في الولايات المتحدة، عندما قال: "لقد حان الوقت لنتذكّر تلك الحكمة القديمة التي لن ينساها جنودنا أبداً، وهي أننا سواء كنا من ذوي البشرة السوداء أو السمراء أو البيضاء، فإن ما ينزف منا جميعاً هي نفس الدماء الوطنية الحمراء". ومن خلال قوله: "وسواء كان الأطفال قد ولدوا في منطقة من مناطق الزحف الحضري العشوائي في مدينة ديترويت، أو المناطق الواقعة في مهب الرّياح في سهول نبراسكا، فإنهم جميعاً يتطلّعون إلى نفس السماء في الليل ...".

إن الولايات المتحدة بلدٌ ذا مساحاتٍ شاسعة، وفيها الكثير من الأعراق الجنسية والطوائف الدينية المتعدّدة، فلماذا اختار "ترامب" نموذج الأقلية الزنجية في بلاده ليضرب بها مثلاً؟ إن الزنوج السود يعتبروا أكبر أقلية في الولايات

المتحدة من حيث السكّان، ورغم فقر عدد لا بأس به منهم لكن لا يمكن تجاوزهم؛ فعلى كاهل الزنوج قامت الحضارة الأمريكية منذ ما قبل إعلان الاستقلال الأمريكي خصوصاً في الجانب الزراعي. ولا نجافي الحقيقة إن قلنا: إنه أراد كسبهم إلى صفّه في أي انتخاباتٍ مقبلة، إذا ما قرر ترشيح نفسه مرة أخرى.

ولم يغب عن "ترامب" استخدام المصطلح الديني "شعب الله" الذي اقتبسه من العهد القديم، في محاولةٍ عاطفية منه لجذب انتباه مستمعيه، كقوله: "ويخبرنا الكتاب المقدس أنه من المبهج والجميل أن يعيش شعب الله معاً في اتحاد". ورغم أن هذا الاقتباس قديم ويعود لبني إسرائيل، لكن الرئيس "ترامب" وهو مسيحي بروتستانتي يُعتبر من المؤمنين بشدّة بما ورد في العهد القديم، وهو يُدرك أهمية الاقتباس من الكتاب المقدّس لكي يقنع مستمعيه بما يريد إيصاله لهم.

ويبدو أن الرئيس "ترامب" درج لاحقاً في بعض خطبه أن يقتبس مصطلحاً توراتياً من الكتاب المقدّس؛ ففي خطابٍ له في 21 آب (أغسطس) 2019، أعلن أن الحرب التجارية التي يخوضها ضد الصين ليست حربه، وأن رؤساء آخرين سبقوه إلى البيت الأبيض، كان يجب أن يخوضوها لكنه المختار من الله لأداء هذه المهمة. وأضاف: "ما كان على أحد أن يقوم بهذه المهمة قبل أن ينظر إلى السماء، ويفتح ذراعيه قائلاً: أنا هو المختار"[339].

نتائج الدراسة

توصّلت الدراسة إلى عددٍ من النتائج منها:

- أن فن إلقاء الخُطب السياسية يتباين من متحدّثٍ أو زعيمٍ لآخر، فهذا الفن يُعتبر ملكة لغوية حابى الله بها بعض المتحدّثين والزعماء دون غيرهم.
- غالباً ما يبرز في خطاب أي متحدّث أو زعيم: أسلوبه اللغوي، ولغته الجسدية، وتكرار المفردات والضمائر وتراكيب الجمل التي يستخدمها لإقناع مستمعيه.
- لقد غلب على خطاب الرئيس "ترامب" البُعد الاقتصادي، ويمكن القول: إنه خطابه كان خطابًا اقتصاديًا بامتياز، أراد من وراءه أن يبيّن للأمريكيين أنه سيعمل حثيثاً على أن يخلّصهم من مشاكلهم الاقتصادية.
- لقد ابتغى الرئيس "ترامب" من وراء تكراره لبعض المفردات: إثارة القومية الأمريكية بين الشعب الأمريكي، وإعادة إحياؤها من جديد. وتسليط الضوء على فوزه في الانتخابات الرئاسية؛ كنقطة تحوّل

339– "**الرئيس الأمريكي: اختارني الله للقيام بهذه المهمة**"، وكالة سما الإخبارية، 2019/8/22؛ https://samanews.ps/ar/post/385635/الرئيس-الامريكي-اختارني-الله-للقيام-بهذه-المهمة-!

فاصلة في التاريخ الأمريكي. ومحاولة إقناع الأمريكيين بأنه المخلّص لهم من الظلم الذي وقع عليهم، واستحضار الأمريكان معاً، وكذلك إبراز شخصيته.

- لقد أجاد الرئيس "ترامب" في تكراره الكثير من المفردات والضمائر وتراكيب الجمل في سياقٍ عاطفي، وذلك لكسب تعاطف الشعب الأمريكي نحوه.
- لم يُجانب الرئيس "ترامب" الصواب أحياناً عند تكراره بعض تراكيب الجمل، إذ كان يتسم بالغرور والزهو السياسي والثقة الزائدة بالنفس.
- لم يكن الرئيس "ترامب" موفّقاً عند تعرّضه لمن سبقه من بعض الساسة والرؤساء الأمريكيين دون ذِكر أسماؤهم، وذلك بهدف كسب الرأي العام الأمريكي.
- حاول الرئيس "ترامب" اللعب في خطابه على وتر الدين الإسلامي دون غيره باختلاقه عدوٍ جديدٍ لبلاده من جهة، ومن جهةٍ أخرى الجنس العرقي متمثّلاً بزنوج الولايات المتحدة، وذلك لكسب ودّهم في أي انتخاباتٍ رئاسيةٍ قادمة.

مراجع الدراسة

أولًا: المراجع العربية والمترجمة

- سلوان، توماس أ. (2016)، **موسوعة البلاغة**، ترجمة: عماد عبد اللطيف؛ مصطفى لبيب، ط1، ج1، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
- ابن منظور (د. ت)، **لسان العرب**، مج 4، دار صادر، بيروت.
- ناصر، عمارة (2009)، **الفلسفة والبلاغة**، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر.
- هتلر، أدولف (د. ت)، **كفاحي**، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت.

ثانيًا: المواقع الإلكترونية

- "**خطب جمال عبد الناصر**"، موقع جمال عبد الناصر؛ http://www.nasser.org/Speeches/SpeechesAll.aspx?CS=0&lang=ar
- "**الرئيس الأمريكي: اختارني الله للقيام بهذه المهمة**"، وكالة سما الإخبارية، 2019/8/22؛ https://samanews.ps/ar/post/385635/الرئيس-الامريكي-اختارني-الله-للقيام-بهذه-المهمة!-
- شقير، هديل (2016/8/20)، "**درس في الخطاب السياسي**"، مدونات الجزيرة؛ https://blogs.aljazeera.net/blogs/2016/8/20/درس-في-الخطاب-السياسي

- طقاطقة، شيرين (2019/1/19)، "**الخطاب السياسي**"، موقع موضوع؛ https://mawdoo3.com/تعريف_الخطاب_السياسي
- "**مقتطفات من خطابات جمال عبد الناصر**"، موقع You Tube؛ https://www.youtube.com/watch?v=D0QIX_IEVaE
- "**هتلر أشهر خطاب مترجم**"، موقع You Tube؛ https://www.youtube.com/watch?v=J541vA42TbU
- "**هتلر استغل فن الخطابة للتأثير على مريديه**"، موقع إيلاف، 2015/10/26؛ https://elaph.com/Web/News/2015/10/1050518.html
- "Read President Trump's full, blistering inaugural speech, attacking Washington, promising 'America first'", CNBS, 20/1/2017; https://www.cnbc.com/2017/01/20/transcript-of-president-trumps-inauguration-speech.html

ثالثًا: المراجع الأجنبية

- Chilton (Paul), & Schaffner (Christina) (1997), Discourse and Politics. In Tuen Van Dijk (Ed.), Discourse Studies: A Multidisciplinary Introduction: Vol. 2. Discourse as Social Interaction, Sage, London.
- Kirvalidze (Nino) & Samnidze (Nino) (2016), "Political Discourse as A Subject of Interdisciplinary Studies", Journal of Teaching and Education, 05 (01).